

agiall

نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية

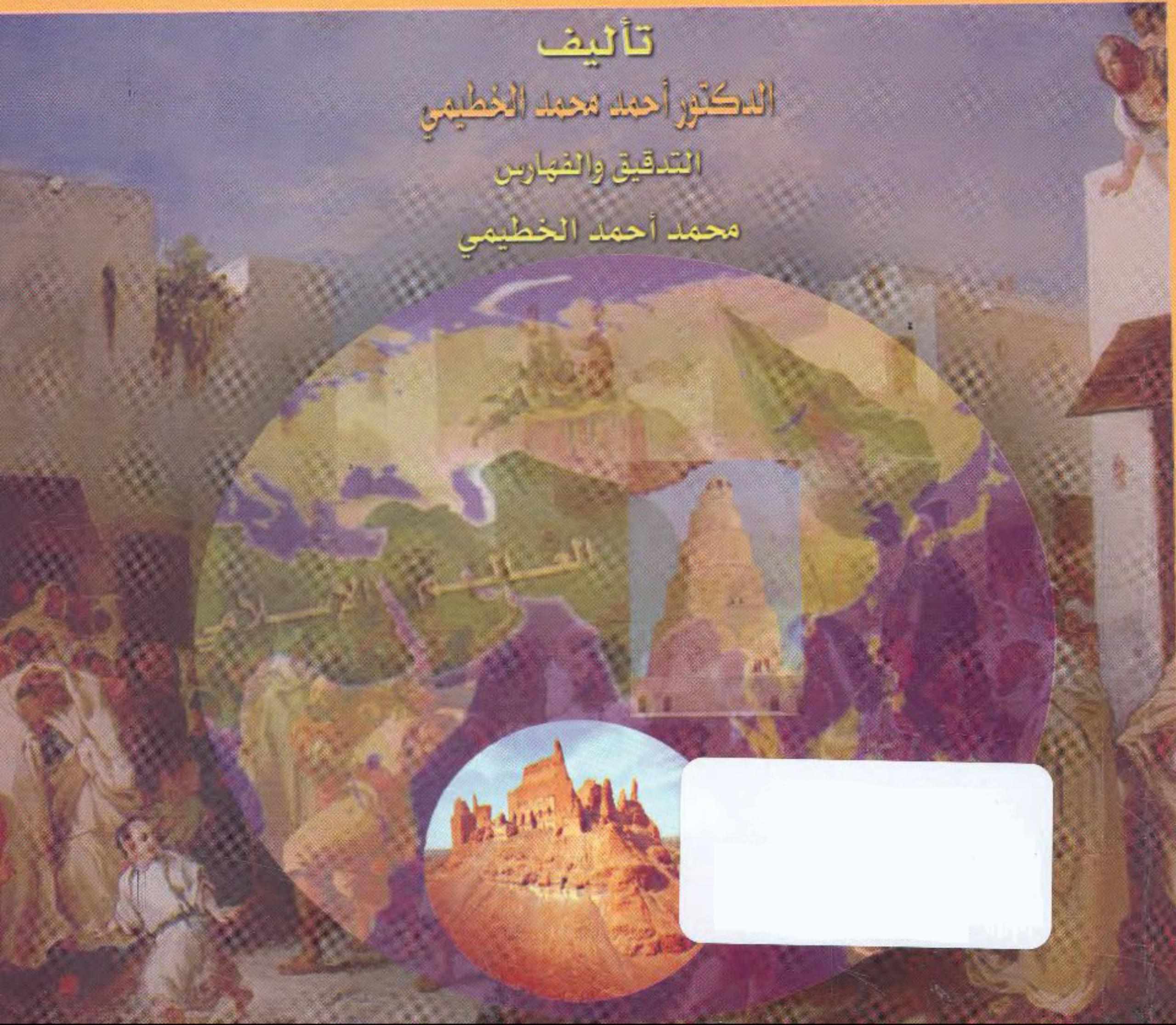
سنة ١٢٥٦ هـ - ١٩٣٨

تأليف

الدكتور أحمد محمد الخطيمي

التدقيق والفهارس

محمد أحمد الخطيمي





الفتوة

نشرتها وطبعها دار سقوط الظالم العباسية

سنة ١٤٥٦ / م ٢٠٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى

٢٠٠٨ - ١٤٢٩ هـ

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2008/6/1939)

956.05

الخطيمي، أحمد

الفتوة / نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية سنة

656هـ/1258م / أحمد محمد الخطيمي -

عُمان : المؤلف ، 2008 .

ر.ا، (2008/6/1939)

الواصفات: / الفتوة // العباسية 1258 - 750 / التاريخ

الأسلامي // الحضارة العربية // الإسلام /

تم إعداد بيانات الفهرس والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الْأَجْيَالُ

لشأنها وتطورها حتى سقوط الخلافة العثمانية

سنة ١٢٥٨هـ / ١٩٣٩م

تأليف
د. أحمد الخطيب

التدقيق والفهراس
د. محمد أحمد الخطيب

٢٠٠٨م

إهداء

إلى زوجتي وأولادي

المقدمة

فكرة الكتابة في هذا الموضوع تعود إلى سنوات الدراسة في الجامعة، عندما اقترح عليّ أنداك الأستاذ المشرف على رسالة الدكتوراة بأن أعد بحثاً عن الفتوة نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ وبعد أن قمت باعداد مخطط الدراسة عدلت عن الفكرة وأخترت موضوعاً آخر.

وعندما كنت أبحث في الأوراق المتراكمة في مكتبي عثرت على المخطط، وعندما فرأته مليئاً ووجدتُ لدى الرغبة بالكتابة في هذا الموضوع فأخذت أجمع المادة من خلال الكتب والمقالات المنصورة بالمجلات حول الموضوع.

إن الكتابة في هذا الموضوع هي كتابة شيقة لأنني من خلال اطلاقي على المقالات وهي لاساتذة أجياله لهم باع طويل في الدراسات والأبحاث بالإضافة إلى المستشرقين الذين كتبوا بهذا الموضوع.

والفتوة في اللغة صفة الفتى أشتقت منه كالرجولة من الرجل والأبوبة من الأب والأمومة من الأم والأخوة من الأخ، والفتى في اللغة هو الشاب الحدث، واستعيرت الفتوة منذ أيام الجاهلية للشجاعة والقوة ومن فيه عزم ومضاء وهذه صفات الشباب.

ولكن الفتوة تطورت إلى معانٍ أخرى غير القوة الجسمية فأستعملت بمعنى السخاء والكرم والحرية والسعى في أمور الناس وقضاء حاجاتهم وإظهار النعمة وأسرار المخنة وأن ينصف المرء غيره، وينكر نفسه^(١).

而对于 صفات دلالات ومعاني كثيرة والأقوال فيها متعددة وكثيرة فقد ذكرها معاوية بن أبي سفيان فقال "الفتوة أن توسيع على أخيك من مال نفسك ولا تطمع في

(١) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا/ عمر دسوقي ص ١١-١٢.

ماله، وتنصفه ولا تطالبه بالانصاف، وتكون تبعاً له، ولا تطلب أن يكون تبعاً لك، وتحتمل منه الجفوة ولا تجفوه، وتستكثر قليل بره وتستقل ما يصل منك إليه^(١).

وروى الحسن البصري أنه قال جمعت الفتنة في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَنَهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ»^(٢).

ويتطرق هذا الكتاب للفترة منذ نشأتها الأولى في العصر الجاهلي ومراتل تطورها عبر العصور حتى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ ثم كيف هدب الإسلام معاني الفتنة الجاهلية وأسيغ عليها من هديه ورونقه، ثم كيف تطورت هذه الفترة الإسلامية حتى صارت وقفاً على طبقة خاصة من الناس، لهم تقاليدهم وتعاليمهم وزينهم.

ويتكون هذا الكتاب من أربعة فصول هي:

* الفصل الأول: وتم التطرق فيه لتعريف كلّ من الفتنة والفروسية وشروطهما والقيم المشتركة بينهما.

* الفصل الثاني: يتحدث عن الفتنة الإسلامية (وجه الفتنة الديني) ومصادرها في القرآن الكريم والسنة النبوية وتطرق الحديث عن غاذج من الفتنة الدينية (قصة فتیان الكهف، قتی موسی عليه السلام)، وذكر الآيات القرآنية التي أشارت إلى قصتهم، والحديث عن فتوة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

* الفصل الثالث: فكان الحديث فيه عن الوجه الاقتصادي والاجتماعي للفترة، وكيف تطورت الفتنة، وتعددت أساليبها، حيث أصابها بعض الانحراف عن طريقها الصحيحة، وظهور منظمة الأحداث والزعار والشطار والعيارين وما صاحب ذلك من أساليب الفوضى والسطو والسلب والنهب والحرق.

(١) الفتنة / ابن المغار ، ج ١ - ص ٩.

(٢) سورة النحل، آية ٩٠.

* الفصل الرابع: تطرق الحديث فيه إلى الوجه السياسي للفتوة، فقد تم إلغاء الفتوة القديمة وإظهار الفتوة الناصرية التي أوجدها الخليفة الناصر لدين الله، ونشرها بين ملوك الأطراف، وقد أخذت الفتوة الجديدة شكلاً جديداً يختلف عن الفتوة القديمة وأصبحت حكراً على أناس معينين، وأيضاً بيان هدف الخليفة من إيجاد الفتوة الجديدة، وهل تم تحقيق أهدافه من ذلك، وما آل إليه مصير الفتوة بعد الناصر لدين الله حتى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

الفصل الأول

الفتوة والفروسيّة في العصر الجاهلي

أ- الفتوة :

- تعريف الفتوة .
- شروط الفتوة .
- طقوس الفتوة وعاداتها.

بـ الفروسيّة:

- تعريف الفروسيّة .
 - اخلاقيات الفارس.
 - شروط الفروسيّة.
- جـ القيم المشتركة بين الفروسيّة والفتوة.**

تعريف الفتورة:

الفتورة كلمة يختلف معناها باختلاف المستعملين لها، فهي عند أصحاب التربية البدنية والرياضة الجسمية صلابة أعضاء وقوة أطراف.

وهي عند رجال الكشافة مروءة وإشار ومساعدة للغير وخدمة للجميع.

وهي عند أهل الفروسية طائفة من خصال البطولة والسماحة والرقابة والمعاملة.

وهي عند الصوفية: مجموعة من خلال البرّ والخير، مثل اسقاط الجاه والزهد والرضا ومحاربة النفس والعفو عن زلات الناس^(١).

والفتورة في اللغة من الفتاء وهو الشباب، والفتى في الأصل هو الشاب، قالوا فتى يفتي أي صار شاباً، وقالوا هو فتى السن، بين الفتاء^(٢).

كما ورد تعريف الفتورة في كتاب "التعريفات" بأنها السخاء والكرم، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والأخرة^(٣). فالفتورة تعني القوة لأن الشباب مصدرها.

وقبل الحديث عن الفتورة لا بد من التعرض إلى المعنى اللغوي لكلمة الفتورة كما وردت في المعاجم اللغوية.

فنجد أن معناها في أساس البلاغة^(٤):

فتى - هذا فتى بين الفتورة، وهي الحرية والكلام، وتقول العرب: فتى من صفتـه كـبـتـ وـكـيـتـ من غير تميـزـ بـيـنـ الشـيـغـ وـالـشـابـ، وهذا فتى بين الفتـاءـ وهو طـراءـةـ السن.

فقد ذهبت البشائـةـ والـفتـاءـ

قال: إذا عاش الفتى مائتين عاماً

(١) مجلة الأزهر - الجزء الأول، مجلد ٢٧ ص ١٣٢، مجلة شهرية جامعة تصدر عن مشيخة الأزهر الشريف بالقاهرة.

(٢) الصعلكة والفتورة في الإسلام ص ٩.

(٣) التعريفات ص ١٧١.

(٤) أساس البلاغة ج ٢ / ص ١٨٤ + ص ٤٦٣ وما بعدها (كلمة فتى).

وأبرد من شيخ يتفشى، أي يتشبه بالفتىان وتقول: هؤلاء فتوه ما فيهم فتورة وهو جمع
فتى؛ قال:

وفتوه هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا انجاب حلوا
وفلان من أهل الفتوى والفتى، وتعالوا ففاشوا وتفاقموا إليه: تحاكموا، قال الطرماني:
هلهم إلى قضاة الغوث فأسأل

برهطك والبيان لدى القضاة

أنفع بفناه أشدق من عليي

ومن جرم وهم أهل الثغاتي

وقال عمر بن أبي ربيعة:

فيت أفاتيها فلا هي ترغوي

مجروه ولا تبدي إيماء فتبخلا

ومن المجاز: لا أفعل ذلك ما كر الفتىان؛ قال:

غدا فتىا دهر وراح عليهم

نهاراً وليل يلحقان التواليا

وهذا كقوفهم: الجددان. وتقول: بارك الله في فتوتك وفتاتك، وأدام ما دام الفتىان-
بركة إفتاتك.

وأقمت عنده فتى من نهار أي صدرأ منه؛ قال:

فما ليثوا إلا فتى من نهارهم

مُماصقة حتى أبارهم القتل

وشرب فلان بالفتى وهو قدح الشطار سمى لصغره.

ويجوز أن يقال في العمر: هو من الصبي العمر وأتشي الرجل شرب به، وتقول: فلان
يظل مفتياً، ويبيت مفتياً.

وفي المختار من صحاح اللغة^(١):

(١) ص ٣٨٦.

الفتى الشاب، والفتاة: الشابة، وقد قُسِّي بالكسر، فتاء بالفتح والمسد، فهو قُسٌّ السنُّ بين الفتاء.

والفتى أيضاً: السُّخى الكريم، يقال: هو قُسٌّ بين الفتورة، وقد تُفَشَّى وتفاقى والجمع
في بيان رفته، وفتوٌ كفَرُولٌ وفتوٌ كعُصْنٌ بالضم.
وأسْفَهَ في مسألة فاتحة، والأسماء: الفتى، والفتوى، وتفاتوا إليه، ارتفعوا إليه في
الثُّثْيَا.

وفي لسان العرب المحيط^(١):

شم (زر) فتية من اليونانية يعني دائمة الشباب لطول عمر أزهارها.

وفي القاموس الجديد^(٢):

فتا، يفتوا، فتوا غيره، غلبة في الفتورة.

وفي القاموس المحيط^(٣):

الفتاء: كسماء: الشباب، والفتى الشاب والستخيُّ الكريم وهما فتيان وفتوان ج
فتياً، وفتوة وفتوا، وفتى وهي فتاة جمع فتيات.
وكعنى: الشاب من كل شيء. وهي فتية جمع فتاء وفشت البنت بفتية: مُنْعَتْ من
اللُّعب مع الصبيان فشققت، والفتيان: الليل والنهر، وأفتابه في الأمر أبايه له، والفتيا
والفتوى، وتفتح: ما افتش به الفقيه، والفتيان بالكسر، قبيلة من ياجيلة منهم ربعة
الفيتاني، والفتوة: الكرم وقد تُفَشَّى وتفاقى، وفتوتهم: علبيهم فيها، والفتى كُسُّنى:
قدحُ الشطار، والمفتى: ميكائيل هشام بن هبيرة.

وفي تهذيب الصحاح^(٤):

الفتى: الشاب، والفتاة: الشابة.

والاقتاء من الدواب، خلاف المسان واحدها فتى، مثل بيتم وأيتام.

(١) ج ١، ص ٢٠٧.

(٢) ص ٧٥٥ مادة فتا.

(٣) ج ٣، ص ٣٩٣ وما بعدها.

(٤) ق ٣ ص ١٠٤٢.

والفتى السخنِيُّ الكريم، يقال: هو فتى بَيْنَ الْفَتُوَّةِ، والجمع فتيانٌ وفتورٌ وفتني مثل عصبي.

وفي جهرة اللغة^(١):

الفتاء مددود مصدر فتى بين الفتاء.

قال الشاعر ربيع بن ضبع الفزارى:

إذا عاش الفتى ماتين عاماً

فقد ذهب الشاشة والفتاء

والفتى واحد الفتىان مقصور، يثنى فتىين.

وفي الصحاح^(٢):

الفتى: الشابُ، والفتاة الشابة وقد فتى بالكسر، يفتى، فهو فتى السن بَيْنَ الفتاء.

وفي قطر المحيط^(٣):

فتى يفتى فتى، كان فتى والأسم الفتورة والفتاء فتىَتِ البنت على المجهول تفتيه خدرت وسُررت ومينعت من اللعب مع الصبيان، وفاتوني ففتوتهم أفسرهم فتوا غلبهم في الفتورة، وافتاه العالم في مسألة افتاء: احابه وابان له الحكم فيها واخراج له فيها فتوى فهو مفتى، وتفضي الرجل كان ذا فتورة وتتكلف الفتورة، الفتى الشاب الحذث والسخنِيُّ الكريم، ومشاهما فتىان وفتوان جمع فتيان، وفتشية وفتورة وفتور وفتني وفتى.

وفي عبطة المحيط^(٤):

فتى يفتى، كان فتى والأسم الفتورة والفتاء فتىَتِ البنت خدرت وسُررت ومينعت من اللعب مع الصبيان، وفاتوني ففتوتهم، أفسرهم فتوا غلبهم في الفتورة، وافتاه العالم في

(١) ج ٢، ص ٢١٥.

(٢) ج ٦، ص ٢٤٥١ مادة (فتى).

(٣) ج ٢، ص ١٥٦٠ مادة (فتى).

(٤) ص ٦٧٧.

مسألة افتاء: اجابة وابان الحكم فيها وخرج له فيها فتوى وتفاتوا إلى العالم ارتفعوا إليه في الفتوى.

والفتوى: الشاب الحدث والساخنُ الكريم، ومثنى الفتى فتیان وفتوان جمع فتیان وفتیة وفتورة وفتور وفتیة، والفتیان اللطيل والنهاز.

فالفتوة اسم أطلق على مجموعة من الفضائل أخصها الكرم والسخاء والمروءة والشجاعة يتميز المتصرف بها عن غيره من الناس.

وبهذا المعنى الخلقي وجدت الفتوة قبل الإسلام في بلاد العرب وفارس^(١).

والفتوة في الأصل مفهوم خلقي يتضمن جميع الخصال التي يتظر أن يتحلى بها فتى من الفتیان في جزيرة العرب، والفتى هنا الرجل المذهب العامل، والصفتان اللتان تجمعهما الفتوة هما السخاء وحب القرى من ناحية، والشجاعة من ناحية أخرى. وكلتاهمما ينبغي أن تبلغا حد الإفراط. فالأولى حتى الإخلاص والثانية حتى الجود بالنفس^(٢).

لم تستخدم اللغة العربية قبل الإسلام أو في صدر الإسلام مصطلح الفتوة، وإنما استخدمت اسم "الفتى" بصيغة المفرد لا بصيغة الجموع، فالتى يعني الرجل الصغير والنشيط الشجاع في الحرب، والنيل الفارس الذي يتمتع بسلوك معين، حيث أنه يرتبط مجتمع القبيلة ومعاركها. والفتى قبل الإسلام فرداً غايتها المحافظة على شرف الذي هو شرف قبيلته^(٣).

إن النموذج الأسطوري لهذه الشخصية في المجتمع العربي القديم تمثل بشخصية حاتم الطائي وقصته مع زوجته وأولاده معروفة. حيث تركهم ينامون وهم يتضارعون من الجزع، وحدشه مع أمرائه يعللها كي تنام، ثم عجبوا جارته تشکو له ما وصلت إليه هي

(١) الملامة والصوفية وأهل الفتوة ص ٢٤.

(٢) المتنقى من دراسات المستشرقين / فرانز تيشنر ص ١٨٩.

(٣) الملامة والتصرف وأهل الفتوة ص ٢٥.

وأولادها من الجوع، وذبحه لفرسه واطعام الحي لحمها مع معزتها عليه وحاجته لها وتركه بنية وزوجته بدون طعام هو دليل على مبدأ الإيثار العجيب الذي لا نرى له شبيهاً في وقتنا الحاضر.

في هذه الصفات لا نجد لها إلا بين هؤلاء العرب الذين عاشوا في الصحراء فعلمتهم كيف يعيشون غرائز الأثرة وحب التملك وحب البقاء^(١).

والفتوة في اللغة من الفتاء وهو الشباب، والفتى في الأصل الشاب، أما الفتوة فهي القوة، لأن الشباب مصدرها وفي ذلك يقول الشاعر:

ما لبث الفتى أن عصا به
ولكل قفل يسرًا وفتحاً
وقال آخر:
يا عزّ هل لك في شيخ فتىً أبداً
وقد يكون شبابُ غير فتىً^(٢).

فالفتوة تعني قوة الجسم والبدن ثم تطورت إلى معانٍ أخرى أسمى من ذلك كحب الخير والأريحية والسعادة، والفتى من وَقْرَ الكبير في العلم أو في السن، والفتى من رحم الصغير في العلم أو في السن، ومن أثر المكافع في السن أو في العلم^(٣).

فالفتى من لا خصم له لأنَّه فيما عليه يؤديه وفيما له يتراكه فليس له خصم^(٤).
وربما أفرط الفتى فتجاوز افراط إيثار الغير إلى بذل النفس آنفةً من تحمل العار أو دفعاً للظلم وحفظاً لحق الجوار.

(١) دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة الإنكليزية ج ٢ ص ٩٦١، الفتوة عند العرب / عمر سوقي ص ٢٧٢ وما بعدها.

(٢) الفتوة عند العرب / عمر سوقي ص ١١.

(٣) الفتوات الملكية ج ٢٢ ص ٥٨.

(٤) نفس المصدر، ج ٢٢ ص ٥٩.

أما بالبسالة فالمذكورين من صعاليك العرب فمنهم الذين فدوا أضيفا لهم
والمستجيرين بهم بأنفسهم حتى أن فيهم من خرج به فعله إلى سخف أو جنون^(١).
أن العرب تعني بالفتوة الشجاعة والإيثار والسخاء والوفاء، وكثيراً من الصفات
المحميدة. والفتى عندهم هو السيد الذي نال السُّودَد والشرف بأخلاقه الكريمة وأفعاله
العظيمة، يقال: هذا فتى الحبي أي سيده والكامل الجزل من رجاله، قال الشاعر ابن اهبان
الفقوعي يرثى أخيه:

فتى الحبي أن تلقاء في الحبي أو يُرى

سوى الحبي أو ضمُّ الرجال المشاهد^(٢).

فالحرية والكرم والسعى في أمور الناس وقضاء حاجتهم وإظهار النعمة وأسرار
المخنة وأن ينصف المرء غيره وينكر نفسه كل هذه صفات الرجلة الكاملة.
وهناك علاقة وطيدة بين المروءة والفتوة فالمروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه،
والفتوة تتعداه إلى غيره.

فإذا احتمل مخارم الناس وتحمل المشاق في أرضائهم ولم يضن بما أحل الله له وحرمه
على من سواه فهو الفتى الذي اشتهر بالقدرة عليها وعرف بالحلم والعفو والرزانة
والاحتمال^(٣).

وفيما يلي آراء بعض العلماء في الفتوة:

يقول القشيري:

أصل الفتوة أن يكون العبد ابداً في أمر غيره^(٤).

(١) الجواهر في معرفة الجواهر ص ١١، الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص ١٦.

(٢) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص ١٢.

(٣) الجواهر في معرفة الجواهر ص ١٠.

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٧٦.

ويقول علي بن أبي بكر الأهوازي: " ان أصل الفتورة الا ترى لنفسك فضلاً واحداً" ^(١).

ويقول معروف الكرخي: للفتيان علاماتٌ ثلات، وفاء بلا خوف، ومدح بلا جُود،
وعطاء بلا سُؤال ^(٢)

ويقول رُوئيْم: ان تعذر اخواتك في زلاتهم ولا تعاملهم بما تحتاج ان تعذر منه ^(٣).

ويقول شاه :

الفترة من طباع الاحرار، واللُّوم عن شيء الانذال، وما تعبد متبعد بأكثر من
التحجب إلى أولياء الله بما يحبون ^(٤).

ويقول البَلْخِي: الفتورة حفظ السر مع الله على الموافقة، وحفظ الظاهر مع الخلق
بحسن العشرة واستعمال الخلق.

وقال آخرون: الفتورة اتباع المكارم واجتناب المحارم ^(٥).

وقال بعضهم: الفتى من يعاشر الناس بحيث إذا غاب حنوا إليه، وإذا حضر أقبلوا
عليه، وإذا مات بكرو عليه.

كما قيل أن الفتورة حسن الخلق وترك التمييز في العطاء، وأن تستر عدوك كما تستر
عيوب نفسك ^(٦).

(١) الملامة و الصوفية و اهل الفتورة ، ص ٦٦

(٢) طبقات الصوفية / السلمي ص ٨٩.

(٣) نفس المصدر السابق ص ١٩٣

(٤) نفس المصدر السابق ، السلمي ص ١٩٣

(٥) الفتورة / ابن المعمار ص ١٥٦

(٦) نفس المصدر السابق ص ١٥٥

وقد تُعنى الشِّعراءُ بأخلاقِ الفتيانِ الأَمَاجِدِ وفضائلِهِم، وكيف أنَّ هذَا المجتمعُ البدائيُّ كانَ فِيهِ مِن التراحمِ والتَّعاونِ والأَنْذِي بِيدِ الْفُسُوفِ والْمُنْكُوبِ والمُكْرُوبِ ما تضليلُ أُمَّامَهُ أَرْقَى مجتمعاتِنَا الَّتِي طغَتْ عَلَيْهَا المَادِيَّةُ الْيَوْمِ^(١).

والدليلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:
إِنَّ الْفَتَى حَمَالُ كُلِّ مُلْمِمَةٍ

لَيْسَ الْفَتَى يَنْتَعِمُ الصَّبِيَّانَ^(٢)

وقَالَ عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَادَ:

مَوْتُ الْفَتَى فِي عَزَّةٍ خَيْرٌ لَهُ

مِنْ أَنْ يَبْيَسَ أَسِيرٌ طَرْفِيْ أَكْحَلٌ^(٣)

وَهَذَا امْرُوُ الْقَيْسِ يَقُولُ فِي طَرِيفِ بْنِ مَالِكٍ وَقَدْ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ:

إِنْعَمَ الْفَتَى ثَعَشَوْلَى ضَوَّةِ نَارَةٍ

طَرِيفُ بْنُ مَالِكٍ لَيْلَةَ الْجَوْعِ وَالْخَصْرِ^(٤)

وَهَذَا قَيْسُ بْنُ مَنْقَذَ الْمُعْرُوفُ بِأَنَّ الْخَدَادِيَّةَ حِينَ حَاصِرَهُ جَمْعٌ مِنْ مَزِينَةٍ كَانُوا مُغَيْرِينَ لِلْغَنِيمَةِ مَنْ يَجِدُونَ مِنْهُ غَرَةً، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَسْتَأْسِرَ لِيَتَخَذُوهُ غَنِيمَةً، فَأَبَى مُرْتَجِزاً هَذِهِ الْأَبِيَّاتِ:

أَنَا إِذَا الْمَوْتُ يَنْالُ غَالِيَهُ

مُخْتَلِطٌ أَسْفَلَهُ بِعَالِيَهُ

وَمِنْ أَشْعَارِ الْخَنْسَاءِ نَرْثِي أَخَاهَا صَخْرَ:

(١) الفتاة عند العرب / عمر دسوقي ص ٩

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٣

(٣) ديوان عنترة بن شداد ص ١١٢

(٤) ديوان امرؤ القيس ص ٣١٨ (الخصوص: شدة البرد)

هو الفتى الكاملُ الخامسي حقيقته
ماوى العريق إذا ما جاء مثاباً
الَا تبكيان الجريء الجميل

الَا تبكيان الفتى السيدا
رهينٌ بلى وكل فتى سيلى
فاذري الدمع بالسكب المجد
يا عينٌ فابكي فتى مخضناً ضرائبها
صعباً مراقبه سهلاً إذا ريداً
على صخر وأي فتى كصخر
لعنٍ عائل غلق يوتسر
فشأن المنايا إذ أصابيكَ رُبها
لتغدو على الفتىان بعدك أو تسري
نعم الفتى كنت إذ حنت مرفقة
هوجُ الرياح حنين الوَلَه والمحور
فقد أصبحت بعد فتى سليم
أخرج هم صدرى بالقريض^(١)
قد يعلم الفتىان أنى صالحه
إذا الحديد رفت عواليه^(٢)

وقد ورد في مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار التي كتبها الدكتور مصطفى جواد أن "الفتواة" في اللغة صفة الفتى اشتقت منه كالرجلة من الرجل، والأبواة من الأب،

(١) ديوان الخنساء ص ١١، ٣١، ٤٠، ٤٢، ٤٧، ٥٤، ٦٣، ٧١، ٩٤.

(٢) شعراء الصعاليك ص ٢٦٨.

والأمومة من الأم، والأخوة من الأخ، والأنوثة من الأنثى، والفتى في اللغة هو الشاب
الحدث واستعيرت الفتاة منذ أيام الجاهلية للشجاعة قال متمم بن نويره:
إذا القوم قالوا من فتى لعظيمة

فما كلهم يدعى ولكنها الفتى
فكان الفتى العربي يفتحم الخطوب بقلب ثابت وشجاعة بالغة المدى، واثقاً من
شحاعته وناسه وذرته وحنكته.

إِذَا خَامَ أَقْوَامٌ تَقْحِمُتُ عَمَرَةٌ

يَهَابُ حُمَيْدًا الْأَلَدَ المَدَاعِسَ

لُعْمَرْ أَيْكَ الْخَيْرِ إِنِيْ لِخَادِم

لضیفی ولانی ان رکبت لفارس

وَإِنِّي لأشْرِي الْحَمْدَ أَبْغِي رِيَاحَهُ

وأتر لک قرنی وهو خزیان ناعس^(۱)

وقال طرفة بن العبد:

إذا القوم قالوا من (فتى) خلت أنتي

عنیت فلم اکسل و لم اتبلاڈ

وقال أيضاً:

على موطن يخشى (الفتي) عنده الردى

متى تعرّك في الأرض ترعد^(٢).

وقال آخر:

(١) الفتاة عند العرب / عمر دسوقي ص ٣٦.

الأخد: الشديد الخصومة الفمرة : الشدة **خام: حزن**

المذاهبون: الطعن **حيبا : الشدة** **القرن: الند**

(٢) مجلة الرسالة ، العدد ٧٨٢ ص ٧٢٣

إن الفتى من يقول ها أنا ذا
ليس الفتى من بقول كان أبي^(١).

وشاير آخر يقول:
وليس فتى الفتيان من راح واغتنى
لشرب صبور أو لشرب غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح واغتنى
لضر عدو أو لتفع صديق^(٢).

ويرى الدكتور أحد أمين إلى وجود علاقة كبيرة، ولو علاقة تناقض بين الفتورة والصلuka، فكلامها تؤدي معنى انسانياً، وإن كانت كلمة "الفتيان" تدل على أولاد الذوات وكلمة الصعاليك تدل على أولاد القراء^(٣).

ويخلص الدكتور أحد أمين إلى أن في الحياة الجاهلية البدوية نوعين متميزين من الشبان، إبناء الذوات يجتمعون ويتخذون لهم مكاناً ختاراً ويعيشون حياة اباحية فيها خمر وغناء ونساء وهم مع ذلك كرام يضيّقون من نزل بهم ويغدقون عليهم خيراً لهم وتقابليهم طاقة أخرى من إبناء القراء يسمون الصعاليك يشاركونهم في الكرم ويختلفونهم بأن حياتهم ليست حياة دعة واستمتاع، ولكن حياة غزو وسلب ونهب^(٤).

بل ربما تتعقد اواصر الفتورة بين جماعة لمناسبة من المناسبات كغرية أو نحو ذلك فتشتد بينهم الصداقة ويتعاونون على النساء والقراء، وأن لم تجتمعهم جماعة من قبل كالذى حكى أن رجلين من بنى أسد خرجا إلى أصبهان فآخيا دهقاناً بها، وتعاقدوا جميعاً

(١) مجلة الرسالة، العدد ٧٨٢ ص ٧٢٤.

(٢) الجماهر في معرفة الجواهر ص ١١

(٣) مقدمة كتاب الصلuka والفتورة في الإسلام ص ٦.

(٤) الصلuka والفتورة في الإسلام ص ٢١.

على أن يكونوا فتية صدق يضمن أحدهم للأخرين ما يحتاجون إليه، فمات أحدى بنى أسد في موضع يقال له راوند، فظل هو والدهقان يناديان قبره، ثم مات الدهقان فبقي الأسد ينادم قبريهما^(١).

فقد اشتهر فتيان العرب بالصدق والشجاعة. وحماية الضعيف قانون طبيعي للفتيان لأنهم يشعرون بقوتهم الجسمانية، وقد تأخذ في نفوسهم صفة البذل والتضحية وهي تتطلب منه أن يتصف بكل صفات الفتوة الأخرى.

فالفتى إذا وعد عدوه المنهزم وعداً وفي به أنه كان يكف عنه حتى يشرب أو حتى يتناول رمحه أو سيفه، فلا تغلبه شهرة النصر لضرب الضعيف أو الأعزل، بل يُعد ذلك نذالة وخسارة وزراية بشجاعته^(٢).

فهذا حال الفتوة ومقامها وأصحابها يسمون الفتيان، وهم الذين حازوا مكارم الأخلاق أجمعها، فالفتيان أهل علم وافر.

فمن ادعى الفتوة وليس عنده علم فدعواه كاذبة^(٣).

ثم تطورت الفتوة على مر الأزمان حتى صارت تقام لها الاقامات والمخفلات ولها الشعارات والطقوس ولباس خاص بها واصبح للفتيان صفات واحوال وعادات وأخلاق يمتازون بها.

كما كان لها الفاظ يصطلح على استعمالها بين الفتيان وهو ما يعرف في وقتنا الحاضر بكلمة السر مثل البيت، النسبة، الحزب الكبير، الجد، الزعيم، الرفيق، النقيب إلى آخر ذلك^(٤).

(١) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص ٦٠.

(٢) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص ٥٧.

(٣) الفتوحات الكبيرة - السفر الرابع، الجزء الثاني والعشرون ص ٥٥.

(٤) الفتوة ابن المعمار / ص ١٩٠

أما مبدأ الفتنة ومنتشرها، فسئلنا إبراهيم عليه السلام هو أبو الفتىأن حيث كسر الأصنام واعرض عن الأنام وجاد بنفسه للنار إيثاراً للحق^(٤).

وبعد فهذه الفتنة العربية في صورتها الأولى أيام كان العرب أئمّن لا يقرؤون ولا يكتبون وليس لهم حكومة منظمة أو رئيس واحد يديرون له بالطاعة ولا يعرفون قانوناً سماوياً أو وضعياً، وليس لهم من هادي سوى فطرتهم السليمة وما توحّي به تلك الطبيعة القاسية التي تحيط بهم، وما تعرض عليهم صحراؤهم من عادات وطبع.

لقد جعلتهم هذه الأخلاق الكريهة التي دأبوا على التطبع بها قروناً قبل الإسلام حتى تمكنت من نفوسهم وأحلوها محل الشريعة ودانوا لها جميعاً.

لقد كانت هذه الفتنة العربية التي نشأت فطرية في الجاهلية ثم ذجّا حيّاً للعالم وجاء الإسلام فأقرها وهذبها^(١).

(١) قصة سيدنا إبراهيم مع أصحاب الأصنام. قال تعالى: «قَالُوا سَمِعْنَا فَتَّى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» وهي الآية ٦٠ / سورة الأنبياء.

(٢) الفتنة عند العرب / عمر دسوقي ص ١٢٢.

شروط الفتوى

يشترط لصحة الفتوى ستة خصال: الذكورية، البلوغ، العقل، الدين، استقامة الحال، الأصل والمروعة.

١- الذكورية: الفتوى صفة شرف وكمال، والرجال قوامون على النساء، فاستحقوا الاختصاص بالفتوى دون النساء، لأن الأنثى ليست من أهل الفتوى ولا تصح فتواها؟

٢- البلوغ: كمال البنية، واستشارة العقل وكمال التصرف.

٣- العقل: طريق في درك المعلومات، والألة لنا في اتقان المصنوعات، والتهدي إلى الخير، وتنبيه عن الشر والكف عنه.

٤- الدين: فالدين أصل والفتوى فرع، ولا فتوى لمن لا دين له، وأن الفتوى خصلة من خصال الدين، ولا تخالف الشريعة.

٥- استقامة الحال: أن يكون الفتى على صفة مرضية، كأن لا يكون مختناً ولا خثني.

٦- المروعة: فإذا كان الفتى لا مروعة له لا يبالي بأي حال من الأحوال بما يصنع، ولا يستحي من فعل القبائح، ومن اتصف بهذه الصفات تصح فتواه.

وهنالك بعض الفضائل والمكارم اتصف بها الفتى ونعتبر من الشروط المكملة لشروط الفتوى مثل أغاثة الملهوف، قري الضيف، اعانتة الاخوان، بث الاحسان، صلة الأرحام، كف الأذى، طاعة الرحمن^(١).

(١) الفتوى/ ابن العماد ص ١٦٣ وما بعدها.

طقوس الفتوة وعاداتها

طقوس الفتوة:

للفتوة نظام ولباس وعادات خاصة بها. فقد أصبح للفتوة مجموعة من الرسوم لم يجلُّ بعد عن مصدرها بوضوح؛ فكان يستقبل الفتى في نقابة الفتوة بشد خصره بفوطة أو حزام ويتألّف لباس الفتوة الذي يمتاز بالسراويل ويسقيه في كأس الفتوة الماء المشرب بالملح^(١).

إن الاستقبال في النقابة كان يجري بنظام خاص فهو يتالف من الشد، والشرب من كأس الفتوة الملائى بالماء المائع، ولبس لباس الفتوة الذي كان أهم ما يميزه "السراويل" وصفه الشرب، والتكميل وطريقة التنصيب، فالاستقبال يجري على مرحلتين ففي المرحلة الأولى يتم الشد ومه يصبح الطالب مريداً وفي المرحلة الثانية تسمى "التكميل" ويستطيع المرید المشدود أن يلبس لباس الفتوة بعد مروره بهاتين المرحلتين^(٢).

الشرب قبل الشد:

الشرب من سنن الفتيان وهو طريقة تجمع الرفاق لينسبوا إلى كبرائهم، ويحصل به تعارف الأحزاب والألفة والمودة بين الاخوان؛ وهذا يتم قبل الشد بنزلة اليمين في النكاح قبل العقد، وشرعية بعد العهد والمداومة عليه حسنة ليتجدد عهد الفتوة به وصلة الابن الكبيرة^(٣).

وصفة الشرب أن يبدأ بزعيم، ويختتم بقدم وأن يكون القدر فيه الماء والملح. ويكره أن يتم الشرب في كأس تشرب في مثلها الخمر، ويستحب أن يتناول القدر بيمينه^(٤).

(١) المتنقى من دراسات المستشرقين ص ١٨٩.

(٢) نفس المصدر ص ١٩٦.

(٣) الفتوة / ابن المعمار ص ٢١٤.

(٤) نفس المصدر ص ٢٣٨.

وكان الفتى يشربون في حال التفتية (الدخول في الفتة) ماءً مشوباً بالملح، لأن الملح من المواد المقدسة، فهو يصلح كل ما فسد، ويستعمل في أكثر الأغذية والأطعمة وله فوائد أخرى، والحكمة من شربه مزوجاً بالماء، أن الماء عذر، والملوحة ضد العذوبة، فكأن فيه إشارة إلى أن الفتى ينبغي أن يصبر على البأسه والضراء، ويشكر على النعماء^(١). والطريق الجاري عليه أمرهم أنه إذا أراد أحدهمأخذ الطريق عن كبير من كبراء هذه الطائفة، اجتمع من أهلها من تيسر جمعه ويتقدم الكبير فيليس ذلك "المريد" ثياباً ثم يوضع في كأس ماء وملح وينخلط ثم يسقى منه^(٢).

أما شعار الفتة فهي السراويل المنقوش عليها صورة الكأس أو سراويل الفتة أو صورة كلتيهما، فيتتخذ الفتى هذه الصورة رمزاً إلى أنه من الفتى.

وإذا رغب امرؤ في التفتى فتقام له إقامة يشهدها الفتى، فيليس سراويل الفتة ويشرب كأس الفتة^(٣).

ملابس الفتة: هي عباره عن سراويل وحزام يشد به خصر الفتى عند تفتية ودخوله في الفتة ويقيمون لذلك شرطاً وأداباً جارية بينهم، وسوف نشير إلى الطريقة التي يتم بها تنصيب الفتى والباسه لباس الفتة في مكان آخر من هذا الفصل.

الشد والتكميل: الشد مبدأ العهد وانعقاده وسبب دخوله في الفتة.

والتكمل: قام العهد وكماله، ومتزلة الشد والتكميل كالنکاح والدخول بالزوجه.
والمشدود: هو الذي يعطي أول ما يفتى شيئاً يشد به وسطه ليجرب ويتحقق، ويکمل بعد ذلك ولا فرق في الشد أن يكون بمنديل أو غير ذلك.

الكامل: هو الذي يعطي السراويل أو الملابس أما بعد الشد أو ابتداء صلاحيته لذلك^(٤).

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي / مجلد رقم ٥ من ٥٣ وما بعدها.

(٢) المتنى من دراسات المستشرقين من ٢٠٢.

(٣) مجلة لغة العرب، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية / المجلد الثامن ، الجزء الرابع من ٢٤٢.

(٤) الفتة / ابن المعمار/ ص ٢٠٧ وما بعدها.

طريقة التنصيب:

ثم يشرع النقيب ويقوم مسلماً على الجماعة والعادة شد وسطه خدمة للفتيان، وبعد ذلك يستاذن زعيم القوم والطالب والمطلوب ويبدأ بذكر فضل الفتوة ويبحث على الدخول فيها، وينبه الفتى على ما ينذر إليه من فعل المكارم واجتناب المحارم، ثم يأمر الطالب أن يقوم وبأخذ بيده ويستنطقه لمن يريد من الجماعة ثم يقول يا عاشر السادة الحاضرين والفتىان المخلصين أن فلاناً ويشن عليه بما هو أهل ويسمه بأحسن ما يدعى ويطلب منهم أن يقبلوه رفيقاً لهم في الفتوة.

عندئذ يقوم الجماعة ويقول النقيب للمطلوب: أيها السيد فلان، إن هؤلاء السادة يسألونك أن تقبل فلاناً رفيقاً في الفتوة، فيقول: السمع والطاعة ثم يقوم النقيب بشد وسطه بما يشد به ويلبسه السراويل جالساً، ويشده قائماً ويتولى الكبير شد العقد بيده، قائلاً هذا عهد الله بينكما على التمسك بشروط الفتوة، ثم يشرب^(١).

والشرط في عقد الفتوة ينقسم إلى لاغٍ لا يجوز الوفاء به كالدخول في سفك الدماء بغير حق ومحرمه، وإلى مستحسن في الشرع والعقل كالدخول مع الرفيق في تحمل المشاق والكلف من الديوان^(٢).

أما الشد والتيس والشرب فهي من مسنن الفتى.

عاداتها:

واما يحكى عن عادات الفتوة أن جماعة من الفتى زاروا فتى، فدعا غلامه ليقدم الأكل لهم، فأبطا الغلام في التقديم فسأله الرجل، لم أبطأ، فقال الغلام كان على المائدة نمل فليس من الأدب تقديم المائدة إلى الفتى والنمل عليها، ولم يكن من عادات الفتوة طرد النمل عن المائدة، فلبشت انتظر حتى ترك النمل المائدة^(٣).

(١) الفتوة / ابن العماد ص ٢٣٦ وما بعدها.

(٢) تفسير المصادر ص ٢٠٩.

(٣) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص ٥٦.

ومن ذلك ما حكوه إن شخصاً يدعى الفتوة خرج من نيسابور إلى بلدة خراسان، فكان في ضيافة رجل جماعة من الفتيان، فأكلوا الطعام مع بعض، فلما فرغوا خرجت جارية تصب الماء على أيديهم. فأبى الفتى النيسابوري أن تصب الجارية الماء على يديه قائلًا: «ليس من الفتوة أن تصب النساء الماء على أيدي الرجال»^(١).

كما أن رياضة البندق^(*) وسماع الغناء من عادات الفتيان، فقد كانوا يجتمعون بالحمامات ويحيون موائد الغناء والطرب والمسامرة.

كما أنهم كانوا يخرجون في جماعات إلى ضواحي المدن ويقومون برمي البندق وتطهير الحمام^(٢).

(١) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص ٥٦.

(*) البندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص وترمى بالقوس.

(٢) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص ٢٤٥.

الفروسية

للفروسية عند الأمم من قديم الزمان شأن خطير ومقام كبير، فقد كان اليونانيون يقدسون فرسانهم وأبطالهم المشهورين، والرومان كانوا يباهرون بفحول فرسانهم، وأيضاً للفرس عنابة خاصة بالفروسية، ولهם فرسان معروفون^(١).

وقد آن لنا للتعرف على الفروسية العربية وفلسفتها في الحياة وذلك بالتعرض لمعاناتها، أخلاق الفارس وشروطها وتقاليدها.

معنى الفروسية: هي المهارة في ركوب الخيل والخبرة بشؤونها وهي رياضة عربية عريقة، عرفها العرب منذ القدم حيث كانت الصحراء العربية مكاناً لممارسة رياضية ركوب الخيل وأرضاً للمعارك بين المقاتلين الفرسان على ظهور جيادهم، عندما كانت المروب تعتمد أساساً السيف والرمح وعندما كان الحصان أسرع وسيلة للنقل.

والفروسية تظهر في ثلاثة أشياء هي:

- ١- ركوب الخيل والمسابقة عليها.
- ٢- رمي الشاب.
- ٣- اللعب بالرمح.

وأن يكون الفارس عارفاً بالدخول والخروج والطعن والضرب والأقدم والاحجام والاستداره والكلر والفر وجميع الأمور التي يتطلبها الموقف أثناء المعركة^(٢).

وقد عرف العرب بحبهم للفروسية وشغفهم الشديد باقتناه الخيول وتربيتها والعناية بها، وكانت طبيعة بلادهم الجغرافية من العوامل التي جعلتهم في مقدمة الأمم التي تعنى بالفروسية والخيل وتربيتها وحفظ انسابها^(٣).

(١) الفروسية/ ابن الجوزي، مقدمة الكتاب.

(٢) نفس المصدر، ص ١٨.

(٣) دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية ص ٣٣.

ان الحياة في الصحراء عودته أن يعتمد على نفسه في الشدائد، وأن يحمل نفسه تبعات ثقيلة فهو لا يعتمد على أحد أو يتضرر من سواه أن يبدأ العمل. فكل فتى يعتقد أنه المسؤول عن شؤون نفسه وعشائرته وقبيلته في الحرب والرفرف واكرام الضيف، وتحمل الدييات وغض الخصومات^(١).

فقد كان الفتى العربي يقترب الخطوب بقلب ثبت وشجاعة بالغة المدى واثقاً من شجاعته وياسته وحذكه في حمّاً القتال ويبلغ من اتقانه المكاره الحمد والصيت بين أبناء عشيرته.

إذا نحّم أقوام تفحمت غمرة
يُهاب حُمَيَاها الأَلْدُ المُداعِسُ

لعمر أَيْكَ الْخَيْرِ إِنِّي خادِم
لضيوفي وإنني إن ركبت لفارس
وإنني لأُشري الحَمْدَ أَبْغِي رَيْاحَه
وأَتَرْكُ قَرْنِي وهو خزيان ناعس^(٢).

ولم تكن البيئة الصحراوية وحدها هي التي اكتسبتهم هذه الصفات الحميدة والشجاعة المثالية، ولكن كان للأمهات العربيات فضل كبير في تنشئة أولادهن بحيث يكونوا طلاب مجد ويتذمرون بشجاعة عالية، فالمرأة كانت تدرك أن هذه البيئة الوعرة وما يكتنفها من أخطار تهددها في كل حين، وتدرك أيضاً قيمة الفتى الشجاع عند القبيلة وأن هذه القبيلة تتظره ليذود عنها ويدرأ أعداءها ويكسب لها المجد والشرف بين القبائل، فلا يسيء إليها أو يتهاون بفتياتها أو يستذل شيوخها أو يهزم رجالها فقد كانت ترضعه من

(١) الفتاة عند العرب / عمر الدسوقي ص ٢٠.

(٢) نفس المصدر ص ٣٦.

لبنها صفات الجد وطلب السودد، فینشا والرجلة ملء أهابه، والعزة تفیض من فؤاده
والأنفة من الصغار^(١).

والحقيقة أن الفتى العربي كان في شجاعته واستهتاره بالموت وعدم مبالاته منقطع النظير، فلو رأيته وقد حمى الوطيس يصل ويجول ويقتحم غمرات الموت ويتحدى المنيا في جرأة وقوة ، فقول الشاعر يدل على ذلك^(٢).

فإنك لو رأيت الخيل تعدو

عوايس يتخلدن النفع ذيلاً

رأيت على متون الخيل حيناً

تفيد مفانينا وتفيد نيلاً

فالرأي العام يمتدح الشجاع القوي الذي يلبي النداء إذا دعى للنجدة أو كانت قبيلته أو عشيرته في محنة.

فهذه الفروسيّة العربية كرم وشجاعة وتعاون واغاثة للملهوف وتعطف عن الدنيا
وتحميّه رأخذ للثار وحفظ للأمانة ووفاء وعهد وصدق وحلم.

ولعلك تخيل فرسان العرب وهم في سلاحهم هذا:

قوم إذا لبسوا الحديد كأنهم

في البيض والخلق الدلّاص نجوم^(٣).

وأورد بعض أبيات من الشعر من رثاء الحنساء لأخيها صخر تفوح منها معاني
الفروسيّة.

فارس يضرب الكتيبة بالسيف

إذا أردف العريل الصباحا

(١) الفترة عند العرب أو أحاديث الفروسيّة / عمر دسوقي ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر ص ٤٠، ٥٢.

(٣) نفس المصدر ص ٤٨.

فارس الحرب والمصمم فيها
 مدرة الحرب^(*) حين يلقي نطاها
 ومن يطعنه حلس^(*) أو ليهافنة
 يوم الصياح بفرسانِ مغاوير
 بيض الصفاح وسفر الرماح
 وبالبيض ضرباً وبالسر وخزراً
 وخيل تكذس بالدراعين
 وتحت العجاجة يجمزن جمراً^(*)
 جرزنا وأوصي فرسانها
 وكانتوا يظنون أن لا جرزاً
 ومن ظن عمن يلاقي المروب
 بأن لا يصabit فقد ظن عجزاً
 ونليس في الحرب نسج الحديد
 ونسحب في السلم خيزراً وقزراً
 فكم من فارسٍ لك أم عمر و
 بحروط سنائه الأنس الحريد^(*)
 مُتحزماً بالسيف يركب
 رمحه حالاً فحالاً

(*) مدرة الحرب: زعيم القوم وسيدهم.

(*) الحلس: من: كان ذا شدة وعزّة.

الهافنة: المستجيرة.

(*) العجاجة: الغبار - جمراً: أسرع.

(*) الأنس: الجماعة - الحريد: البعيد المعزّل كل قليل في كثير.

ثُرُويٌّ سِنَانُ الرَّمْعِ طَعْثَه

وَالْخَيْلُ قَدْ خَاضَتْ دَمًا يَجْرِيٍ^(١)

فهذه هي الشجاعة العربية التي تخلى بها فتيانهم وكان من أبرز صفاتهم شجاعة فيها قوة، وتحدي للمنية، وفيها درجةً وتفوق في استعمال الأسلحة وفيها إنسانية وكرم وانصاف للأعداء ووفاء للوعد^(٢).

ولم تقتصر عنانية العرب بالخيول وتربيتها وتحسين نسلها، كونها من أهم وسائل القتال وال الحرب والصيد ومن قديم مجدهم العظيم فالخيل وأكرمواها وراعتنا برربيتها، واليهما تتسبب الخيول العربية.

وقد حظيت الخيول بمكانة رفيعة وعنانية فائقة واهتمام كبير، وكانت رفيقة درب هؤلاء القادة الفرسان الذين سطروا على مدى التاريخ صفحات تشرق بالبطولة، وعليها خاضوا معارك المجد والشرف واحتلت مكان الصدارة في نفوسهم مما أدى إلى المغalaة. في جبها وتقديمها على الأهل والولد ، والاعتزاز بها والتنافس في اقتناها.

فلما نشطت حركة التأليف قام العلماء واللغويون بوضع الكتب في الخيول والفروسية تصف طرق اللعب بالرمح والسيف والدبوس والبرجامس والمسابقات والمصادمة والطعن، والمطارحة، وتدريب الفرسان والكر والفر والبارزة، أساليب القتال، أمراض الخيول، وسياساتها وعلاجها إلى آخر الأمور المتعلقة بذلك.

فقد كان على كل عربي أن ينشئ أبناءه على ركوب الخيول وتعلمه وسائل القتال ومقتضيات الفروسية.

وقد حفظها الشعر كما حفظها الأخباريون وسجلها المؤرخون والعارفون بالأيام وأصحاب الطبقات^(٣).

(١) ديوان المختسae ص ٢٨، ٣٢، ٦٠، ٦٩، ٧٩، ٨٧، ١٢٠.

(٢) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية / عمر دسوقي ص ٤٨.

(٣) مجلة المجلة، العدد ٣٣، ص ٢٠.

كما أقاموا لها الخلائب^(*) لاجراء المسابقات والقيام بالألعاب الفروسية والميدان، فكان العرب في الجاهلية يتسابقون بخيولهم ويتفاخرون بذلك وكانتا يرسلون خيولهم إلى الخلبة على شكل جموعات كل مجموعة عشرة عشرة ، وكثيراً ما نشب المزاحب بين القبائل نتيجة المسابقات^(١).

(*) الخلائب: جمع حلبه، انظر عقالة ميادين السباق في سامراء في مجلة الأقلام العرافية العدد ٣ الصادرة عام ١٩٦٤ م.

(١) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ص ٢٣، مجلة الأقلام (مجلة فكرية عامة صادرة في بغداد) العدد ٣ ص ١٠٣.

الأخلاقيات الفارس

أبرز أخلاق الفارس هي ارتباطه بقومه وإحساسه القوي المستمر ببعاته نحوهم وعمله الدائب في سبيلهم، والذود عن حاهم والدفاع عنهم ضد أعدائهم، وهذا الارتباط بين الفرد والشيبة هو حجر الزاوية في شخصيته وسلوكه وثقافته وافعاله.

وكان الفارس العربي إذا وعد عدوه المهزوم وعداً وفَيْ به، كان يتركه حتى يشرب الماء إذا عطشن وهو في ساحة القتال أو أن يتناول رعنه إذا سقط منه، فلا تغلبه شهوة النصر لضرب الضعيف أو الأعزل، بل يعد ذلك نذالة وخسَّةً ويحذرهم من الخمول والاستكانة إلى اللهو والجلوس عند النساء، ويصف كيف يقوم الفتى بشؤون قومه، فهو يتعهد ضيوف الحبي، ويفرج الكرب، ويهرع للمعطلات.

يلقى السيف بوجهه وينحره

ويقيم هامته مقام المغفر^(١).

ويقيت الفروسية مع الشعب العربي تسلُّر اتساع القبيلة إلى القومية، وحافظت على خلائقها ورسومها وتقاليدها في الإباء والتجلدة والعفة والكرم^(٢).

شروط الفروسية:

للفروسية شروط والتي يقضى بها العرف فهي عشرة^(٣):

أولها: التقوى.

وثانيها: الشجاعة.

وثالثها: رقة الخلال.

ورابعها: القوة.

(١) الفترة عند العرب أو أحاديث الفروسية ص ٨٩ (والغفر: الحزنة).

(٢) مجلة المجلة ، العدد ٣٣ ص ٢٢.

(٣) دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية ص ٣٤، مجلة الملال، جزء ٦ ص ١٠٧١.

وخامسها: هبة الشعر،
وسادسها: الفصاحة.
وسابعها: المهارة في ركوب الخيل.
وثامنها: أعمال السيف.
وتاسعها: استعمال الرمح.
وعاشرها: استعمال القوس.

القيم المشتركة بين الفتوة والفروسيّة

من خلال دراستي للفتوة والفروسيّة تبيّن لي بأنّ هناك قيم مشتركة بين الطرفين وهذه القيم تمثّل بالشجاعة والمرءة، فنجد أنّ الشباب العربي طبع على حياة الفروسيّة وأخلاق الفتوة، فهذا الشباب يجمع بينهما. وبعدها نرى أنّ الشجاعة سمة من سمات الفارس، كما أنها من صفات الفتى.

فقد كان الفتى العربي يقتسم الخطوب بقلب ثبت وشجاعة باللغة المدى، واثقاً من شجاعته وياسته^(١).

ومن هنا نجد أنّ كتاب "الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسيّة" مؤلفه عمر دسوقي هو دليل على هذا الترابط الوثيق بين الفروسيّة والفتوة ووجود قيم مشتركة بينهما فكلاهما يؤدي نفس المعنى. ومن خلال تعرّضي لتعريفات الفتوة بأنّها تعني الشاب الشهم النبيل الشجاع^(٢).

ويرى الدكتور أحد أمين في كتابه الصعلكة والفتوة في الإسلام، أنّ كلمة الفتوة استعملت للدلالة على أربع معانٍ، أحد هذه المعانٍ أنّ كلمة "الفتوة تعني الفروسيّة المنظمة"^(٣). والمرءة أحدى الصفات التي تتصل بها الفتوة والفروسيّة في آن واحد، ونجد قصصاً كثيرة عن المرءة مثل قصة زيد الخيل والمهلل وقصة عنترة بن شداد العبسي إلا نوعاً من أنواع البطولة مملوءة بالفروسيّة^(٤).

كما أنّ هناك أموراً أخرى تجتمع بين الطرفين وتتمثل بالكرم، فهي سمة من سمات الفتوة فقلما يكون الكريم غير شجاع، إذ أنّ الشجاعة والكرم صفتان متلازمتان.

فالشجاع يقدم على الخطر مضحياً بقوته بل بنفسه وال الكريم يضحى بماله، والنفس والمال أغلى ما يحرص عليهما الإنسان ونجد أنّ الشعراً قد تغنا بهاتين الخلتين، فانظر

(١) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسيّة ص ٣٦.

(٢) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص ٨٩.

(٣) نفس المصدر ص ٥٩.

(٤) نفس المصدر ص ١٠٧.

إلى هذا الشاعر الذي يصف الكرم والشجاعة معاً.
يلقى السيف بوجهه وينحره
ويقيمه هامته مقام المفتر
وإذا تأمل شخص ضيق مُقبل
متسللاً أثواب عيش أغبر
أوما إلى الكُرماء هذا طارق
نحرني الاعداء إن لم تحري
وقفة حاتم الطائي في التاريخ العربي مع أولاده وقد تم التعرض لها دليل على هذه
الصفات^(١).

كما أن الفرس تجد الاهتمام من الفارس والفتى لأنها رفيق دريهم، ولا يستطيعها
الاستغناء عنها ، فهي عمادهما في القتال.
أقيه بنفسه في الحروب وأتقى

بهاديه^(٢) إني للخليل وصول
فهذا الفتى يرى في الجواد خليلاً له^(٣).

فالفتى في عرف المجتمع الجاهلي هو الذي تتجسد فيه الصفات التي تتطلبها على أتم
وجه كالفروسيه والشهامة والشجاعة والمرودة والكرم والنجد^(٤).
ومن خلال هذا العرض الموجز نجد الترابط بين الفتوة والفروسيه فكلامها تكمل
الأخرى.

والدليل أن بعض الباحثين الأوروبيين اطلقوا على الفتوة اسم " نظام الفروسيه
العربية".

(١) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسيه ص ٨٨، ٨٩. " الكرماء: الناقة السمينة".

(٢) هادي الفرس: صدره وعنقه.

(٣)المصدر السابق ص ٤٣.

(٤) حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي العدد ٤٥ ص ١٣٨ ((سلسلة عالم المعرفة يصدرها
المجلس الرئاسي للثقافة والفنون والأدب - الكويت)).

الفصل الثاني

وجه الفتوى الدينى

- ١- الفتوى الإسلامية.
- ٢- المصادر الكتابية للفتوى.
- ٣- ابراهيم الفتنى (منشئ الفتوى) عليه السلام.
- ٤- حديث فتيان أهل الكهف في القرآن الكريم.
- ٥- حديث فتى سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم.
- ٦- سيد الفتيان عليه الصلاة والسلام.
- ٧- علي بن أبي طالب حكرم الله وجهه.
- ٨- الفتوى جزء من التصوف (الفتوة الصوفية).
- ٩- تحليل لباب الفتوى الوارد في الرسالة القيشرية / السلمي، وفصل الفتوى من كتاب الفتوحات المكية / ابن عربي.
- ١٠- نماذج من المتصوفين.

عندما جاء الإسلام هذب معانى الفتوة الجاهلية وأسخن عليها من هديه ورونقه، ثم تطورت هذه الفتوة حتى صارت وقفاً على طبقه خاصة من الناس لهم تقاليدهم وتعاليمهم وزرائهم الخاص بهم^(١).

فوجدنا القرآن الكريم يستعمل كلمة "فتى" وصفاً لسيدنا إبراهيم عليه السلام قال تعالى: **﴿قَاتُلُوا سَمِعَنَا فَتَىٰ يَمْذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾**^(٢).

ورأيناه يستعمله وصفاً لأهل الكهف قال تعالى: **﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامْنُوا بِرَبِّهِمْ﴾**^(٣) **﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾**^(٤).

وقد فسرت في كلا الموضعين بالشباب، وجاء الإسلام أيضاً باستعمال خاص لكلمة (فتى) ذلك أنه لم يرض أن يسمى الرفيق المملوك عبد فلان وأمة فلان وكره العبودية تضاف لغير الله^(٥).

فاختار لها اسمأً محبوباً وهو الفتى والفتاة وجاء في الحديث (لا يقولن أحدهم عبدي وأمي ولكن ليقل فتاي وفتاتي)^(٦).

وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَنَةٍ﴾**^(٧) **﴿وَلَا تُكَرِّهُوْا فَتَيَّتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾**^(٨). وفي فترة صدر الإسلام انتقلت هذه المثل العليا بعد أن

(١) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص ٩.

(٢) سورة الأنبياء / آية ٦٠.

(٣) سورة الكهف / آية ١٣.

(٤) سورة الكهف / آية ١٠.

(٥) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص ٤٩.

(٦) كتاب الصمت وأدب اللسان / ص ٤٢٥ (حديث رقم ٣٦٤).

(٧) سورة الكهف / آية ٦٠.

(٨) سورة النور / آية ٢٣.

طاعت بالمثل والفضائل التي جاءت بها العقيدة الإسلامية فاتسعت معانيها وتبورت في مدلول جديد قوامه المثل الديني والشعبي للامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه " فتنى الفتىان".

والإسلام يحب الفتوة يختلف معانيها المقبولة والمصغولة، فهو يحب الفتوة في البدن لأن دين القوة حسناً ومعنى، ويحبها في الخلق لأنه دين مكارم الأخلاق، ويحبها في معاونة الناس لأن خير الناس عنده أفعهم للناس بل يجب أن تكون المعونة من ذوي الفتوة.

ومن هنا جاء الحديث في الأخلاقية يقول:

" جذعه أحب إلى الله من هرمه الله أحق بالفتاء والكرم " ^(١).

فقد اشتهر الإسلام بأنه دين الفطرة، والفطرة هي الخير، والخير هو الغاية التي تهدف لها الإنسانية الكاملة، ولما كان العرب في الجاهلية على الفطرة، فقد جاء الإسلام مهدباً ومكملاً وموجهاً لهذه الفطرة العربية السليمة، حتى يدعهم لرسالة جليلة وهي هداية العالم مصداقاً لقوله تعالى:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» ^(٢).

لقد كان الرسول صلوات الله عليه وسلم من أشرف العرب وأ miglioriها بيته، وكان يعلم ما يتحلى به من خلق وما يشينهم من صفات، ويعلم أن العرب قد تعارفوا فيما بينهم على سجايا حبيبة يحبونها ويتغنون بها وهي تلك الصفات الكريهة التي ذكرت آنفاً. وكان الإسلام يشجع في تعاليمه الفتورة مثل اعطاء الفقير، ورفع الظلم عن المظلوم وإعلاء شأن المرأة والجنوح إلى السلم إذا جنح العدو إليه ^(٣).

(١) حديث الفتوة في القرآن الكريم ص ١٣٥.

(٢) آل عمران / آية ١١٠.

(٣) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص ١٠٥.

فقد حصار السادة في الجاهلية سادة في الإسلام، ووجدت أمامهم الفرصة للتجلّى مواهيبهم الخلقيّة والمعقليّة في ميدان العشيرة والقبيلة، وفي بيته أرحب من الصحراء المجدبة.

ولولا ما كانوا عليه من خلق عظيم زاده الإسلام بتعاليمه رقة، ووجهه إلى الصالح العام، لما رأيت منهم القادة الأفذاذ والساسة المحنكين والقضاة العدول والحكام القادرين ويهرونون العالم بالأمس التي وضعوها، والنماذج التي ضربوها فهي من وحي الفطرة وبداية الأخلاق وارشاد الدين.

لقد انضجتهم الصحراء وهيأتهم للقيادة والسيادة والحكم.

فلما جاء الإسلام أتاح لهم الفرصة ليعملوا ولتظهر مزاياهم على حقيقتها^(١).

لقد اتصف فتيان العرب في الجاهلية بكثير من خلال الخير ومكارم الأخلاق، وكانت قدوة لقومهم وزعماء لهم، ويروى عن الرسول الكريم قوله: "إنا بعثت لأتمّ مكارم الأخلاق"^(٢). فالحديث الشريف يثبت أنّ عرب الجاهلية كان فيهم من يتحلى بهذه الصفات، وأنّ النبي عليه السلام قد جاء برسالته العظيمة ليتمم هذه المكارم الخلقيّة^(٣).

وجعل الإسلام الصفح عن الإساءة وكظم الغيظ واحتمال الأذى من أكبر الصفات التي يجازي عليها فقال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رُّحْكُمْ وَجَنَّةٍ عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلْمُتَّقِينَ»^(٤).

واما حياة الضعيف واغاثة الملهوف والحرص على سعادة المرأة من الأمور التي حثّ عليها الإسلام ووعظ بها القرآن الكريم، وجعل ثواب العاملين بها عظيم.

(١) الفتنة عند العرب / عمر دسوقي ص ١٤٢.

(٢) كنز العمال / ج ٢ / ص ١٦ / حديث رقم ٥٢١٧ + السنن الكبرى للبيهقي / ج ١٠ / ص ١٩٢، التحفة السادة المتدينين بشرح حلوم الدين ج ١ / ص ١٧١، مسنن الشهاب ج ٢ / ص ١٩٣ (حديث رقم ١١٦٥).

(٣) الفتنة عند العرب / عمر دسوقي ص ١٣٣.

(٤) سورة آل عمران / آية ١٢٣.

فَاللَّهُ تَعَالَى يُوصِّنَا بِكِتَابِهِ: ﴿ وَإِلَوَالَّذِينَ إِحْسَنُوا وَيُذْكَرُ الْقَرِبَى وَالْبَشَّارُى
وَالْمَسَكِينُونَ وَالْجَارِ ذِي الْقَرِبَى وَالْجَارِ الْجُنُبُ وَالضَّاحِكُ بِالْجُنُبِ وَأَئْنَ الْسَّبِيلُ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ حَكَانَ مُخْسِلًا فَخُورًا ﴾^(١).

كما أن القرآن حث على الوفاء بالوعد بأكثر من موضع ﴿ وَالْمُؤْفُوتُ بِعَهْدِهِمْ
إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٢).

كما أنها نجد الإسلام قد هدب النجدة فلم تعد نصرة المستغيث ظالماً أو مظلوماً ولكن تحولت إلى دفاع عن الدين وحرمة المبدأ والعقيدة ونشر أكوية العدل والحرية بين الناس ولم تعد النعرة القبلية والعصبية الجاهلية هي الحافز للجهاد، ولكن الدفاع عن الحق ونصرة الدين وسيادة المبدأ واعتزاز العرب بإسلامهم ودينهم هي الغاية وهي الدافع والحافز^(٣).

كان هذا شأن العرب في حروبهم، شهامة وفتورة وتجده وغوث للضعف ولو كان من أعدائهم ولما أسر كفار قريش في معركة بدر أوصى بهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم خيراً^(٤).

إن أخلاق الفتى وتعاليم الفتوة تجلت في الإسلام ورجائه الأفذاذ وأنها تحولت من مزايا فردية إلى مبادئ عامة تطالب بها الأمة، ولم يزدتها الإسلام إلا جمالاً وكمالاً وتهذيباً^(٥).

(١) النساء / آية ٣٦.

(٢) البقرة / آية ١٧٧.

(٣) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص ١٤١.

(٤) نفس المصدر ص ٣١٧.

(٥) نفس المصدر ص ١٤٢.

وهذا أبو البهاء عمر بن عامر يوثى يزيد بن مزيد الشيباني بهذه الأبيات:
نعم الفتى فجئت به إخوانه

يوم القيع حوادث الأيام
سهيل الغناء إذا حللت بيابو

طلق اليدين مؤدب الخدام
وإذا رأيت صديقة وشقيقة

لم تذر أيهما ذرو الأرحام^(١).

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي نجد أن كلمة الفتوة تستعمل للدلالة على المروءة من
نبل وكرم وشم وعدم تكلف^(٢).

(١) وفيات الأعيان جا / ٣٤٠.

(٢) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص ٥٣.

المصادر الكتابية للفتوة

اعتمدت الفتوة في مصادرها الرئيسية على القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة في الدرجة الأولى.

أ- القرآن الكريم:

فقد ورد ذكر الفتوة في عدّة سور من القرآن الكريم، في سورة الكهف، الأنبياء، النساء، النور، يوسف.

سورة الكهف:

تبعد المواطن التي وردت بها كلمة الفتوة في سورة الكهف فوجدتها أكثر من آية. يقول الحق عز وجل في حكم كتابه عن أهل الكهف: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبُّنَا مَنْ مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهَيْئَةً لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشِيدًا﴾^(١). وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقْصُنُ عَلَيْكَ تَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءاْمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَّنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَسْمَاءِ وَالْأَرْضِ لَنْ نُدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطَنا ۝ هَلْ لَهُمْ قَوْمٌ أَتُخَذُوا مِنْ دُونِهِ وَاللَّهُ لَنَّ لَهُ لَذَّةٌ إِذَا شَرَقَنَا ۝ هَلْ لَهُمْ قَوْمٌ أَتُخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۝ وَإِذْ أَعْتَزَ لَشَمْوَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوْدًا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَءُومَتِهِ وَهَيْئَةً لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾^(٢).

ويقول الحق العزيز في حكم كتابه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْيَةٍ لَا أَمْرُحُ حَتَّىٰ أَتَلْعَجَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقبًا﴾^(٣).

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءاثَارِهِمَا قَصْبَصَا﴾^(٤).

(١) سورة الكهف / آية ١٠.

(٢) سورة الكهف / الآيات من ١٦-١٣.

(٣) سورة الكهف / آية ٦٠.

(٤) سورة الكهف / آية ٦٤.

وقال تعالى: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ قَالَ لِفَتَنَةٍ إِذَا عَدَاهُنَا لَقَدْ لَقِيْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا»^(١).

وسوف أتناول بالشرح والمناسبة التي نزلت بها هذه الآيات في موضع آخر من هذا الفصل وذلك أثناء الحديث عن قصة أهل الكهف وفتى سيدنا موسى عليه السلام.

سورة النساء:

ورد ذكر الفتنة في سورة النساء في آية واحدة، يقول الحق تبارك وتعالى في الترتيل الحميد:

«وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوَّلَ أَنْ يَنْعِجَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّنَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَّبِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَنْكِبُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِنَّكُمْ حُوْنَهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوْهُنَّ أَجْوَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرُ مُسَفِّهَاتٍ وَلَا مُشَنِّدَاتٍ أَخْذَانُ فَإِذَا أَخْصَنَ فَإِنْ أَتَيْتَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ بِنَصْفِ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْغَنَّتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرًا لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٢).

سورة الأنبياء:

ورد ذكر الفتنة في سورة الأنبياء في آية واحدة على لسان قوم إبراهيم عليه السلام:
قال تعالى: «قَالُوا سَمِعْنَا فَتَنَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ»^(٣).

سورة النور:

قال تعالى: «وَلَا تُكَرِّهُوْا فَتَيَّبِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنَّ أَرْذَنَ الْمُحْصَنَاتِ لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الْدُنْيَا وَمَنْ يُكَرِّهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٤).

(١) سورة الكهف / آية ٦٢.

(٢) سورة النساء / آية ٢٥.

(٣) سورة الأنبياء / آية ٦٠.

(٤) سورة النور / آية ٣٣.

سورة يوسف:

ورد ذكر الفتنة بأكثر من آية. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرَأُتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَنَّهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَّفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ الْسِجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَخْدُهُمَا إِنِّي أَرِبِّنَى أَغْصِرُ حَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِبِّنَى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي حُبْرًا تَأْكُلُ الظَّيْرُ مِنْهُ نَبَقْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَنَّكَ مِنَ الْمُخْسِنِينَ ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِفَتَيَانِهِ أَجْعَلُوكُمْ بِضَعْتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَيْكُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(٣).

بـ- السنة: ورد في السنة أخبار عن الفتنة والختار منها ما رواه جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لفتيان أمي عشر علامات ". قال يا رسول الله : " وهل لامتك فتيان؟ قال نعم، وain الفتنة الأولى من فتوة أمري ".

قال وما تلك العلامات يا رسول الله؟ قال الرسول: "صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الكلب، والرحمة للبيتيم، واعطاء السائل ويدل النائل، واكتثار الصنائع، وقرى الضيف ورأسهن الحياة "^(٤).

وروى الفضل بن عياض^(٥) شيخ الفتيان رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبي حازم^(٦) عن سهل بن سعد الساعدي^(٧) قال: قال رسول الله صلى الله

(١) سورة يوسف / آية ٣٠.

(٢) سورة يوسف / آية ٣٦.

(٣) سورة يوسف / آية ٦٢.

(٤) الفتنة / لأبن العمارة ص ١٣٣.

(٥) الفضل بن عياض من تقييم خرساني المنشأ، سمرقandi المولد من مشاهير الصوفية والعيار، كانت وفاته سنة ١٨٧ هـ .

(٦) أبو حازم الأعرج التمار - سلمة بن دينار.

(٧) صحابي من أهل المدينة توفي سنة ٩١ هـ الأعلام ج ٢ ص ١٤٣.

عليه وسلم ^١ ليأتي على الناس زمان تعدم فيه الفتوة وتنقص فيه المروءة وتضيق فيه الأخلاق ويستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فإذا كان ذلك فانتظروا العذاب صباحاً ومساءً ^(١).

كما روي عن الرسول الكريم صلوات الله عليه أنه قال: "افتاكم عليٌّ" ، فقال علي كرم الله وجهه: يا رسول وما الفتوة؟ فقال عليه السلام: "شرف يتشرف به أهل النجدة والسماح، وانت يا علي فتى وابن فتى وأخو فتى" فقال علي: يا رسول الله من أبي ومن أخي من الفتىان؟ فقال الرسول: أبوك إبراهيم خليل الرحمن، وأخوك أنا، وفتوي من فتوة أبيك، وفتوىك مني وسلام إليك سلام يوم غزوة حنين ^(٢).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما ندم من استشار ولا خاب من استخار ^(٣) وقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه بمشاورة من هو دونه في الرأي والحزم فقال: (وَشَاوِرُوهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ^(٤).

وسئل بعض الحكماء: أي الأمور أشد تأييداً للفتوى وأيها أشد اضراراً به؟ فقال: أشدها تأييداً له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء وتجربة الأمور، وحسن التثبت، وأشدها اضراراً به ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة ^(٥).

كما روي عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري ^٦ أما بعد فإن الخير كله في خلتين: الرضا، والفتوة، فإن لم تستطع الرضا فعليك بالفتوة وهي الصبر على المكاره، ألم تر إلى إبراهيم عليه السلام حين صبر على كل بلية،

(١) الفتوة / لأبن المعمار ص ١٣٣.

(٢) نفس المصدر ص ١٣٤.

(٣) ورد الحديث على التحو التالي في المعجم الأوسط والصغير وكشف الخفا ((ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقصد)). المعجم الوسيط للطبراني / ج ٥ / ص ٧٧ (حديث رقم ٦٦٢٧) والمعجم الصغير / ج ٢ / ص ٧٨. وكشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس / العجلوني / ج ٢ / ص ١٨٥ (حديث رقم ٢٢٠٥).

(٤) آل عمران / آية ١٥٩.

(٥) العقد الغرير ج ٢ ص ٢٤.

فصارت نعمة وعطية، وصبر على القائه في النار، فصارت بربداً وسلاماً. وصبر على ذبح ولده فداء الله بذبح عظيم. وصبر سيدنا يوسف عليه السلام على القائه بالجح والسجن، فنال ملوك مصر، وقاله له اخوه: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾^(١).

(١) الطبرى ١ / ١٨٤، الفتوة / لابن المعمار ص ١٣٧، والأية ٩١ من سورة يرسف.

ابراهيم عليه السلام

أورد ابن المumar في كتابه "الفتوة" بأن سيدنا ابراهيم هو مبدأ الفتنة ومنتهاها، فابراهيم الخليل هو خليل الله وأبو الفتىان، حيث قام بكسر الأصنام واعرض عن الأنماط حين قال له جبرائيل عليه السلام: هل لك حاجة؟

وقد القوا به في النار، فقال سيدنا ابراهيم أما اليك فلا، وأما إلى الله فعلمته بحاله يعنيه ، فتولى الحق عز وجل قضاء حاجته بنفسه وكفأه على هذا الموقف فأنزل قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْنِرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(١).

حين قام خليل الله بتكسر الأصنام في يوم عيدهم حتى أصبحت فتاتاً وعلق الفاس في عنق أكبر هذه الأصنام، وعندما رجعوا وشاهدوا آهاتهم وما حل بها، قال بعضهم لبعض من عمل هذا؟

فاحضروا سيدنا ابراهيم وقالوا له: (إِنَّكَ قَعَدْتَ هَذَا بِعَالَهِتَنَا يَسْتَأْنِرُ إِبْرَاهِيمَ)^(٢)، فاجابهم بأن من فعل ذلك هو كبيرهم هذا.

وقال تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتَنَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣).

ومدحه فقال: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوْهٌ)^(٤).

ووصف أضيفه أنهم مكرمون فقال: (هَلْ أَتَلَكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرِمِينَ)^(٥).

لما قام على خدمتهم بنفسه ولقيهم بوجه طلق.

ولم تزل الفتنة عنه تتصل بالأنبياء والصديقين حتى وصلت إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وهو أفتى الفتىان^(٦).

(١) سورة الأنبياء / آية ٦٩.

(٢) سورة الأنبياء / آية ٦٢.

(٣) سورة الأنبياء / آية ٦٠.

(٤) سورة هود / آية ٧٥.

(٥) الذاريات / آية ٢٤ (ضيوف ابراهيم ملائكة قيل أن عددهم إثنا عشر، وقيل عشرة، وقيل ثلاثة منهم جبريل عليه السلام).

(٦) الفتنة / لأبن المumar ص ١٤٠.

حدث فتیان أهل الکهف فی القرآن الکریم

قال الله تعالى: ﴿أَتَرْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ عَائِدِنَا عَجَباً﴾^(١).

قال الزخيري في تفسيره: «أَتَرْ حَسِبْتَ» يعني أن ذلك أعظم من قصة أهل الكهف^(*)، وابقاء حياتهم مدة طويلة.

قال أمية ابن أبي الصلت:
ولَيْسَ بِهَا إِلَّا الرَّقِيمُ^(**) مُجاورًا
وَصَيْدَهُمُ الْقَوْمُ فِي الْكَهْفِ هُمْ^(**)

وفيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم ووضع على باب الكهف، وقيل أن الناس رسموا حديثهم نقرأ في الجبل.

وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف، وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين^(۲).

وقال القرطبي في تفسيره عندما سأله المشركون عن فتية فقدوا وعن ذي القرنين والروح، نزلت هذه الآية الكريمة على الرسول الكريم: ألم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، أي ليسوا بعجب من آياتنا، بل فيها ما هو أعجب من خبر أهل الكهف.

قال الكلبي: خلق السموات والأرض أعجب من خبرهم.

(۱) سورة الكهف / آية ٩.

(*) الکهف : الغار الواسع في الجبل.

(**) الرقيم : اسم كلب أهل الكهف.

(**) هامد : رافق.

(۲) الكشاف / تفسير سورة الكهف آية ٩.

وقال الضحاك: ما اطمعتك عليه من الغيب أعجب.

وقال الجندى: شانك في الإسراء أعجب.

وقال الماوردي: معنى الكلام النفي، أي ما حسبت لولا أخبارنا.

وقال أبو سهل: استفهام تقرير، أي حسبت ذلك لأنهم عجب.

والكهف: النقب المنسع في الجبل، وما لم يتسع فهو غار، وحوى النقاش عن ابن مالك أنه قال: الكهف الجبل، واختلف الناس في الرقيم، فقال ابن عباس: كل شيء في القرآن أعلم إلا أربعة: غسلين وحنان والأواة والرقيم.

وسئل مرة عن الرقيم فقال: زعم كعب أنها قرية خرجوا منها.

وقال مجاهد: الرقيم واد.

وقال السدي: الرقيم الصخرة التي كانت على الكهف.

وقال ابن زيد: الرقيم كتاب ^{غُمَّ} الله علينا أمره ولم يشرح لنا قصته.

وقالت فرقه: الرقيم كتاب في لوح من نحاس.

وقال ابن عباس: في لوح من رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فرّ الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاربخاً لهم، ذكروا وقت فقدهم، وكم كانوا وأسمائهم.

وقال الفراء: الرقيم لوح من رصاص كتب فيه اسمائهم وانسابهم ودينهم وثمن هربوا.

قال ابن عطية: ويظهر من هذه الروايات انهم كانوا قوماً مؤرخين للحوادث.

وهذه الأقوال مأخروذة من الرقيم.

وروي عن سعيد بن جبير قال: ذكر ابن عباس أصحاب الكهف فقال: إن الفتية قدروا فطلبهم أهلوهم فلم يجدوهم، فرفع ذلك إلى الملك فقال: ليكونن لهم نباً، واحضر لوحًا من رصاص فكتب فيه اسمائهم وجعله في خزائنه.

وقيل في رأي آخر: إن مؤمنين كانوا في بيت الملك فكتباً شأن الفتية واسماءهم وانسابهم في لوح من رصاص ثم جعلاه في تابوت من نحاس ووضعاه في البستان، والله أعلم.

وقال النقاش عن قتادة: الرقيم دارهم وقيل الرقيم اللوح من الذهب تحت الجدار الذي أقامه الخضر عليه السلام.

وقيل : أصحاب الغار الذي انطبق عليهم إلى آخر ذلك من الأقوال.

وقد اختلفت الآراء والاجتهادات في مكان الكهف وأمر الرقيم وعلمهم عند الله.

وقال قوم: أخبر الله تعالى عن أصحاب الكهف، ولم يخبر عن أصحاب الرقيم بشيء.

وقال الضحاك: الرقيم بلدة بالروم فيها غار فيه أحد وعشرون نفساً كانوا نائم على هيئة أصحاب الكهف^(١).

فعلى هذا هم فتية آخرون جرى لهم ما جرى لاصحاب الكهف والله أعلم.

وفي الرقيم: واد دون فلسطين فيه الكهف.

قال ابن عطية: وبالشام على ما سمعت به ناس كثيرون (كهف) فيه موتى يزعم مجاوروه أنهم أصحاب الكهف وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ومعهم كلب رمه^(٢).
وموقع آخر في الأندلس من جهة غرناطة بقرب قرية نسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمه.

وأكثرهم قد تجرد لحمه وبعضهم متماست^(٣).

يزعم أناس أنهم أصحاب الكهف وقد بنى عليهم مسجد، وقريب منهم بناء رومي يسمى الرقيم كأنه قصر مُخلق قد بقي بعض جدرانه، وهو في فلة من الأرض خربة وبأعلى غرناطة مما يلي القبلة آثار مدينة قديمة رومية يقال لها دَقِيُوس^(٤).

(١) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٥٦ وما بعدها.

(*) رمه: جنة باليه ومتغفته.

(٢) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٥٨.

(٣) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٥٨.

ويوجد في الأردن وتحديداً جنوب شرق عمان بحدود عشرة كيلو مترات مكان يدعى الرقيم وبه كهف، وبداخله قبور موتى، وقد بني عليه مسجد.

وقال آخرون أن بالبلقاء بأرض العرب من نواحي دمشق موضعًا يزعمون أنه الكهف والرقيم قرب عمان، وذكروا أن عمان هي مدينة دقيانوس، وقيل في الأندلس موضع يقال له جنان الورد به الكهف والرقيم، وبه قبور موتى لا يملون.

وذكر على ابن بحبي أنه لما قفل من أحدي غزواته دخل ذلك الموضع فرأهم في مغارة يصعد إليها من الأرض بسلم عقداره ثلاثة ذراع، قال: فرأيتهم ثلاثة عشر رجلاً وفيهم غلام أمرد عليهم جباب صوف وأكسية صوف وعليهم خصاف ونعال فتناولت شعرات من جبهة أحدهم وال الصحيح أن أصحاب الكهف سبعة، وإنما الروم زادوا الباقى من عظماء أهل دينهم وعالجو أجسادهم بالصبر وغيره^(١).

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان: أن الرقيم بقرب البلقاء من أطراف الشام يزعم بعضهم أن به أهل الكهف، وقيل أنه بلاد الروم^(٢).

ووجه الواقع محمد بن موسى المنجم إلى بلاد الروم للنظر إلى أصحاب الكهف والرقيم، قال: فوصلنا إلى بلد الروم فإذا هو جبل صغير بداخله سرب، فتمر من خلال السرب إلى رواق في الجبل على اساطين منقرفة وفيه عدة أبيات، منها : بيت مرتفع العتبة مقدار قامة عليها باب حجارة فيه الموتى، ورجل موكل بهم يحفظهم يساعده بذلك رجالان فمنعنا في بادئ الأمر من رؤيتهم، إلا أنه أخيراً سمح لنا أن نصعد، وعندما صعدت أنا وغلام لي بشفه باللغة، فنظرت إليهم وإذا هم في مسوح شعر تفتت في اليد

(١) معجم البلدان، ج ٢ ص ٦١.

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ٦١.

وإذا أجسادهم مطلية بالصبر والمرّ والكافور ليحفظوها، وإذا جلودهم لاصقة بعظامهم، كما أنه استطاع أن يُمْرِّزَ يديه على صدر أحدهم فوجد خشونه شعره وقوته ثيابه^(١).

وروى عباده بن الصامت قال: بعثي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، سنة استخلف إلى ملك الروم أدعوه إلى الإسلام قال: فسرت حتى دخلت بلد الروم فلما دنوت إلى قسطنطينية لاح لنا جبل آخر قيل أن فيه أصحاب الكهف والرقيم، فادخلنا الحراس إلى سرب في الجبل، وكان عليه باب من حديد ففتحوه فاتهينا إلى بيت عظيم محفور في الجبل فيه ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم كانوا رقود، وعلى كل واحد منهم جبة غراء، وكساء أغبر قد غطوا بها رؤوسهم إلى أرجلهم، فلم تذر ما ثيابهم أمن صوف أو وبر أم غير ذلك، إلا أنها كانت أصلب من الديباج.

ورأينا على أكثرهم خفافاً وبعضهم متعلقين بتعال مخصوصة، فكشفنا عن وجوههم رجلاً بعد آخر، فإذا بهم من ظهور الدم وصفاء الألوان كأفضل ما يكون للأحياء، وإذا الشيب قد وخط بعضهم، وبعضهم شبان سود الشعور وبعضهم موفورة شعورهم وبعضهم مطمومة وهم على زي المسلمين، فاتهينا إلى آخرهم فإذا هو مضروب الوجه بالسيف وكأنه في ذلك اليوم ضُرب.

فسألنا أولئك الذين أدخلونا إليهم عن حالمهم فأخبرونا أنهم يدخلون إليهم في كل يوم عبد لهم يجتمع أهل تلك البلاد إلى باب هذا الكهف فتنقض جبابهم ونقطم أظافرهم ونقص شواربهم ثم نعيدهم على هيئةهم التي ترونها.

فسألناهم من هم وما أمرهم ومنذ كم هم بذلك المكان، فذكروا أنهم يجدون في كتبهم أنهم بمكانهم ذلك من قبل ببعث المسيح عليه السلام بأربعين سنة، وأنهم كانوا أنبياء بعثوا بعصر واحد، وأنهم لا يعرفون من أمرهم شيئاً غير ذلك^(٢).

وقال تعالى: «إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَبِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشِداً»^(٣).

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٦٠ وما بعدها.

(٢) معجم البلدان ج ٣ ص ٦١ وما بعدها.

(٣) سورة الكهف / آية ١٠.

قال القرطبي في تفسيره فيه ثلاثة مسائل^(١):

الأولى: قوله تعالى: **﴿إِذْ أَرَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾**^(٢) روى أنهم قوم من أبناء أشراف مدينة دقیوس الملك الكافر، ويقال فيه دقینوس، وروي أنهم كانوا مطرقين مسوريين بالذهب ذوي ذواب وهم من الروم واتبعوا دین عیسی، وقيل قبل عیسی عليه السلام والله أعلم.

وقال ابن عباس: إن ملكاً من الملوك يقال له دقیانوس ظهر على مدينة من مدن الروم يقال لها افسوس، وقيل هي طرسوس وكان بعد زمن عیسی، فأمر بعبادة الأصنام فدعا أهلها إلى عبادة الأصنام، وكان بها سبعة أحداث يعبدون الله سراً، فرفع خبرهم إلى الملك وخافوه فهربوا ليلاً ومرروا برابع معه كلب فتبعهم فأتوا إلى الكهف، فتبعدهم الملك إلى قم الغار، فوجد أثر دخولهم ولم يجد أثر خروجهم، فدخلوا فأعمى الله أبصارهم فلم يروا شيئاً.

فقال الملك سدوا عليهم باب الغار حتى يعودوا فيه جوعاً وعطشاً.

وروى مجاهد عن ابن عباس أيضاً أن هؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الأصنام ويذبح لها ويکفر بالله وقد تابعه على ذلك أهل المدينة، فوقع للفتية علم من بعض المخواربين حسبما ذكر النقاش أو من مؤمني الأمم قبلهم، فآمنوا بالله ورأوا بيصائرهم قبيح فعل الناس فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله، فرفع أمرهم إلى الملك وقيل له: إنهم قد فارقوا دينك واستخفوا آهتك وكفروا بها فاستحضرهم الملك إلى مجلسه

(١) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٥٨ وما بعدها.

(٢) سورة الكهف / آية ١٠.

وأمرهم باتباع دينه والذبح لأمته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما روي:
﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

وروي أنهم قالوا نحو هذا الكلام، وليس به فقال لهم الملك: أنكم شبان أغمار لا عقول لكم، وأنا لا أتعجل بكم بل أستأنني فإذا هبوا إلى منازلكم ودبروا رأيكم وأرجعوا إلى أمري، وضرب لهم في ذلك أجلاً.

ثم أن الملك سافر خلال الأجل فشاور الفتية في الهروب بأديانهم، فقال لهم أحدهم: أني أعرف كهفاً في جبل كذا، كان أبي يدخل فيه غنمه فلنذهب لنختفي فيه حتى يفتح الله لنا.

فخرجوا فيما روي يلعبون بالصوجان والكرة في طريقهم لثلا يشعر الناس بهم. وروى وهب بن متبه أن أول أمرهم إنما كان حواري لعيسى بن مرريم جاء إلى مدينة أصحاب الكهف يريد دخولها فأجر نفسه حمام، وكان يعمل فيه، فرأى صاحب الحمام في أعماله بركه عظيمه فألقى إليه بكل أمره، وعرف ذلك الرجل فتباً من المدينة فعرّفهم الله تعالى فآمنوا به واتبعوه على دينه واشتهرت خطتهم به، فاتى يوماً إلى ذلك الحمام ولد الملك بامرأة أراد الخلوة بها فنهاه ذلك الحواري فانتهى، ثم جاء مرة أخرى فنهاه، فشتمه ابن الملك وأمضى عزمه على دخول الحمام مع البغي، فدخل فماتا فيه جميعاً، فاتهم ذلك الحواري وأصحابه بقتلهم. ففروا جميعاً حتى دخلوا الكهف.

وأما الكلب فروي أنه كان كلب صيد لهم، وروي أنهم وجدوا في طريقهم راعياً له كلب قاتلهم الراعي على رأيهم وذهب الكلب معهم، قال ذلك ابن عباس، واسم الكلب حران، وقيل قطمير.

وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية والسد في معرفتها واء، والذي ذكره الطبرى هي هذه: مكسلمينا وهو أكبرهم والمتكلم عنهم، ومحسبيلينا ويليخا وهو الذي حضى

(١) سورة الكهف / آية ١٤.

بالورق إلى المدينة عند بعثهم من رقتهم، ومرطوس وكشو طوش ودينموس ويطنوس وبيرونوس، قال مقاتل: وكان الكلب لمسلمينا وكان أئتهم وصاحب غنم^(١).

الثانية: هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة، وما يلقاء الإنسان من المخنة وقد اعتبرت هجرة الرسول الكريم وأصحابه من مكة إلى المدينة سندًا لذلك.

وفي صحيح البخاري قال: خرج رسول الله من مكة إلى المدينة هاربًا من قومه، فارأ بيته مع صاحبه أبو بكر إلى غار بحيل ثور، ومكانها به ثلاثة ليالي، يبيت معهما عبد الله بن أبي بكر.

قال العلماء ، الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب ومرة في السواحل والرياط، ومرة في البيوت، وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " نعم جوامع المؤمنين بيوتهم " .

وروى البغوي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المؤمن الذي يخالف الناس ويصبر على آذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالف لهم ولا يصبر على آذاهم " .^(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم: " يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغشم يتبع بها شعف الجبال و مواقع القطر يفرّ بيته من الفتنة " .^(٣)

وقال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ إِذَا نِهَمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾^(٤).

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: إن الله ألقى النوم عليهم (أي الفتنة) وهذه من فضائح القرآن التي أقرت العرب بالقصور عن الإitan بثله.

(١) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٦٠ (أسنهم: أكبرهم سنًا).

(٢) تفسير القرطبي / ج ٥ / ص ٣٩٧٨.

(٣) نفس المصدر ج ١٠ ص ٣٦١.

(٤) سورة الكهف / آية ١١.

قال الزجاج: أي منعناهم عن أن يسمعوا، لأن النائم إذا سمع اتبه.
وقال ابن عباس: ضربنا على آذانهم بالنوم، أي مددنا آذانهم عن تفود الأصوات
إليها.

وقيل: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ أَذَانِهِم﴾^(١) أي استجبنا دعاءهم وصرفنا عنهم شر
قومهم وأغناهم^(٢).

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ أَذَانِهِم﴾^(٣) أي ضربنا
عليها حجاباً من أن تسمع، يعني أغناهم إنما تقبيله لا تتباهم فيها الأصوات، كالمستغل
في نومه يصبح به فلا يسمع ولا يستبه^(٤).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعْثَنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْجِنِّينِ أَحْصَنَ لِمَا لَبَثُوا أَمْدَأ﴾^(٥).
أي من بعد نومهم، الذي أي الجنين المختلفين في المدة التي لبثوها راقدين، وعندما
سأل بعضهم عن مدة مكثهم، ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَثِكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبَثْتُم﴾^(٦).

﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِسْيَةٌ عَامَّنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَهُمْ هُدًى﴾^(٧).
أي شباب حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة ويسرناهم للعمل الصالح
والانقطاع لعبادة الله ومباعدة الناس والزهد في الدنيا^(٨).

(١) الكهف/آية ١١.

(٢) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٦٣.

(٣) سورة الكهف/آية ١١.

(٤) الكشاف / تفسير سورة الكهف / آية ١١.

(٥) سورة الكهف / آية ١٢.

(٦) الكهف/آية ١٩.

(٧) سورة الكهف / آية ١٣.

(٨) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٦٤.

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا
مِنْ دُونِهِ إِلَّا هُنَّا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا ﴾^(١).

وقرئناهم بالصبر على هجر الأوطان والفرار بدينهم إلى بعض الغيران وجسرناهم
على القيام بكلمة الحق والظهور بالإسلام^(٢).

﴿ هَتَّلَاءُ قَوْمًا أَتَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَكُمْ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنِ
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَكُتُمْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾^(٣).

قال بعضهم لبعض أن قومنا وأهل عصرنا ولدنا عبدوا الأصنام، وأقاموا البيوت
بكونها الآلهة من غير حجة^(٤).

﴿ وَإِذْ أَعْتَزَ لِتَمُورُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوْدُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَثْكُمْ مِنْ
رُحْمَتِي وَتُهَبِّي لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾^(٥).

ومضمون هذه الآية أن بعضهم قال لبعض: إذا فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى
فلنجعل الكهف مأوى لنا ونترك على الله، فإنه سيسلط علينا رحمته ويهب لنا من أمرنا
مرفقا^(٦).

(١) سورة الكهف / آية ١٤.

(٢) الكشاف ص ٧٠٧.

(٣) سورة الكهف / آية ١٥.

(٤) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٦٦.

(٥) سورة الكهف / آية ١٦.

(٦) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٦٧.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تُزَارِرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تُقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجُورٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلَلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(١).

إذا طلعت عليهم الشمس تميل عن كهفهم ذات اليمين، أي يمين الكهف، وإذا غربت تمر بهم ذات الشمال، أي شمال الكهف، فلا يصيهم من أشعة الشمس سواء في بداية النهار، أو في نهايته إلا بيسير من شعاعها وذلك كرامة لهم^(٢).

﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلِّبُهُمْ بَسِطٌ دِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلِقَتْ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾^(٣).

قال أهل التفسير: كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون، فالرأي يحسبهم ايقاظاً وقيل: تحسبهم ايقاظاً لكثرة تقلبهم كالستيقظ من مضجعه وهم ركوع وسجود وقعود. (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)^(٤).

كان لهم في كل عام تقليستان، وقيل في كل سنة مرة، وقيل كل سبع سنين مرة، وقيل إنما قلبوا في التسع الآواخر وذلك لثلا تأكل الأرض لحومهم، إن ذلك من فعل الله العلي القدير^(٥).

(١) سورة الكهف / آية ١٧.

(٢) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٦٩.

(٣) سورة الكهف / آية ١٨.

(٤) سورة الكهف / آية ١٨.

(٥) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٦٩ وما بعدها.

«وَسَخَلُبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ»^(١)، اختلف المفسرون في أنه كلب حقيقي وفي تسميته قال ابن عباس: هربوا ليلاً وكانوا سبعة فمرروا برابع معه كلب فاتبعهم على دينهم.

وقال كعب: مرروا بكلب فنجح لهم فطردوه فعاد فطردوه مراراً، فقام الكلب على رجليه ورفع يديه إلى السماء كهيئة الداعي فنطق فقال: لا تخافوا مني أنا أحب أصحاب الله تعالى، فناموا حتى احرسكم»^(٢).

«لَوْ أَطْلَقْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا»^(٣).

أي لو أشرفتم عليهم هربت منهم وذلك لوحشة المكان الذي هم به، فلا يجر أحد على الدنو إليهم»^(٤).

«وَكَذَّلَكَ بَعْثَتْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَاتِلُ مِنْهُمْ كَيْمَ لِيَشْمَهُ قَاتُلُوا لِيُشَانَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَاتُلُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لِيَشْمَهُ فَابْعَثُوكُمْ أَحَدَكُمْ بِوَرْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَيُنَظِّرُ أَيُّهَا أَرْسَكَنِي طَعَامًا فَلَيَأْتِيَكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلَيَنْلَظِفَ وَلَا يُشْعِرُنَّ بِكُمْ أَحَدًا»^(٥).

أي ايقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه من هبتهم في ثيابهم وأحواتهم، قال أمرى القيس.

وقيلان صدق قد بعثت بسخرة

فقاموا جميعاً بين عاثر ونشوان

وعندما استيقظوا أخذوا يتتحدثون فيما بينهم عن المدة التي مكثوها نائمين، فبعضهم قال مكثنا يوماً أو بعض يوم، فقال رئيسهم الله أعلم بالمدة ثم بعنوا احدهم بما لديهم من

(١) سورة الكهف / آية ١٨.

(٢) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٧٠.

(٣) سورة الكهف / آية ١٨.

(٤) نفس المصدر ج ١٠ ص ٣٧٣.

(٥) سورة الكهف / آية ١٩.

الورق لشراء حاجتهم من الطعام، وأوصوه أن يشتري لهم طعام لشخصين أو ثلاثة، لثلا ينكشف أمرهم، وأن يدخل المدينة بطريق التقى حتى لا يشعر به أحد وذلك خوفاً على انكشف أمرهم^(١).

»إِنَّهُمْ وَان يَظْهِرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا^(٢).«

أي إن انكشف أمره فلا يقع اخوانه بما وقع فيه، فإذا انكشف أمركم لربما يرجوكم بالحجارة أو بالسب والشتم، أو يعذبكم في ملتهم ولن تفلحوا.

»وَكَذَلِكَ أَعْشَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذَا يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرِهِمْ فَقَالُوا أَبْتُوا عَلَيْهِمْ بُشِّرَنَا رَبِّهِمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَتَتَحْذَرُ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا^(٣).«

لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتياهم برزق منها، استذكر شخصه واستذكرت دراهمه بعد العهد، فحمل إلى الملك وكان صالحًا قد آمن وأمن من معه، فلما نظر إليه قال: لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيوس فإني قد كنت أدعوا الله أن يرينيهم وأن يعلمني مكانهم، ودعا مشيخة أهل القرية، وكان رجل منهم قد كان عنده اسمائهم وانسابهم، فسألهم فأخبروه فقال الفتى: صدق وانطلق الملك وأهل المدينة معه لأن يدهم على أصحابه، حتى إذا دنوا من الكهف سمع الفتية حسن الناس فقالوا: أتيس ظهر على صاحبكم فاعتني بعضهم بعضاً.

فلما دنا الفتى منهم أرسلوه، فلما قدم إلى أصحابه ماتوا عند ذلك ميته الحق، فلما نظر إليهم الملك شق عليه أن لم يقدر عليهم أحياء، وقال: لا ادفنهم إذا فاتوني بصدقوق

(١) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٧٤ وما بعدها.

(٢) سورة الكهف / آية ٢٠

(٣) سورة الكهف / آية ٢١.

من ذهب، فأتاه آتٌ منهم في المِنَام فقال: أردت أن تجعلنا في صندوق من ذهب، فلا تفعل ودعنا في كهفنا فمن التراب خلقنا واليه نعود، فتركهم في كهفهم وبنى عليهم مسجداً^(١).

﴿سَيُقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كُلُّهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَّجُمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُلُّهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِرْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَأَةٌ ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفِتْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٢).

لقد اختلف المفسرون في عدد أهل الكهف، فبعضهم قال ثلاثة رابعهم كلهم وبعضهم قال خمسة سادسهم كلهم وبعضهم قال سبعة ثامنهم كلهم.

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾^(٣) فلا يعلم عددهم إلا الله عز وجل، وقد أمر الله نبيه عليه السلام أن يردد علم عدتهم إليه^(٤).

﴿فَلَا تُمَارِرْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَأَةٌ ظَاهِرًا﴾^(٥) أي لا تجادل في أصحاب الكهف إلا بما أوحيناه إليك.

﴿وَلَا تَسْتَفِتْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٦) ولا تطلب الفتيا من أهل الكتاب اليهود. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَائِئِ إِرْتَى فَاعْلُمْ ذَلِكَ عَدُّا﴾^(٧).

(١) الدر المثور في التفسير المأثور ج ٥ ص ٣٦٨.

(٢) سورة الكهف / آية ٢٢.

(٣) سورة الكهف / آية ٢٢.

(٤) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٨٣.

(٥) سورة الكهف / آية ٢٢.

(٦) سورة الكهف / آية ٢٢.

(٧) سورة الكهف / آية ٢٣.

وعندما سأله مكة عن خبر أهل الكهف، فقال أخباركم به غداً ولم يقل إن شاء الله، فنزلت هذه الآية، أي لا تقولن لشايءٍ أَيْ لِأَجْلِ شَيْءٍ فَاعْلُمْ ذَلِكَ غَدًا^(١) أي فيما يستقبل من الزمان (إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ)^(٢).

قال تعالى: (إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرْ رَبِّكَ إِذَا نَسِيْتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنَ رَبِّيْ لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشْدًا)^(٣).

إلا أن يشاء، أي اذكر مشيئة الله في كل شيء، فإذا قال الإنسان أنا افعل هذا إن شاء الله فمعناه مشيئة.

«وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيْتَ»^(٤) وهو الأمر بالذكر بعد النسيان.

«عَسَى أَن يَهْدِيَنَ رَبِّيْ لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشْدًا»^(٥) من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي (رشداً) والكلام هنا موجه إلى الرسول الكريم صلوات الله عليه هداية وقد فعل الله ذلك^(٦).

قال الله تعالى: (وَلَيَثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا)^(٧).

قال بعضهم ليثوا ثلاثة ستة وتسع سنين هذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسعة سنين.

(١) سورة الكهف / آية ٢٤.

(٢) سورة الكهف / آية ٢٤.

(٣) سورة الكهف / آية ٢٤.

(٤) سورة الكهف / آية ٢٤.

(٥) سورة الكهف / آية ٢٤.

(٦) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٩٣، القرآن الكريم / تفسير الآية ٢٤ من سورة الكهف.

(٧) سورة الكهف / آية ٢٥.

﴿فَلِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَا لَيَثُوا لَمْ يَرَوْا إِنَّمَا تُنذَّرُ أَنَّهُمْ أَبْصَرُ بِمَا وَأَسْمَعُ
مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشَرِّكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾^(١).

أي لا يعلم علم ذلك إلا الله أو من علمه ذلك.

﴿وَلَهُ عِزْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

أي ما أبصره وأسمعه (لا أحد أبصر من الله ولا أسمع).

فلا بغيض عن بصره وسمعه شيء.

(ما لهم) لأهل السموات والأرض من دونه ولهم ناصر ﴿وَلَا يُشَرِّكُ فِي حُكْمِهِ
أَحَدًا﴾^(٣) لأنه غني عن الشريك.

وقال تعالى: ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَيْلَكَ لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ
تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا﴾^(٤).

أي اتبع القرآن الكريم فلا بديل لكلمات الله ولا خلف فيما أخبر به من قصة
 أصحاب الكهف.

﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا﴾^(٥) إن لم تتبع القرآن الكريم وخالفته فلن تجد
منجا لك أو موئلاً^(٦).

(١) سورة الكهف / آية ٢٦ وتفسيرها.

(٢) سورة الكهف / آية ٢٦.

(٣) سورة الكهف / آية ٢٦.

(٤) سورة الكهف / آية ٢٧.

(٥) سورة الكهف / آية ٢٧.

(٦) تفسير القرطبي / ج ١٠ ص ٣٨٩.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَنَةٍ لَا أَبْرُجُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ»^(١).

أخرج ابن عساكر من طريق ابن سمعان عن مجاهد قال: كان ابن عباس يقول في هذه الآية: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَنَةٍ لَا أَبْرُجُ لَا انفك ولا ازال حتى "أبلغ مجمع البحرين" ويعني به ملتقى البحرين، "أو أمضي حقباً" أو أمضي سبعين خريفاً^(٢). ويقول صاحب الكشاف في تفسيره هذه الآية، قيل: إن الفتى هو يوشع ابن نون، وإنما قيل فتاة لأنها يخدمه وتبنته، وقيل كان يأخذ منه العلم.

وتفسir قوله "لا ابرج" لا ابرج ما أنا عليه يعني التزام المسير والطلب ولا اتركه أو افارقه "حتى أبلغ مجمع البحرين".

ويمثل مجمع البحرين هو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام، وهو ملتقى بحرى الروم وفارس مما يلي المشرق، وقيل طنجه، وقيل افريقية. وفي بعض التفاسير: ان البحرين موسى والخضر عليهم السلام لأنهما كانوا بحرين في العلم^(٣).

«أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا»^(٤) أو أمير زماناً طويلاً، والحقب ثمانون سنة^(٥).

وروى أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط، أمره الله أن يذكر قومه النعمة، فقام فيهم خطيباً، فذكر نعمة الله وقال: إنه اصطفى نبيكم وكلمه.

(١) سورة الكهف / آية ٦٠.

(٢) الدر المنشور ج ٥ ص ٤٠٩.

(٣) الكشاف / تفسير سورة الكهف / آية ٦٠.

(٤) سورة الكهف / آية ٦٠.

(٥) الكشاف / تفسير سورة الكهف / آية ٦٠، (ج ٢، ص ٦٨٣ + تفسير الفروطي، ج ٥، ص ٤٠٤٩).

فقالوا له: قد علمنا هذا، فأي الناس أعلم؟ قال: أنا.
 فتعجب الله عليه حين لم يرده العلم إلى الله فأوحى إليه: بل أعلم منك عبدٌ لي عند
 جمع البحر وهو الخضر، وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام.
 وكان على مقدمه ذي القرنين الأكبر، ويفتني إلى أيام موسى.
 وفيما: إن موسى سال ربه: أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني.
 قال: فأي عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى.
 قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي يتغير علم الناس إلى علمه، عسى أن يصيغ
 كلمة تدلّه على هدى، أو ترده عن ردئ.
 فقال: إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادلني عليه.
 قال: أعلم منك الخضر.
 قال: أين أطلبه؟
 قال: على الساحل عند الصخرة.
 قال: يا رب كيف لي به.
 قال: تأخذ حوتاً في مكتل^(١)، فحيث فقدته فهو هناك.
 فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت أخبرني، فذهبنا يمشيان، وعندما تعب سيلنا موسى من
 السفر، وقد ليستريح.
 فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغداء، طلب موسى الحوت
 فأخبره فتاه بوقوعه في البحر، فأتيا الصخرة، فإذا رجل مسجحٌ بشوره، فسلم عليه موسى.
 فقال: وإنني بارضتنا السلام، فعرفه نفسه فقال: يا موسى، أنا أعلم علم علمنيه الله
 لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا تعلمه أنا.
 فلما ركب السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها غتر في الماء، فقال الخضر، ما
 ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر^(٢).

(١) المكتل: السلة.

(٢) الدر المتشوّر ج٥ ص٤٠٩، الكشاف ص٧٣١ وما بعدها.

قال تعالى: «فَلَمَّا بَلَغُوا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرِيَا»^(١).

«فَلَمَّا بَلَغُوا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا»^(٢) وكان بين البحرين، «نسيا حوتهمَا» أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل إمارة على الظفر بالطلبه. وقيل نسي يوشع أن يقدمه، ونبي موسى أن يأمره فيه بشيء. وقيل: كان الحوت سمكة ملوحة.

وقيل أن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل، فترلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى، فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت، وروي أنها أكلت منها. وقيل: تووضاً يوشع من تلك العين فانتفع الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء (سريراً) أمسك الله جريه الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق^(٣). أي أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء فاغتاب عنه فبني كالكرة لم يلتم وجده ما تحنته منه وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر عليهم السلام^(٤).

ولما تجاوزا الصخرة نسي سيدنا موسى الحوت كما نسي فتاه يوشع أن يذكره بوقوعه بالبحر فانطلقما بقية يومهما وليلتهما إذا كان من الغد، «فَلَمَّا جَاؤَ رَجُلَيْهِمْ قَالَ لِفَتَنَةَ إِنَّا عَذَّلْنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفِيرِنَا هَذَا نَصَبًا»^(٥).

ولم يجد سيدنا موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال له فتاه:

(١) سورة الكهف / آية ٦١.

(٢) سورة الكهف / آية ٦١.

(٣) الطاق : الفتحة.

(٤) الكشاف، تفسير سورة الكهف، الدر المشرج ٥ ص ٤٠٩ وما بعدها.

(٥) سورة الكهف / آية ٦٢.

﴿أَرَيْتَ إِذْ أَوْتَنَا إِلَى الصُّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيْتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ
أَنْ أَذْكُرَهُ وَأَتَخَدَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾^(١).

فاتبع موسى ويوشع اثر الحوت في البحر وهم راجعون على ساحل البحر
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا أَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَمْتَهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(٢).
فوجدا الخضر عليه السلام ، فصاحب موسى الخضر وكان من شأنهم ما قص الله في
كتابه العزيز^(٣).

(١) الكهف / آية ٦٣.

(٢) سورة الكهف / آية ٦٥.

(٣) الدر المنشور ج ٥ ص ٤٠٩ وما بعدها.

سيد الفتىان عليه الصلاة والسلام

تطلب الدعوة الإسلامية جهاداً طويلاً بالحجارة تارة وبالفتورة تارة أخرى مع هؤلاء الذين أرادوا القضاء على دعوته وهي في مهدها^(١). والجهاد في سبيل الله يتطلب من المجاهدين قوة وفترة.

وقد ضرب المثل بشجاعة الرسول الكريم، حيث قال ابن عمر ما رأيت أشجع من رسول الله. وقال علي بن أبي طالب: إنا كنا إذا اشتد البأس واحرت الحدق اتقينا برسول الله^(٢).

روي في الصحاح من فتوته أو شجاعته عليه السلام أنه ذات ليلة فزع الناس بالمدينة فانطلق الناس تجاه الصوت، وكان الرسول قد سبقهم إلى مكان صدور الصوت لكشف الخبر ثم عاد راجعاً وهو يقول: لن تراغوا، لن تراغوا وهو راكب على فرسن لأبي طلحة عريان ما عليه سرج، وفي عنقه سيف، وكان أول من اجتذب ذلك الصوت:

لا يسألون آنذاهم حين يندبهم

في الناثبات على ما قال برهاناً^(٣).

واما كرمه عليه السلام، فقد كان مضرب المثل، قال ابن عباس: كان اجود الناس بالخير واجود ما يكون في شهر رمضان، وقد وصفته خديجة قائلة: إنك تصل الرحمة وتتحمل الكل، وتكتسب المدحوم ، وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الحق^(٤).
واما كرم قلبه فقد كان فذاً، لأن الله أنعم عليه بهذه الخلة الكريمة ليتم رسالته لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَقِيلًا غَلِظًا الْقُلُوبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٥).

(١) الفتورة عند العرب ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٩.

(٣) الفتورة / لأبن العمار ص ١٤١.

(٤) الفتورة عند العرب ص ١٥١.

(٥) آل عمران / آية ١٥٩.

وقال تعالى لنبيه الكريم: **(إِنَّمَا يُحِبُّ الظَّاهِرَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْجَنَاحِيْنَ)**^(١).
 وإن كرم العقل وحرفيته قد تجلت عند الرسول الكريم بنفوره منذ صغر سنه من
 مقاصد البيئة التي نشأ بها، ومن دلائل هذا الكرم العقلي نهيه بترك جميع الاعتقادات التي
 كانت سائدة بين الناس كالزجر والكهانة والعرف والرأفة والتي لا يقرها العقل السليم^(٢).
 أما الوفاء بالعهد فهي خلية مشهورة من خلاله عليه السلام قبلبعثة وبعدها.
 وأما حايته للضعيف ما اشتهر به من الشفقة والرحمة والرأفة، فقد أيدتها القرآن
 الكريم بقوله: **(عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)**^(٣).
 وقد أوصى الرسول الكريم بالضعفاء خيراً، كما كان رحيمًا بهم ولو كانوا من
 الأعداء^(٤).

وفي رأي الصوفية أن سيدنا محمد (ص) هو ساجن الفتى، حين تولاه الله يتيمًا
 وعلمه يافعًا وواسعه رجلاً وأنبه الرسالة كهلاً، ثم بوأه مقاماً لم يبوئه نبياً ولا رسولًا
 قبله^(٥).

وهكذا رأينا سيدنا محمد كيف اتجهت خلال الفتنة العربية إلى وجهة أعم وأكثر
 إنسانية ترمي إلى الهدایة والحق، ولم يعد الزهو الشخصي والمجد والدفاع عن العشيرة
 واكتساب السمعة الحسنة هو كل ما يرجوه الفتى.
 بل صار يعمل لخدمة الدين والبدأ ويريد اكتساب الثواب والجنحة فزاد ذلك من فتوته
 وحماسته^(٦).

(١) الأعراف / آية ١٩٩.

(٢) الفتنة عند العرب ص ١٥٨.

(٣) التوبية / آية ١٢٨.

(٤) الفتنة عند العرب ص ١٦١.

(٥) بين التصوف والتشيع ص ٤٥٤.

(٦) الفتنة عند العرب ص ١٦٥.

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

ومن هؤلاء الفتى الذين ذاعت شجاعتهم ولقى المشركون في كل موطن التقوا فيه بالمسلمين منهم كل بلاء.

فقد كان عليًّا صاحب لواء المسلمين يوم أحد بعد مقتل مصعب بن عمر، وقاتل المسلمين خلفه حتى أنزل الله نصره وصدقهم وعده.

وقد أورد الشيخ علاء الدين على دده السكتوري البوسني في حاشية كتاب الفتورة لأبن المعمار أول ما قيل في صفة عليٍّ كرم الله وجهه: لا فتى إلا عليٌّ يوم أحد، وذلك أن الرسول الكريم اعطاه الرأبة حين قاتل هو ورجال معه من الصحابة الكرام.

وانتدبه الرسول بعد معركة أحد فائلاً له: أخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون! وماذا يريدون؟ فإن كانوا قد جئوا الخيل وامتنعوا الإبل فإنهما يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقو الإبل فأنهما يريدون المدينة^(١).

ومنها يحكي عن فتوة عليٍّ بن أبي طالب أن الرسول وأثناء معركة أحد جلس تحت راية الأنصار، وارسل إلى عليٍّ بن أبي طالب يطلب منه أن يقدم الرأبة، فتقدم رضي الله عنه ونادى بين الصفوف "أنا أبو القصيم" وقاتل وبازر حتى قيل فيه "لا فتى إلا عليٍّ"^(٢).

اما الأثر المشهور في هذا القول عندما ضرب عليٍّ بن أبي طالب "مرحباً"^(٣) هتف المطاف:

(١) الفتوة لأبن المعمار، الحاشية ص ١٣٦ وما بعدها، الفتوة عند العرب لعمر دسوقي ص ١٧٨.

(٢) الفتوة لأبن المعمار الحاشية ص ١٣٦.

(٣) هو مرحبا اليهودي الذي قتله عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة خيبر، وقيل كذلك أن الذي قتله هو محمد بن مسلمة. الفتوة لأبن المعمار، ص ١٣٦، هامش رقم ٣٧، تاريخ الطبرى (المعروف بتاريخ الأمم والملوك)/ الطبرى، ج ٢ ص ٢٩٩.

لا سيف إلا ذو الفقار^(١)

ولا فتنى إلا علي^(٢).

وقد انتقلت وصاية ووراثة السيف الشهير المسمى بذى الفقار إليه.

وقال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحميد المدائني الشافعى في سيرة علي بن أبي طالب " وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتكلّر به، وَوَدَّ كل أحد أن يتّجّعل ويتحسن بالاتّسّاب إلّي، حتى الفتّوة التي أحسن ما قيل في حدها: إن لا تستحسن من نفسك ما تستفجّه من غيرك، فإن أربابها نسبوا انفسهم اليه وصنفوا في ذلك كتاباً وجعلوا لذلك استناداً أنهوه إلّي وسموه "سيد الفتّوان" معضدين مذهبهم بالبيت المشهور أنه سمع من السماء يوم أحد.

لا سيف إلا ذو الفقار

ولا فتنى إلا علي^(٣).

أما المتصوفة عندما وضعوا تصنيفًا متسلّلاً للفترة، كان موقع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين هذه القائمة الثامن، وأوردوا في صفتة أنه أسلم صبياً وجاهد في سبيل الله مراهقاً، ويواه الله قطبانيه الأولياء وعنده أخذ الفتّوة ابناء الحسن والحسين^(٤).

ومن الأمثلة على أخلاق سيدنا علي بن أبي طالب والتي تدل على فتوته ما أورده ابن العمار في كتابه^(٥):

انه كان لأمير المؤمنين جارية تقوم على خدمته وكان له مؤدب شاب ينظر إلى هذه الجارية كلما دخلت أو خرجت من عند امير المؤمنين قائلاً لها كلما رأها: أنا والله أحبك، فلما طال ذلك عليها، قامت بأخبار أمير المؤمنين بما يحصل لها.

فكان رده عليها: إذا قال لك ذلك فقولي له: وانا أيضاً أحبك.

(١) ذو الفقار: هو اسم لسيف الرسول (ص) أهداه له المقوفون، وفي بعض الاخبار أصله في خديمة خبير.

(٢) الفتّوة لابن العمار ص ١٣٦ والحديث أورده علي القاري في الاسرار المرفوعة ،ص ٣٨٤.

(٣) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٥ ص ٤٦.

(٤) بين التصوف والتشيع ص ٤٥٤.

(٥) الفتّوة لابن العمار ص ٢٧٥.

ففعلت الجارية بما أمرها به أمير المؤمنين. فقال لها الشاب " فاصبري حتى يوفينا
اجورنا من يوفي الصابرين اجرهم بغير حساب^(١) ، واصبري حتى يحكم الله بيننا وهو
خير الحكمين^(٢) .

فاعلمت الجارية أمير المؤمنين ما قال لها المزدبر، فدعا به، وقال له : يا هذا قد حكم
الله بينكما ووهد له الجارية^(٣) .

(١) الآية الكريمة : ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وهي الآية العاشرة من سورة الزمر.

(٢) الآية الكريمة : ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يُحَكِّمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ وهي الآية ٨٧ / الأعراف.

(٣) الفتوة / لأبن المعمار ص ٢٧٥.

الفتوة جزء من التصوف (الفتوة عند الصوفيين)

ان للصوفيين رأيهم في الفتوة كما لغيرهم من الشعراء والأدباء واللغويين، فهم يستعملونها حسب موافقتها لتعاليمهم ومسايرتها لذاهبيهم في معاملة العبد لنفسه وصلته بغيره من الناس وصلته بخالقه.

وقد استحسنت الصوفية كلمة الفتوة وما تدل عليه من معانٍ النبل والسمامة وادخلتها في معجم كلماتها وغذتها من فضائلها.

فنجده في الرسالة القشيرية باباً خاصاً في الفتوة بجانب باب الحياة والصدق، وقال معرفاً الفتوة " أصل الفتوة أن يكون العبد ساعياً أبداً في أمر غيره " .

وعن الفضيل ابن عياض أنه قال : " الفتوة الصفح عن عشرات الإخوان " ، ومن تعريفات الصوفيين للفتوة قوله: " الفتوة الا ترى لنفسك فضلاً على غيرك " ، وفي رأيهم أن الفتى من خالف هواه ونفسه وبذلك أحيا الصوفية كلمة الفتوة ونقلوا عن كبارهم كلمات فيها.

فالحارث المخاسبي يقول: " الفتوة أن تنصف ولا تُنصف " .

وغيره يقول: " الفتوة إظهار النعمة وأسرار الملة " وسئل أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ عَنِ الْفَتْوَةِ ، فَقَالَ: هِيَ تَرْكُ مَا تَرْجُو لَا تَخْشِيَ " (١) .

وكان اتصال الفتوة بالتصوف منذ ظهر التصوف وانصبغت بصبغته وعلى الأخص في البلاد الإسلامية ذات الحضارات القديمة كبلاد فارس، حتى أتت لتتجدد آثاراً واضحة للأفكار الصوفية في تعاليم أصحاب الفتوة في كل العصور الإسلامية والععكس صحيح. أن آثاراً كثيرة للفتوة تسربت إلى بيتات الصوفية (٢) .

(١) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص ٥٥.

(٢) الملامية والصوفية وأهل الفتوة ص ٢٤.

فالفيان في نظر الصوفية هم العاملون بما أمر الله والمتهمون عما نهى والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم والأولياء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَهُمْ
الَّذِي لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ﴾^(١).

وقد أورد الدكتور مصطفى جواد في مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار، أن الفتوة أصبحت مذهب من مذاهب التصوف، فكان الصوفي الكبير يوصف بأنه أحسن الصوفية طريقة في الفتوة أو بأنه ذو فتوة كاملة، وكما أوجد أصحاب مذهب التصوف لخلقتهم ومرقعتهم سندًا كذلك احذثوا لفتوتهم استنادًا ذهب جمهورهم فيه إلى أن أصل الفتوة ومبدأها العملي أخذنا من سيرة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه^(٢).

والدليل على ذلك الاتصال المتبادل بين الفتوة والتصوف ان كثيراً من الفتيان كانوا أما صوفية أو عن لهم ميل إلى الطريق الصوفي، كما يظهر ذلك من خلال قصة نوح العيار مع حمدون القصار^(٣).

ويرى الدكتور عفيفي أن كثيراً من رجال الصوفية المشهورين ذوي المكانة العالية كانوا من الفتيان قبل ان يدخلوا الطريق الصوفي وذلك أمثال علي بن أحمد البوسنجي، وأحمد بن خضرويه وغيرهما^(٤). فالفتوة الصوفية هي التي تضم جماعات الفتيان المتصوفة الراهدة^(٥).

وي FIND الدكتور عفيفي في كتابه الملامية والصوفية واهل الفتوة ما ذهب إليه ثورنج من "أن اقبال الفتيان على التصوف لا يتفق وأخلاق الفتوة، إلا إذا قُصِّدَ بالفتوة الاستقرارية التي كانت من عيارات طبقة خامعة من طبقات الأمة الإسلامية.

(١) بين التصوف والتشيع ص ٤٥. والأية ٦٢ من سورة يونس.

(٢) الفتوة / لابن المعمار، مقدمة الكتاب للدكتور مصطفى جواد ص ١٣.

(٣) الملامية والصوفية واهل الفتوة ص ٢٤.

(٤) نفس المصدر ص ٢٤.

(٥) مسلسلة عالم المعرفة / حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي عدد ٤٥ ص ١٣٩ (إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب / الكويت).

وهل لم تظهر إلا في زمن متاخر يحدده المؤرخون بال الخليفة الناصر لدين الله العباسى (٥٧٥-٦٢٢هـ).

اما إذا نظرنا إلى الفترة في معناها العام وجدناها خالية من هذه التزعة الاستقراطية التي تعارض مع روح التصوف، بل وجدناها دائمًا مسايرة للتصوف صديقه له يأخذ عنها، وتأخذ عنه.

وليس للفتى دعوى امتياز على غيرهم إلا في الشعور بالواجب و فعل ما يقضى به الشرف، لا دعوى أفضليّة طبقة على طبقة أخرى داخل النظام الاجتماعي، فإن ادعى فتى الصوفية لأنفسهم ميزة على غيرهم لزم تحمل هذه الدعوى على المحمّل الأول^(١). ومن هنا تجد العلاقة الوثيقة بين الفتوة والتصوف فلما ظهر التصوف ظهرت فيه مع فضيلة التقوى مجموعة من الفضائل الأخرى المستمدّة من الفتوة.

فلما كمل نموه في القرنين الثالث والرابع قويت فيه الفكرة الأساسية التي امتازت بها الفتوة العربية القديمة وهي فكرة الإيثار، واعتبرها الصوفية من أوائل مبادئهم، وأضافوا إليها صفات أخرى متصلة بها مثل كف الأذى، ويدل الندى، وترك الشكوى، واسقاط الجحاء، ومحاربة النفس والعفو عن زلات الغير، وغير ذلك من معانٍ للتصوف^(٢). أضف إلى ذلك أن الصوفية تبنوا فكرة الفتوة وعندوها من الفضائل التي يحثون المربيين على التمسك بها. فأصبحت الفتوة مذهبًا من مذاهب التصوف، فكان الصوفي الكبير يوصي بأنه أحسن الصوفية طريقة في الفتوة، أو بأنه ذو فتوة كامنة^(٣).

ومن أخلاقياتهم أنهم يعدون من أنواع الفتوة إزالة كل عائق يمنع وصول الخير إلى مستحقه، فإذا وجدوا حجراً يعيق وصول الماء إلى النبات أزالوه، وإذا وجدوا إنساناً تعوقه عن الخير فكرة شريرة أزالوها عنه.

(١) الملامية والصوفية واهل الفتوة ص ٢٦.

(٢) نفس المصدر ص ٢٥.

(٣) الفتوة / لابن العمار، مقدمة الكتاب ص ١٣.

وإذا وجدوا بؤساً يعوق الناس عن المعيشة عيشة راضية، وكان في استطاعتهم بذلك
المال بذلك^(١).

ومن أخلاق الصوفيين: ان صوفياً تزوج امرأة ثم ظهر عليها مرض الجدرى قبل الدخول بها، فتعامى الصوفي حتى لا يجرح شعورها، فلما ماتت زوجته فتح عينيه، فقيل له لماذا تعاملت والآن أصبحت بصيراً، فقام لهم: "لم أعم ولكن تعاملت حذراً من أن تخزن"، فقيل له: "سبقت الفتيان"^(٢).

(١) الصعلكة والفتورة في الإسلام ص ١٠٩.

(٢) بين التصرف والتشريع ص ٤٥.

١- تحليل ثواب الفتوة الوارد في الرسالة القشيرية.

تعريف بالرسالة القشيرية:

تأليف الإمام العالم الجامع بين الشريعة والحقيقة أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ خراسان في عصره، زاهداً، عالماً بالدين، كانت اقامته بنیابور وتوفي بها سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م.

له عدة مؤلفات منها الرسالة القشيرية في علم التصرف وقد أفرد باباً للفتوة. تحدث فيه عن الآيات القرآنية الواردة في الكتاب الكريم عن الفتوة واتبعها بعض الأحاديث، ثم بعد ذلك عن معنى الفتوة، والتعرifات المختلفة التي وردت بعنانها، ثم تحدث بعد ذلك عن الصفات التي يجب أن يتتصف بها الفتى.

٢- الفتوحات المكية:

تعريف:

تأليف محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحبي الدين بن عربي، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية بالأندلس سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م وانتقل إلى أشبيلية وقام برحلة زار خلالها الشام وببلاد الروم والعراق والخجاز، ثم استقر بعد خروجه من السجن بدمشق إلى أن توفي بها سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م.

له نحواً من أربعين كتاب ورسالة من ضمنها كتاب الفتوحات المكية في عشر مجلدات وهو يبحث في التصرف وعلم النفس. وقد أفرد فصلاً للحديث عن الفتوة.

ففي الباب الثاني والأربعون من الجزء الثاني والعشرون من السفر الرابع من كتاب الفتوحات المكية تحدث عن الفتوة والفتیان ومنازلهم وطبقاتهم وأسرار اقطابهم.

فبدأ حديثه بـ "الفتوة مقام القوة" وأورد بعض الآيات القرآنية التي تدل على ذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّبِعِ﴾^(١).

ثم تحدث بعد ذلك عن منازل الفتى، يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَغْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَغْفٍ قُوَّةً﴾^(٢).

وهذا حال الفتاة فهي تمر بمرحلة الطفولة ثم تنتقل بعد ذلك إلى مرحلة الكهولة. ثم تحدث عن العلاقة بين الفتى واللامنة، ويعدها عن طبقات الفتى، ثم عن قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع عبد الأصنام وأورد قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتَّى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾^(٣).

ثم حديث فتى سيدنا موسى عليه السلام وقول الكريم في كتابه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَّنَةٍ﴾^(٤).

ويعدها بالحديث عن الأنبياء وبأنهم حجارة سيدنا محمد صلوات الله عليه قبل مبعثه لقول الرسول الكريم: "آدم فمن دونه تحت لوائي".

ثم يختتم هذا الباب بالحديث عن تسخير الفتى لخدمة الآخرين، لقوله صلى الله عليه وسلم: "خادم القوم سيدهم"^(٥).

(١) سورة النازيات / آية ٥٨.

(٢) سورة الروم / آية ٥٤.

(٣) سورة الأنبياء / آية ٦٠.

(٤) سورة الكهف / آية ٦٠.

(٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة / الألباني / ج ٤ / ص ٩ (الحديث رقم ١٥٠٦).

نماذج من المتصوفين

التصوف: هو ترك الاختيار، ويقال هو حفظ حواسك ومراعاة انفاسك ويقال هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك، ويقال هو الإكباب على العمل والإعراض عن العلل^(١).

سئل الحسين ابن منصور عن التصرف، فقال: " وحداني الذاتي لا يقبله أحد ولا يتقبل أحداً".

ويقول أبا حزرة البغدادي، علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى، ويذلل بعد العز، ويختفي بعد الشهرة، وعلامة الصوفي الكاذب: أن يستغني بعد الفقر، ويعز بعد الذل، ويشتهر بعد الخفاء.

ويقول محمد بن القصاب: التصرف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوام كرام.

وسئل سمنون عن التصرف، فقال: أن تملك شيئاً ولا يملكك شيء^(٢). فالتصوف اتجاه شخصي أي ذاتي وعاطفي، فهو مختلف من شخص إلى شخص ومن جماعة إلى جماعة^(٣).

وقد سلك المتصوفة مسلكَ سائر أصحاب الحركات الفكرية في الإسلام في البحث عن مبرر لطريقتهم^(٤).

وقد عرفَ عميد جامعة باريس في أوائل القرن الخامس عشر للميلاد، التصرف بقوله: " الفقه الصوفي (المعرفة في طريق التصرف) هو علمٌ حق بالله قائمٌ على تجربة شخصية يتوصل إليها الإنسان من خلال إيمانه بالمحبة الشاملة^(٥).

(١) الرسالة القشيرية - باب التصرف هامش صفحة ٢١٦.

(٢) نفس المصدر ص ٢١٧.

(٣) الإسلام منهجه حياة ص ١٢١.

(٤) نفس المصدر ص ١٢٥.

(٥) نفس المصدر ص ١٢٢.

وطرق الصوفي طويلاً وشاق، فهو يمر بعدهاً من المقامات (المحطات والمراتب) ومن هذه المقامات الزهد، الذي يقتضي منه توبه صادقه، يزكي بها المتصوف نفسه، ويخرج حب الدنيا من قلبه ويخلص عن ملذاتها^(١).

والطريقة الصوفية تنشأ عادةً في خلية معزولة أو في بيت الشيخ (الصوفي الكبير) فإذا كثر اتباعها وقويت اقامت لنفسها زاوية أو تكية ينفق عليها الأغنياء من اتباعها. والرياضة الأساسية للمتصوف هي الذكر، ذكر الله وذلك استناداً إلى ما ورد في الآية الكريمة: «الَّذِينَ ءامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤٢﴾ وَسَيَحْرُوُهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»^(٢).

(١) الإسلام منهاج حياة ص ١٢٦.

(٢) نفس المصدر ص ١٤٣، والأياتان (٤١، ٤٢) من سورة الأحزاب.

الفضيل بن عياض

الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي، خرساني من ناحية
عرو من قرية يقال لها فندين^(*).

ولد بسمرقند، ونشأ باليورد^(*)، مات في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة وأربعين
الحادي عشر.

مثل الفضيل بن عياض عن التواضع، فقال: "أن تخضع للحق وتنقاد له، وتقبل
الحق من كل من تسمعه منه".

وقال: "خير العمل أخفاءه، وأمتنعه من الشيطان آباغدة من الرياء".

وقال: كان يقال: "جعل الشر كله في بيته وجعل مفاتيحه الرغبة في الدنيا، وجعل
الخير كله في بيته وجعل مفاتيحه الزهد في الدنيا".

وقال: "أحق الناس بالرضا عن الله، أهل المعرفة بالله عز وجل".

وقال أيضاً: "من عرف الناس استراح".

ومن أقواله: "في آخر الزمان أقواماً يكونون إخوان العلانية، أعداء السريرة".

ومن أقواله: "تباعد من القراء، فإنهم إن أحبوك، مدحوك بما ليس فيك، وإن
آبغضوك شهدوا عليك، وقبل منهم"^(ا).

(*) فندين: من قرى عرو.

(*) مدينة بخراسان.

(ا) طبقات الصرفية - ص ٩ وما بعدها.

ابراهيم بن أدهم

ابراهيم بن أدهم أبو اسحاق ، من أهل بلخ، خرج متبعداً فهتف به هاتف، أيقظه من غفلته فترك طريقة في التزين بالدنيا ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع. كتب ابراهيم بن أدهم إلى سفيان الثوري: "من عَرَفَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ مَا يَبْذُلُ، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمَلُه، ومن أطلق لسانه قتل نفْسَه" ^(١).

(١) طبقات الصوفية ص ٢٧ وما بعدها.

حمدون بن أحمد بن عمارة أبو صالح القصبار النيسابوري، شيخ أهل الملة بنيسابور ومنه انتشر مذهب الملاة.

توفي سنة الحادي وسبعين وما تسعين بنيسابور ودفن بمقبرة الحيرة^(٤)، واستند الحديث سُئل متى يجوز للرجل أن يتكلّم على الناس؟.

فقال: "إذا تَعْيَنَ عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه، أو خاف هلاك إنسان في بدعة، يرجو أن يُنجيه الله تعالى منها بعلمه".

وقيل لحمدون: "ما بال كلام السلف أَنْفَعُ من كلامنا؟". قال: "لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ونحن نتكلّم لعز النفس، وطلب الدنيا وقبول الخلق".

وقال: "من ضيَّع عهود الله عنده، فهو لأداب شريعته أضيع، لأن الله تعالى يقول: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَارِثٌ مَسْتَوْلًا»^(٥)".

وقال لأصحابه: "أوصيكم بشيئين: صحيحة العلماء، والاحتمال عن الجھاں".
وقال أيضاً: "من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل إما في الدنيا وإما في الآخرة".
وسئل عن الزهد، فقال: "الزهدُ عندي الا تكون بما في يدك أستكِن قلباً منك بضمان سيدك".

ومن أقواله: "من رأيت فيه خصلتا من الخبر فلا تفارقه فإنه يُصيّبك من بركاته".
وسئل عن طريق الملاة، فقال: "خوف القترة ورجاء المرجنة"^(٦).

(٤) الحيرة: على ثلاثة أميال من الكوفة، معجم البلدان ٢/٣٢٨.

(٥) سورة الإسراء / آية ٣٤.

(٦) طبقات الصوفية ص ١٢٣ وما بعدها.

علي بن أحمد البوشنجي

أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل كان أوحد فتيان خراسان وأعلم مشايخ وفته بعلوم التوحيد وعلوم المعاملات وأحسنهم طريقه في الفتوة والتجربة، مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

سئل عن السنة فقال: "البيعة تحت الشجرة وما وافق ذلك من الأفعال والأقوال".

وسئل عن التصوف، فقال: "اسم ولا حقيقة وقد كان قبل حقيقة ولا اسم".

وسئل عن التصوف أيضاً، فقال: "هو الحرية والفتوة وترك التكلف في السخاء والتطرف في الأخلاق".

وسئل عن المروءة، فقال: "ترك استعمال ما هو محروم عليك مع الكرام الكاتبين".

وسئل أيضاً عن المروءة، فقال: "حسن السر والبشر" وسئل عن الفتوة، فقال:

"حسن المراعة ودوس المراقبة، ولا ترى من نفسك ظاهراً يخالفه باطنك".

وقال أيضاً: "من ذل في نفسه رفع الله قدره ومن عز في نفسه أذله الله في أعين عباده".

وقال الناس على ثلاث منازل:

الأولياء، وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم.

والعلماء: وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء.

والجهاز: وهم الذين علانيتهم تختلف اسرارهم لا يُنصفون من انفسهم، ويطلبون
الإنصاف من غيرهم^(١).

(١) طبقات الصوفية ص ٤٥٨ وما يعدما.

أبو عبد الله محمد بن خفيف، شيخ المشايخ في وقته، عالماً بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق أوحد المشايخ في وقته علماً وخلقاً، مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وأسند الحديث.

قال: "الرياضة كسر النفوس بالخدمة ومنعها عن الفترة".

وقال أيضاً: "الانبساط سقوط الاختشام عند السؤال".

وقال: "ليس شيء أضر بالمريد من مساحة النفس في ركوب الرخص وقبول التأويلات".

وقال: "التقوى مجانية ما يعذك عن الله تعالى".

ومن أقواله: "المُشاهدة اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق عن الغيوب".

وقال أيضاً: "الخوف اضطراب القلوب بما علمت من سطوة المعبود".

وسئل عن التصوف فقال: "تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومقارفة أخلاق الطبيعة وإخاد صفات البشرية، ومجانية دعاوى النسانية، ومتنازلة صفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والتصح بجميع الأمة، والوقاء الله على الحقيقة، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة"^(١).

(١) طبقات الصوفية ص ٤٦٢ وما بعدها.

احمد بن خضرويه البلاخي أبو حامد

من كبار مشايخ حراسان، قدم نيسابور وزار بها بعض العلماء.
من آقواله: " لا نوم اثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة، ولو لا ثقل الغفلة
ما ظفرت بك الشهوة ".
مات سنة أربعين وماتين^(١).

(١) التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه ص ٢٨.

أحمد بن أبي الحواري أبو الحسن

من أهل دمشق، مات سنة ثلاثين وثلاثين.

من آقواله: " من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها، أخرج نور اليقين والزهد من قلبه ".^(١)

ومن آقواله أيضاً: " من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فباطل عمله ".^(٢)

وأيضاً يقول: " أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة ".^(٣)

(١) التصرف في الإسلام ص ٢٨.

عمر بن مسلمة الحداد أبو حفص

من قرية يقال لها "كورد اباد" على باب مدينة نيسابور، على طريق بخارى، أحد الأئمة مات سنة نيف وستين ومائتين.

من أقواله: "الفترة أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف".

ومن أقواله أيضاً: "من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعدد في ديوان الرجال"^(١).

(١) التصوف في الإسلام ص ٢٨.

من زهاد المتصوفة، كوفي الأصل. من أقواله: «لا تغتم إلا من شيء يضرك غداً، ولا تفرح إلا بشيء يسرك غداً». ومن أقواله أيضاً: «وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب، ولو أنهم أنسوا بهم لأنس بهم كل أحد». ويقول أيضاً: «طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب».^(١).

(١) التصوف في الإسلام ص ٢٩.

سيد هذه الطائفة وأمامهم، أصله من نهاوند ومشوه وموالده بالعراق. مات سنة سبع وستين وثلاثين.

من أقواله : " ما أخذنا التصور عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألفات والمستحسنات ".

ومن أقواله أيضاً: " الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من افتقى أثر الرسول ".^(١)

(*) نهاؤند: مدينة عظيمة يحيط بها وبين همدان مسافة أربعة عشر فرسخاً، معجم البلدان ٥/٣١٤.

(١) التصور في الإسلام ص ٣١.

أحمد بن محمد التهوي أبوالحسن

بغدادي المولد والنشأ، بغوي^(*) الأصل، مات سنة خمس وسبعين وثلاثين.
من أقواله: "التصوف ترك كل حظ للنفس".

ويقول كذلك: "من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا
تقرئن منه".

ويقول أيضاً: "أعز الأشياء في زماننا شيطان عالم يعلم بعلمه، وعارف ينطق عن
حقيقته"^(١).

(*) يقع: بقال هابغ ويغشون، والسبة إليها بغوي من قرى خراسان انظر معجم البلدان ج ١ / ٤٦٨.

(١) التصوف في الإسلام ص ٣٣.

الفصل الثالث

وجه الفتوة الاجتماعي والاقتصادي

أ- الفتورة الأموية.

بـ- الفتورة العباسية.

١. تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الخلافة العباسية بشكل عام وفي بغداد بشكل خاص.
٢. انحراف الفتوة وتحولها إلى حركات شعبية واستغلال القيم الثابتة للتغطية أعمال الشغب.
٣. ظهور حركة الشطار والعيارين في بغداد.
٤. موقف البويعين من حركة العيارين.
٥. موقف السلاجقة من حركة العيارين.
٦. حركة الأحداث في بلاد الشام.
٧. حركة الحرافيش والزعاري في مصر.

عالجت في الفصل الأول والثاني نشأة الفتوة وتطورها من خلال الوجه الديني لها، وتبين بأن مفهوم الفتوة حتى القرن الثاني الهجري لم يتصل بحركة ما، وأن الفتورة كانت تشكل مجموعة من المقاييس الخلقية والأدبية تطورت هذه المقاييس بتطور المجتمع ومع وجود إشارات إلى مجموعة من فتيان الدهر، فلا يمكن اعتبارهم يمثلون حركة اجتماعية للفتوة، فهم من المتدينين الأثرياء – وهمهم الوحيد الللة والشراب والغناء^(١).

وروى أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني من أخبار حنين الحيري وهو من كبار المغنيين في أيام بنى أمية هذا نصه «كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة، وكان لطيفاً في عمل التمنيات فكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت الفتيان وميسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتربين إلى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قلبه وحلوته وخفة روحه استمالوه»^(٢).

إن سمع الغناء كان من عادات الفتيان في أوائل القرن الثاني للهجرة، وعندما كان خالد بن عبد الله القسري والياً على العراق من قبل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك خرمَ الغناء بالعراق فدخل عليه يوماً حنين الحيري ومعه عود خباء تحت ثيابه فقال خالد: أصلح الله الأمير كانت لي صناعة أعود بها على عبالي فخرمها الأمير فأضطر ذلك بي وبهم، فقال له خالد: وما صناعتك يا حنين؟ فكشف عن عوده وقال: هذا العود، فقال له خالد: غنْ فحركه أو تاره وغنى أبياتاً من الشعر لعدي ابن زيد العبادي:

(١) عبد العزيز الدورى «نشوء الأصناف والحرف في الإسلام» مجلة كلية الأدب، ع١ (١٩٥٩) ص ٢٩ وما بعدها.

(٢) الأغاني ج ٢ ص ٣٧٥، مصطفى جراد «الفتوة والفتيان قديماً»، مجلة لغة العرب، معج ٨ (١٩٣٠) ص ٢٤٣، مصطفى جراد «الفتوة وأطوارها» مجلة المجمع العلمي العراقي، معج ٥ (١٩٨٥) ص ٤٩ .

أرواحٌ مُؤَنِّهُ أُمُّ بِكُورٍ
لَكْ فَاعْمَدْ لَأَيْ حَالْ تَصْبِرْ

فبكى خالد القسري وقال له: قد أذنت لك في الغناء وحدك، واشترط عليه عدم
 مجالسة السفيه أو المغريده، فكان حنين إذا دعي إلى حفلة للغناء قال للمحاضرين: أفيكم
 سفيه أو مغريده^(١).

ومن أشعاره أيضاً:

أنا حنين ومتزلي النجف
وما نديبي إلا الفتى القصف
أفرع بالكأس ثغر باطية
متربعة نارية وأغترف^(٢)

وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد صاحب كتاب الكامل أن خليلان الأموي
 كان يتعشى ويرى ذلك زائداً في الفتنة، وكان خليلان الأموي شريفاً ذا سعة ونعة^(٣).

كما أن من عادات الفتيان في العهد الأموي شرب المسكر، فقد أورد الجاحظ «بل
 لقد رأينا أصحاب النبي والفتيا يتدحون بكثرة الشرب، كما يتدحون بقلة الرزق»^(٤).

(١) مصطفى جواد "الفترة وأطوارها" مجلة المجمع العلمي العراقي، مجل ٥ (١٩٥٨)، ص ٤٩ وما بعدها.

(٢) الصعلكة والفتنة في الإسلام ص ٥٠ .

(٣) مصطفى جواد "الفترة وأطوارها" مجلة المجمع العلمي العراقي مجل ٥ (١٩٥٨) ص ٥٠ .

(٤) نفس المصدر ص ٥٠ .

ومن أخبار حنين الحيري أنه قال: خرجت يوماً إلى حصن التمس الكسب بها وأرتاد من استفید منه شيئاً، فسألت عن الفتیان بها، وأین يجتمعون؟ فقيل لي عليك بالحمامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئت إلى أحد الحمامات فدخلته فإذا به جماعة منهم فأنست وانبسطت وأخبرتهم أنني غريب، ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا إلى منزل أحدهم، فلما قعدنا أتينا بالطعام فأكلنا وأتينا بالشراب فشربنا، فقلت لهم: هل لكم مغنى يغنىكم؟ قالوا: ومن لنا بذلك؟ قلت أنا لكم به هاتوا عوداً، فلما أحضر العود أخذت أغني لهم.

وليس هؤلاء الفتیان مزية سوى إضافة الضيقان وإغاثة اللفهان^(١).

ولم تقتصر الفتوة على الغناء وحده وإنما شملت أموراً أخرى كالتدريب على رمي السهام، فقد كان صبيان المدينة المترورة في زمن الأمويين يتدرّبون على رمي السهام عن القسي للتمرن واللعب، وانتشر ذلك بين الناس حتى كان بعض الخلفاء الأمويين يقضى هو وحاشيته الأوقات في الرمي إلى هدف معلق في الهواء للتسلية والتنفيس عن النفس وغrena على هذا الفرع من فروع الفروسية^(٢).

وما يرى في ذلك أن الخليفة هشام بن عبد الملك أمر بأشخاص محمد بن علي الباقي وابنه جعفر الصادق إلى مركز الخلافة في دمشق، فلما اشخاصا ودخلوا عليه وهو جالس على سرير الخلافة وجنته وخاصةته وقف متسلحين، وقد نصب (البرجاس)^(٣) حداه ومشايخ قومه يرمون، فقال محمد الباقي: أرم مع أشياخ قومك، وكان هدف هشام أن

(١) الأغاني ج ٢ ص ٣٥٨ وما بعدها، مصطفى جواد "الفتوة والفتیان قديماً" مجله لغة العرب مج ٨ (١٩٣٠)، ص ٢٤٣ - ٢٤٤، المعلقة والفتوة في الإسلام ص ٥١، مصطفى جواد "الفتوة وأطوارها" مجله الجمع العلمي العراقي مج ٥ (١٩٥٨) ص ٤٩.

(٢) مصطفى جواد "الفتوة والفتیان قديماً" مجله لغة العرب مج ٨ (١٩٣٠) ص ٢٤٥.

(٣) البرجاس: غرض في الهواء على رأس رمح يرمي به وهي أمرة تنصب من الحجارة (القاموس المحيط ص ٦٨٥).

يظهر للموجودين عجز محمد الباقر ويعكتهم من الضحك عليه، فاستعفى الإمام من ذلك، فلهم يوافقه الخليفة ثم أصر عليه الخليفة بالرمي، عندها تناول الإمام قوس أحد الشيوخ المتواجدرين بحضور الخليفة ثم تناول سهماً فرضه في كبد القوس ثم انتزع ورمي وسط الهدف فنصب السهم فيه ثم رمى ثانية ثم تكرر ورمي، عندها اضطرب الخليفة هشام بن عبد الملك في مجلسه فلم يتمالك أن قال: أجدت يا محمد وأنت أرمي العرب والعجم^(١).

وكان خلفاء الدولة الأموية لهم ولع بالصيد والدليل على ذلك القصور الأموية المشتركة في الباذية الأردنية، فقد كانوا يقضون بها عدة أسابيع من السنة يستمتعون بوسائل اللهو والصيد والفنون ومسابقات الفروسية التي كانت تقام بها وما يصاحب ذلك من متعة الغناء والرقص^(٢).

الفترة العباسية

ومع نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسى تطور مدلول كلمة الفتوة، فقد تغيرت عند الراغبين في الدنيا والتشوق إلى اللهو والملذات وانقلب الشجاعة في المواقف المشرفة إلى شطارة وعياره في فتوة مزيفة، فالشراب والألعاب والغناء والتشطر والإرهاب صارت من صفات الفتوة الثانية المسماة «الفترة اللاحية» مع الاحتفاظ بشيء من الصفات الأصلية كاللوفاء والتوجدة والمسخاء.

وكان في أواخر عصر بني أمية وتحديداً في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري ظهور طبقة من الناس في الشام والعراق يعرفون باسم «الفتيان» يجتمعون للهو والسكر والغناء، وكان الغناء من أظهر سماتها وأخذت بالانفصال التدريجي عن تلك الفتوة الجادة، وتستقل بسلوكها وتقاليدها وروابطها وغایاتها، وأصبحت تعرف بالفتورة اللاحية

(١) مصطفى جواد "الفتوة والفتيان قديماً" لغة العرب، مجل ٨ (١٩٣٠)، ص ٤٥ - ٤٦.

(٢) آثار الأردن ص ١٨٣ وما بعدها، تاريخ التمدن الإسلامي ج ٣ ص ٦٩٧.

وَهُمْ اتَّبَاعٌ وَمُرِيدُونَ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْمُتَأْثِرِينَ عَلَى الْجَمَعِ وَالْوَلَاةِ مِنَ الرَّعَاعِ وَالنَّهَابِ وَالْعَابِشِينَ.

وَيَذَّلِكُ أَصْبَحَ هَنَاكَ تِيَارٌ لِلْفَتُوْهَ: التِيَارُ الْأَوَّلُ وَالَّذِي أَطْلَقَ عَلَيْهِ فَتُوْهَ الْعَيَارِينَ وَالشَّطَارِ وَهِيَ فَتُوْهَ حَمْلِيَّةٌ عَنِيفَةٌ وَسِيَّمَ الْحَدِيثَ عَنْهَا فِي مَكَانٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ.

وَيُسْلُوكُ الْفَتُوْهَ الْلَّاهِيَّةَ هَذَا الْمُسْلِكُ وَاسْتِقْلَالُهَا هَذَا الْاِسْتِقْلَالُ كَانَتْ نَهَايَةَ الْقَرْنِ الْثَّانِي الْهُجْرِيِّ مُنْشَأًا لِلْفَتُوْهَ لَاهِيَّةً بَاغِيَّةً مِنَ الشَّطَارِ وَالْعَيَارِينَ^(١).

تَدْهُورُ الْأَوْضَاعِ الْاِقْتَصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْخِلَافَةِ الْعَبَاسِيَّةِ بِشَكْلٍ حَامٍ وَفِي بَغْدَادٍ

شَكْلٌ خَاصٌ

بِالرَّغْمِ مِنْ قَصْرِ عَمَرِ الدُّولَةِ الْأَمُوَّيَّةِ وَالَّتِي لَمْ تَجُوزْ قَرْنَيْنِ الْقَرْنِ كَانَتِ الْحَالَةُ الْاِقْتَصَادِيَّةُ لِلْخِلَافَةِ إِسْلَامِيَّةٍ مَزْدَهِرَةً.

فَقَدْ تَحَوَّلَ الْمُجَمَعُ الْقَبْلِيُّ مِنَ الْعَصْرِ الْأَمُوَّيِّ تَدْرِيْجِيًّا إِلَى الْاِهْتِمَامِ بِالْزَرَاعَةِ وَالْعِنَاءِ بِتَمْلِكِهَا وَاسْتِصْلَاحِهَا وَحَفْرِ الْقَنَوَاتِ وَالتَّرْعِ وَتَوْسِيعِ الْمَلَكِيَّاتِ، أَمَّا التِجَارَةُ فَلَمْ يَكُنْ لَهَا نَشَاطٌ عَلَى الصَّعِيدِ الْخَارِجِيِّ^(٢).

وَيَعْدُ بِعِيَّهِ الْحُكْمُ الْعَبَاسِيُّ وَنَهَايَةُ الدُّولَةِ الْأَمُوَّيَّةِ يَلْاحِظُ نَمْرُ الدُّنُونِ وَتَطْوِيرُ الْحَيَاةِ عَلَى مُخْتَلِفِ الْأَصْعَدَاتِ وَخَاصَّةً الْحَيَاةِ الْاِقْتَصَادِيَّةِ.

(١) مقدمة كتاب الفتوا / مصطفى جواد ص ١٣ - ١٥، محمد رجب التجار ص ١٤٠ (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١).

(٢) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٥٩.

فقد ازداد نشاط الحرف والمهن واتسعت أسواقها و محلاتها و ظهرت تنظيمات الحرفيين^(١).

وخلال الفترة الممتدة من بداية الخلافة حتى بداية القرن الخامس الهجري أي قبل أن يتغلغل الضعف والوهن إلى جسم الخلافة العباسية وهي فترة الخلفاء الأقوية شهدت تطوراً في مختلف المجالات الاقتصادية سواء الزراعية أو الصناعية أو التجارية بشقيها الداخلي والخارجي وهذا الازدهار عائد إلى عدة أسباب هي:

١. استقرار الأوضاع السياسية في حاضرة الخلافة الإسلامية.
٢. الموضع الجغرافي المتوسط للعراق ووقعه على طرق المواصلات البرية والبحرية.
٣. تشجيع الخلفاء العباسين للتجارة.

ففي مجال التجارة سلك التجار العراقيين الطرق البرية والبحرية واستطاعوا السيطرة على الجانب الرئيسي منها مع الهند والصين والشرق الأقصى والمغرب الأقصى والأندلس وشرق أفريقيا.

فكانت أهم البضائع في القرنين الثالث والرابع الذهب، الفرو، الدروع، السيف والفراء، المسك، التوابيل، الأحجار الكريمة، الحرير، البسط، السجاد، القطن، المنسوجات والأرز والديجاج.

وكان التعامل أما بالمقايضة أو بالنقد مباشرة وتكونت نتيجة ذلك طبقة من التجار تمتلك الأموال الطائلة، وادي تشجيع الدولة لحركة التجارة وتوسيع فعالياتها، كما أن

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، د. عبدالعزيز الدوري ص ٦٦ .

التجارة كانت حرة مما يسر لها النشاط واتساع نشاط المؤسسات المالية والصرفية وذلك لتسليف التجار.

وكان السفاج(٤) هي وحدة التعامل بين التجار^(١).

أما في مجال الزراعة: فقد تطورت الحياة الزراعية وتوسعت الملكيات الزراعية وظهر الإقطاع الزراعي، واتجه مالكرا الأراضي إلى تطوير الزراعة^(٢).

وكان من نواحي الازدهار الاقتصادي ارتقاء الصناعة، وتعدد الصناعات في العراق فظهرت صناعات مثل صناعة الزجاج والنسيج ودور السكة وضرب النقود^(٣).

هذا الازدهار في التجارة والصناعة والزراعة له أثره الإيجابي على تطور الأوضاع المعيشية للناس.

في بغداد الرشيد في عصرها الذهبي تعتبر من كبريات العواصم، فكانت تأتيها أموال الجزرية والخراج والغنائم من كل مكان.

إلا أن سياسة تشديد الاستغلال أثارت سخطاً واسعاً لدى جماهير الفلاحين وقد وجد تعبيره في كافة الانتقادات المتعاظمة وخاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد^(٤).

(*) السفاج: بجمع سفاجة وتقوم بدور الحوالات وصكوك المسافرين.

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، د. عبدالعزيز الدوري ص ٦٨ - ٧٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٧١ .

(٣) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص ٧١ - ٧٢ .

(٤) المستشرق السوفيتي ي.أ. بيليايف "المحالة الاقتصادية في عهد الخليفة العباسية" مجلة المورد مع ٢ ع ٢ (١٩٧٣) ص ٣٧.

وقد كتب أبو يوسف قاضي هارون الرشيد الخليفة الذي بلغت الدولة العباسية في عهده ذروة الرفعة والجبروت يقول له: ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد (عليهما السلام) والتفقد فهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فرق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم بحق يحجب عليهم، فقد روي عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأننا حجيجه»^(١).

كما أن القاضي أبو يوسف كان يعارض بقوة تحصيل الضرائب من المعدمين والمرضى والشيخوخ وعدم اللجوء إلى تعذيب المدينين عن بقایا الضرائب المتحققة عليهم^(٢).

لقد شددت الحكومة المركزية في بغداد الضغط الضريبي على الكادحين، واعتبرت معارضتهم لذلك غير ذات جدوى.

فقد سعت الحكومة على زيادة الضرائب على الأراضي الخارجية واستبدلت الضريبة العينية التي كانت تتفاوضها في السابق بضريبة نقدية مما أدى إلى تضاعف أعباء المواطنين وتردي أحوالهم المعيشية وكانت الخزينة والطبقة الحاكمة هي المستفيد من هذا الإجراء بزيادة مدخولاتهم من هذه الضريبة^(٣).

(١) مجلة المورد، مجلد ٢، ع ٣ (هامش الصفحتين ٣٦، ٣٧) والحديث في كنز العمال/ ج٤/ ص ٣٦٧ رقم (١٠٩٤٧).

(٢) المستشرق السوفيتي ي. أ. بيليايف "الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية" مجلة المورد مجلد ٢، ع ٣ (١٩٧٢) ص ٣٦.

(٣) المستشرق السوفيتي ي. أ. بيليايف "الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية" مجلة المورد مجلد ٢، ع ٣ (١٩٧٢) ص ٣٦.

و نتيجة لسيطرة الأتراك على الخلافة العباسية منذ عهد المعتصم وكان هذا النفوذ لا يقتصر على بغداد وحدها وإنما شمل الولايات الإسلامية إذا أخذ الخلفاء يقطعنهم تلك الولايات مقابل جزية معينة يؤدونها لبيت المال، وقد جرت العادة أن يبقى هؤلاء الولاية الأتراك إلى جوار الخليفة ببغداد في حين يتم إرسال نواباً عنهم لحكم تلك الولايات^(١).

نتيجة هذا حصل إرباك سياسي وسوء إدارة مما أدى إلى الإضرار بأهل الصنائع بصورة مباشرة وارتفاع في الأسعار وتدني الأجور. هذه الأمور مجتمعة أدت إلى ظهور تيارات اجتماعية تدعى باسم الدين للإصلاح وتأكد بصورة خاصة على تحسين الوضع المالي والاجتماعي للمجتمع، وأوجدت لديهم روح التدمر والتمرد وجعلتهم يساهمون في الحركات الاجتماعية بصورة فعالة، بل كونت بينهم وجهة ثورية تمثل بوضوح في حركات العيارين والشطار^(٢).

وخلال الفترة من سنة (٣٢٤ - ٩٣٦هـ / ٩٤٥ - ١٣٣٤م) وهي فترة استبداد بها أمراء الجيش الأتراك بالخلافة وخاصة أثناء فترة أمراة أمير الأمراء أبي الحسن البريدي صاحب واسط ساءت أحوال العراق سياسياً واقتصادياً واجتماعياً^(٣).

وقد صاحب هذا الاستبداد وتدحرج الأوضاع وعجز الولاية عن دفع أرزاق الجندي وعدم استطاعتهم حفظ الأمن في البلاد عندها شعر أهل العراق بهذا العجز الذي يعانيه أمراء الأتراك في إقرار الأمور فأخذوا يتطلعون إلى البوهيميين لإنقاذهم من ظلم الأتراك وقد أبدوا استعدادهم بالمؤازرة والتأييد^(٤).

(١) التاريخ العباسى والفارطى / د. أحمد ختار العبادى، ص ١٢٣ .

(٢) عبد العزيز الدورى "نشوء الأصناف والحرف فى الإسلام" مجلة كلية الآداب، ع ١ (١٩٥٩) ص ٢٤ .

(٣) العيارون والشطار البغدادى فى التاريخ العباسى ص ١٠٥ .

(٤) فى التاريخ العباسى والفارطى، د. أحمد ختار العبادى ص ١٦٢ .

ومنذ بداية القرن الخامس الهجري أصبح خلفاء الدولة العباسية آل العوة في أيدي أجناد الفرس والترك والدين وغیرهم من شذوذ الأرض وأفاقيها وأصبح بأيديهم توليه الخليفة أو عزله أو قتله.

فأضحت بغداد مهددة بالصراع المذهبي والعقائدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، وصاحب ذلك أن سلطة الخلافة أصبحت اسمية فقط.

كما أن مقدرات البلاد صارت بأيدي هؤلاء المستفيدين من الجنود والذين لا هم لهم إلا الظلم والخسارة وقلة الدين وحب الفساد، وجمع الأموال لإرضاء جشعهم^(١).

أما في العهد البويري فيرى المستشرق الفرنسي ماريوس كنار بأن أمراء الأمراء الذين تعاقبوا على السلطة مشغوفين بتأمين السلطة والحفاظ عليها والحصول على الأموال، فإذا كانوا قد بذلوا جهودهم لاستباب النظام في بغداد، ولقطع دابر الجرائم فهذا مصالحهم الخاصة، أما رضاء السكان فلم يكن يهمهم إلا قليلاً^(٢).

لقد أصلح معز الدولة البويري الفتوحات وانفق نفقات باهظة على قصره فانتفع الأهالي من هذه الأعمال بعض الانتفاع وأعاد الرفاه إلى عهده الأول في بغداد بعض الوقت.

ولكن القلق في عهود أمراء السابقين أوقعت ضربة مميتة على رأس رخاء المدينة. وبعد معز الدولة جاء عهد بختيار وكان مجده خليل الجندي والفائدة على الحياة الاقتصادية.

(١) حكايات الشطار والعيارين ص ٨٠ - ٨٦ .

(٢) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار "بغداد في القرن الرابع الهجري" ، مجلة المورد مع ٢، ع ٢ (١٩٧٣) ص ٢١ .

أما فترة حكم عضد الدولة فقد أعاد الرخاء ولو لفترة قصيرة، ولكن كانت نهاية الحكم البويري بشكل عام أشبه بالكارثة إذ أدى إلى نقص المساحة المسكونة^(١).

فالعبد بالأموال العامة والإهمال الإداري وبلوغ السلطة إلى إجراءات المصادرية والغرامات والرسوم الفادحة، وإساءة استعمال السلطة من قبل الموظفين والإخلال بالأمن جراء الحرrop الأهلية والاضطرابات والمجاعات التي ابتليت بها بغداد خلال القرنين العاشر والحادي عشر، بالإضافة إلى أعمال العصيان الشعبية والعسكرية وجرائم الغوباء والعيارين والشطار والكوراث الطبيعية كالفيضانات والحرائق وغزوات الجراد. جميع هذه الأمور كانت عاقبتها ارتفاع الأسعار والبؤس والجوع وزراعة السكان وتؤدي وبالتالي إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بغداد خاصة وفي الخلافة الإسلامية بشكل عام^(٢).

وبالتالي إلى ظهور حركة الشطار والعيارين وبالرغم من اختلاف العناصر المكونة لهذه الحركات، ففيهم السنّي، والشيعي والعلوي والكردي، والعباسي والبغدادي فإن هذا يدل على اتساع حركتهم الاجتماعية وتوجيهها ضد رجال الحكم والأغنياء وذلك رغم اختلافهم في النسب أو المزيلة الاجتماعية وما ذلك إلا نتيجة لما كانت تعانيه بغداد من أوضاع سياسية واقتصادية^(٣).

أما بالنسبة إلى منطقة بلاد الشام والتي كانت في فترة سابقة حاضره الخلافة الإسلامية في فترة حكم الأمويين، فتشير المصادر التاريخية أن الأوضاع الاقتصادية

(١) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار "بغداد في القرن الرابع الهجري"، مجلة المورد، مجل ٢، ع ٢ (١٩٧٣) ص ٢١.

(٢) نفس المصدر ص ١٨ - ٢٢.

(٣) العامة ببغداد ص ٢٨٩.

تأخرت خلال الفترة (١٣٢هـ - ٢٥٩هـ) عما كانت عليه في العصر الأموي وهذا يائد إلى عدة أسباب منها:

١. أن خلفاء بني العباس وولاتهم في الشام لم يوجهوا اهتمامهم بإصلاحات لتنمية الحياة الاقتصادية ودفع عمليتها إلى الأمام.
٢. خوف العباسيين من نفوذ أصحاب الثروات الكبيرة والمصالح الاقتصادية في بلاد الشام.
٣. لم تعد بلاد الشام مركز الخلافة.
٤. ثقل الضرائب المفروضة على الأراضي دفعت عدد كبير من المزارعين بالنزوح عن أراضيهم وعدم استغلالها.
٥. ازدياد عمليات مصادرة الخلفاء والولادة لأموال العمال والكتاب والتجار والأغنياء^(١).

إن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي مرت بها مدن الشام خلال الفترة الواقعة ما بين أواسط القرن الثاني وأواسط القرن الرابع الهجري تدل على ثقل وطأة الحكم العباسي على الناس في أول الأمر ثم ما لبثت السلطة المركزية في بغداد أن أهملت شأن الشام عندما بدأت أمرها بالضعف وإساءة اختيار الولاة الذين أخذوا بالقتل فيما بينهم إلى أن تتهي الأمور بالاتفاق على اقسام المناطق^(٢).

(١) د. أمينة بيطار "الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بين سنتي ١٣٢ - ٢٥٩هـ" مجلة دراسات تاريخية، ع ٣، ١٩٨٠م، ص ١٢٣.

(٢) د. شاكر مصطفى "الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي"، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، ع ٤، ١٩٧٣ (١٦٧)، ص ١٧٦.

هذه الأمور أدت إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فقد انخفضت عوائد الجباية من الخراج خلال حكم الخليفة المعتصم مما كانت عليه خلال فترة حكم المؤمن^(١). وما حصل في منطقة العراق والشام من التدهور والتراجع حصل أيضاً في باقي مناطق الخلافة الإسلامية.

كان القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) قمة وبداية تراجع في التطور الاقتصادي إذ شهد أوج نشاط المؤسسات التجارية والصيرفة وازدهار الزراعة وتقديم فنون الصناعة.

ونتيجة تحكم الجند الأتراك أدى إلى إهمال نظام الري في الفترة السابقة لحكم البوهين. ولكن الخلافة غزت في عقر دارها بعد أن تعرضت كيابها للتجزئة بالحركات الانفصالية والسلط الأجنبي مما أدى إلى ارتباك وتمزق، ففي الثلث الأول من القرن الرابع الهجري دخل البوهيون بغداد واقاموا حكماً وراثياً في قلب الخلافة العباسية، فكان ذلك بداية انحراف التطور الاقتصادي ففرضت الضرائب والرسوم وصودرت الأموال وأهملت أنظمة الري وتعرض التجار للمصادرات وتراجع النشاط التجاري والصيري.

إن فترة حكم البوهين كانت فترة سيادة أجنبية في دار الخلافة، سلطط الأجانب على الحياة العامة في العراق وعملوا على الاستئثار بخيراته دون النظر إلى متطلبات النشاط الاقتصادي أو إلى حاجات المواطنين فأهملوا نظام الري وشلت الفعاليات الاقتصادية وهبط مستوى المعيشة لأهل البلاد^(٢).

(١) د. أمينة بيطار "الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بين سنتي ١٣٢ - ١٣٩ هـ" مجلـة دراسـات تـاريـخـية عـدـ ٣ (١٩٨٠)، ص ١٢٧.

(٢) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٨٧ - ٩٣.

إن التفاوت الاقتصادي أدى إلى ازدياد نسبة التباين الطيفي بين فئات الشعب وما صاحب ذلك من تدني الوضع المعاشي للمواطنين وللقيام بحركات اجتماعية وثورات تكشف عن طبيعة الأوضاع القائمة.

وقد شهد المجتمع خلال القرنين الثالث والرابع الهجري ونتيجة لتدحر الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية إلى قيام حركة الشطار والعيارين أو ما سمي بثورات العامة^(١).

(١) نفس المصدر ص ٧٢ .

انحراف الفتوة

كان الفتيان في العراق وفارس قد تحولوا منذ فترة التزاع بين الأمين والمأمون أو اخر القرن الثاني للهجرة أو قبل ذلك في اواسط القرن نفسه في البصرة والكوفة من جماعة لاهية عابثة إلى جماعة فقيرة نهابه أو مقاتلة واطلق عليهم أحياناً القاب السفلة، الأوباش، الرعاع، العراه وأحياناً أطلق عليهم لقب الشطار واللصوص وباعة الطرق.

وقد أصبح عددهم من الكثرة وخاصية في مدينة بغداد. وبذلك شكلت قوة شعية تبث الاضطراب والرعب في المدينة^(١). وانقلب الفتيان شطاراً وعيارين يخلون بالأداب ويشرون الاضطراب ويخيفون الأمة وهم في ذلك يستندون إلى سند مروي وأقوال متقدمة ومذهب يدعون له القدم ويجرؤون^(٢) للفتوة أموراً يدعون أنها لا تتم إلا بها^(٣).

وكما تطورت الفتوة عند أرباب الزهد والتتصوف كذلك تغيرت عند الراغبين في الدنيا والتشوق إلى اللهو والملذة وانقلبت الشجاعة في المواقف المشرفة إلى شطاره وعياره في فتوة مزيفة. فالشراب والألعاب والغناء والتشطر والإرهاب صارت من صفات الفتوة الثانية اللاحية مع الاحتفاظ ببعض الصفات الأصلية كاللوفاء والنجدة والسماء.

وكان في أواخر عصربني أمية وتحديداً في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري تكونت بالشام والعراق طبقة من الناس يعرفون باسم الفتيان يجتمعون للهو والسكر والغناء، وكان الغناء من مظاهر هُوهم^(٤).

(١) د. مصطفى شاكر (الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق)، مجلة كلية الآداب والتربية، ع ٤٠٣ (١٩٧٣) ص ١٧٧.

(٢) مصطفى جواد "الفتوة وأطوارها"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥ (١٩٥٨) ص ٥٢.

(٣) مقدمة كتاب الفتوة، د. مصطفى جواد ص ١٣ - ١٤.

وعلى الرغم من الصفات المذمومة التي وصفوا بها مثل الرعاع، الأندال إلا أن هؤلاء الشباب تبيزوا بصفات تبعدهم عن أخلاق الضرصور العاديين كالشجاعة والشهامة والصبر والمحافظة على الحرم إلى غير ذلك من الصفات^(١).

وكان من الطبيعي أن تلقى هذه الفتورة العياره مقاومة شديدة من ولاة الأمور والحكام لاخلاطها بالأمن وازالتها الاستقرار وانتهاب الأموال وسفك الدماء المحرمة باسم الدين أو المذهب^(٢).

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦١هـ وقعت في هذه السنة فتنة عظيمة وتحزب الناس وظهر العيارون وأظهروا الفساد وأخذوا أموال الناس وكان سبب ذلك هو استغفار العامة إلى الغزو فعندما اجتمع الناس وتکاثروا تولّد بينهم من أصناف النبوية والفتیان والسنّة والشيعة والعیارین، فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور، ومن جملة الأماكن التي احترقت محلّة الكرخ، فقد كانت مركز التجار والشيعة^(٣).

ويجب أن نلاحظ أنه في القرن الرابع الهجري تعاظم الفرق بين الفتورة النظرية والفتورة العملية واختلاف الأعمال عن الأقوال، أي عدم التزام الفتیان بقانون الفتورة ومخالفتهم لذلك^(٤).

روى القاضي التوخي قصة حدثت لأبيه وكان قاضياً، يقول الأب: خرج إلينا ذات مرة لصوص البحر في عدة سفن ومعهم القسي والشاب وهو نحو مائة نفس كالعسكر العظيم واضطرب أمام هول السلاح أن يستسلم وأن يحضر رفاقه بالاستسلام ليثاراً

(١) الدكتور أحمد مختار العبادي، (الطوائف الصناعية أو الأصناف)، مجلة عالم الفكر، مج ١١، ع ١١٤ (١٩٨٠-١٩٨١) ص ١٢٨.

(٢) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية/ ص ٢٧.

(٣) الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٤٥، د. مصطفى جواد (الفترة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥ (١٩٥٨) ص ٥٦-٥٥.

(٤) د. مصطفى جواد (الفترة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥ (١٩٥٨) ص ٥٥.

للسلامة وطلبًا للنجاة بحياتهم، وبينما هو على هذه الحالة والسفن تسلب والأموال تنهب أقبل رئيس اللصوص على السفينة التي كان القاضي قابعاً بها وحين رأه رئيس اللصوص منع أصحابه من اتهاب شيءٍ من السفينة التي هم فيها، وصعد إليه وحده فأخذ يتأمل القاضي، ثم انكب عليه يقبله فلم يستطع الت辨خى معرفته وعندما كشف اللص عن وجهه وعرفه بنفسه، تذكرة وبأنه كان عبداً له^(١).

إن هذه الحركة المعارضة الرافضة المتمردة على وضعها السياسي والاجتماعي والاقتصادي سوف تستقطب أو بالأحرى تستغل من قبل الأمراء السلجوقيين العابرين في سلب أموال الناس وثرواتهم عنوة واقتداراً، فاندساوا بين الفتىاني العيارين وسلبوا ونهبوا وقطعوا الطرق بأسمائهم يدفعهم إلى ذلك خليفة مستخلص سلطان سلجوقي باطنش بدءاً من السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه الذي وصف بأنه يعاشر الخمر ليلاً، ونهاراً لا يعرف من السياسة شيءٌ، فأخذت كل جماعة بالاحتماء بأمير من أمراء السلجوقة أو بأبن وزير أو كبير، فأخذوا أموال الناس وكانوا يكبسون الدور ليلاً بالشمعون ويدخلون الحمامات وقت السحر فيأخذون ثياب المستحبين إلى غير ذلك من الأعمال.

وأنهم كانوا وتحت قيادة هؤلاء الأمراء والكبار يدخلون الأسواق جهاراً ونهاراً ويفرضون على أهلها الآتاوات الباهظة والذي يتمنع بهدد بحرق حانته، بل تجاوزوا ذلك وأخذوا يهاجمون الدور السكنية حتى أصبح الناس لا يستطيعون الخروج من منازلهم ليلاً.

كما أنهم أخذوا يتمادون بأخذ بضاعة التجار فاغلقوا الذاكين والخانات واختلت الأمور^(٢).

وأخذ اللصوص وقطع الطرق الفتورة سبيلاً إلى تلصصهم وسلبهم ونهبهم، وقد ذكر بعض المؤرخين ما حدث مع أبي نصر الفارابي الفيلسوف في القرن الرابع الهجري

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١) ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ١٥٢ - ١٥٣ .

عندما ارتحل من دمشق إلى عسقلان استوفاه بعض اللصوص في الطريق وما حصل له
^(١)
محهم .

وفي سنة ١١٣٥هـ / ١٧٢٠ م والسنوات التي أعقبتها كان الحاكم وأعضاء من أسرة الوزير وأسرة الخليفة من اتباع زعيم الفتى وعندما يشتد ساعدتهم كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب في السوق^(٢) .

أما كلوذكاهن فيورد الرأي الآتي قائلاً:

ليس لنا أن ندرس بشكل أوسع من وجهة نظرنا الحاضرة أيديولوجيا الفتوة هذه التي تبنت حتى الكلمة الأكثر إفساداً وهي العياره (عياري في الفارسية)، أنها علينا ببساطة أن نذكر أن التسويق الشعبي الذي قام به من أجل نشر هذه المفاهيم بشكل محبب يساعد على رفع نوع المخطر الذي استطاع حتى ذلك الحين أن يلقي بثقله عليها في بعض أوساط الارستقراطية والأصولية، وبعد أمغان النظر يتبين أن الصفات المعروفة حيث يهاجم ابن الجوزي الفتى فهي لا تشكل على الإطلاق هجوماً على الفتوة ولكنها بالعكس وفقط جهد من أجل الإيحاء بأن تصرف الفتى الأفراد هو نتيجة انحراف عن الفتوة الحقة، وهو نوع من الدجل فهو يأخذ عليهم بشكل خاص السرقة والقتل من أجل قضايا الشرف وآخرون يتهمونهم بالانحراف الجنسي من هذا الموقف قد يمكن أن يشجع باستمرار معارضته للفتى، ولكن قد تتولد منه أيضاً فكرة الضبط، فكرة إصلاح هذه الفتوة باسم فتوة علياً^(٣) .

(١) مقدمة كتاب الفتوة / د. مصطفى جواد ص ٢٨ .

(٢) Taeschner, Fr., Futuwwa, E.I, Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

(٣) كلوذكاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الثاني في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى) مجلة الاجتهاد، ع ٦ (١٩٩٠) ص ١٧٦ - ١٧٧ .

وخلال الفرون الثلاثة من الرابع إلى السادس الهجري كانت ملية بقصص القلاقل
التي أشاعوها أو ساهموا في إقامتها^(١).

(١) Taeschner, Fr., *Futuwwa*, E.IY, Vol. II P.P ٩٣١-٩٣٩

تعريف العيار: العيار في اللغة هو الرجل الكثير الجيء والذهب في الأرض، وقيل هو الذي كثير التطاويف والحركة.

يقال غلام عيار نشيط في العاصي وغلام عيار نشيط في طاعة الله.
والعرب تدح بالعيار وئذم به.

وعار الرجل في الأرض يعير بالسيف، وعار الرجل في القوم يضرهم بالسيف.
وقال الأزهري عار الرجل يعير عراناً وهو تردد في ذهابه ومجيئه.
وربما سمي الأسد بالعيار لتردد ومجيئه وذهابه في طلب الصيد^(١).

تعريف الشاطر: الشاطر نصف الشيء، وشاطره جعله نصفين، وشاطره ماله ناصفة،
ويقال هو الذي شطر على أهله وانفصل عنهم وتركهم مراهماً أو خالفاً وأعيادهم خبأ
ومكرأً.

وخلاصة القول أن لفظ الشاطر يطلق على الرجل الواسع الحيلة والدهاء الذي
بعد أو أبعد عن أهله واقترب من الله بالطاعة أو ابتعد عنه بالمعصية، وهو بهذا المعنى
الاصطلاحى دخل أيضاً التاريخ السياسي والاجتماعي والديني في الإسلام وارتبط لفظ
العيار أشد الارتباط بحركة الفتوة الإسلامية فالصوفية^(٢).

ترجع البدايات الأولى لظهور العيارين والشطار إلى أيام الخلفتين أبي عبد الله محمد
المعدي (١٥٨ / ١٦٩ هـ - ٧٧٥ م)، وأبي جعفر هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٤ هـ /
٧٨٦ - ٨٠٨ م). حيث الإشارة إليهم باسم الصعاليك والدعار. وإذا كان المهدى
والرشيد قد تمكنا من الحد من امتداد موجة العيارنة والشطارة إلى بغداد، فإن الأمين سمح
 لهم بذلك أبان الفتنة بينه وبين أخيه المأمون.

(١) لسان العرب، مادة عيار، العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسي ص ٢٧.

(٢) لسان العرب / مادة شاطر، العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسي ص ٣٠.

وصار العيارون والشطار من المقربين إليه والمدافعين عنه عندما استجده بهم أثناء محنته وقادوا مقاومة العامة ببغداد وأبلوا أثناء الحصار بلاء حسناً وظلوا على وفائهم للأمين^(١).

أن أول ذكر للعيارين يقع في حوادث شهر ذي الحجة ١٩٦هـ / ٨١٢ م أثناء حصار طاهر بن الحسين قائد المأمون لبغداد والتي دامت أربعة عشر شهراً.

وكان ظهورهم على شكل جماعات مسلحة لها تنظيم عسكري أشبه بتنظيم الجيش الاعتيادي.

وقد جرى ظهور العيارين على المسرح السياسي عندما تحطمت الجيوش النظامية للخليفة الأمين أمام جيوش أخيه المأمون بقيادة طاهر بن الحسين إذ لم يجد الأمين أمامه سوى العيارين والشطار من أهل الفتنة والتتجدة ليمدوا له يد العون في محنته.

وعندما شدد طاهر بن الحسين الحصار على الأمين تخلى عنه القادة والجنود، فلم يبقى معه للدفاع عنه إلا باعه الطريق والعراة وأهل السجون والأوياش والرعام والطرازين وأهل السوق. فقد أباح لهم قائد الأمين حاتم بن الصقر النهب^(٢).

وكانوا بالفعل بتنظيمهم الشعبي خير من يقود لواء المقاومة الشعبية داخل المدينة المحاصرة، ولذلك عرفوا بالمحمدية نسبة إلى محمد الأمين، كما عرفوا أيضاً بالصعاليك لفقرهم المدقع، وبالعراة لضعة لباسهم وسلاحهم^(٣).

متسلحين بالحجارة والهروات ولا يحميهم سوى تحذاتهم المصنوعة من سعف التخييل يقفون دفاعاً عن الأمين ضد هجمات الحراسين الذين انحازوا إلى أخيه المأمون.

(١) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسى ص ٨١ - ٨٢.

(٢) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٥٢، وانظر أيضاً الفتنة في عهدى الأمين والمأمون، رسالة ماجستير، أحد الخطيبى، الجامعة اليسوعية، ١٩٨١ م.

(٣) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجرى ص ٢٨٦، العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسى ص ٣٧ - ٣٨.

وبعد ذلك بحوالي نصف قرن نجدهم يقرون إلى جانب الخليفة المستعين ضد جيوش المعتز^(١).

ثم كان ثاني ظهور للعيارين بشكل جماعات كبيرة منظمة و المسلحة في حصار بغداد الثاني سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م.

ولما حلت سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م وعلى آثر اضطرابات وقعت ببغداد ظهرت كل وقاتات كبيرة من العيارين^(٢).

ثم استمرت بعد ذلك تنظيمات العيارين فنرى أنه في سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م يصبح لهم في كل حرب أمير، وفي كل محلة متقدم.

وتشير الروايات التاريخية إلى دقة تنظيماتهم، حيث ظهر من خلال هذا التنظيم التدرج العسكري في الرتب والمسؤولية^(٣).

وقد وصفهم الشاعر أبو يعقوب الخريجي بهذه الأبيات:

يحرقها ذا وذاك يهدئها
ويشتفى بالتهاب شاطرها
والكرخ أسوقها معطلة
يستن عيارها وعائدها
أخرجت الحرب من سواقطها
آساد غيل غالباً تساورها

(١) Taeschner, Fr.,(Futuwwa), E.II, Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

(٢) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٣) نفس المصدر ص ٢٩٠ - ٢٩٢.

من البواري تراسها ومن الـ
صوف إذا ما عدت أساورها
كتاب الهرش^(*) تحت رايته
ساعد طرازها ومقامرها^(١)

ومنذ النصف الثاني الهجري تبلورت الفتوة في تيارين، الأولى فتوة العيارين والشطار وهي فتوة عملية عنيفة، وكان أول ظهور لهذه الفتة أبان الفتنة بين الأمين والمأمون. والثانية الفتوة الصوفية.

وأصبح شعار العيارين السراويل بينما شعار الفتوة الصوفية المرقعة، وقد أشار ابن الجوزي إلى الاتجاهين المذكورين، ونلذ بفتوة العيارين قائلاً «من هذا الفن تليسه على العيارين فيأخذ أموال الناس، فإنهم يسمون بالفتيا، ويقولون الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة، ومع هذا لا يتحاشون عنأخذ أموال الناس ويسمون طريقتهم هذه فتوة^(٢)».

أما الشطار فأول إشارة عنهم تتفق مع بدء الحديث عن العيارين، ثم تختلط أخبارهم بعد ذلك بأخبار قرناائهم العيارين على سبيل المشاكاة^(٣).

ولقد استعملت الكلمة فتى للدلالة على العيار والشطار وهذا يؤكد الترابط بينهم يقول أحد الشعراء يصف دور العيارين:

(*) الهرش: أحد قادة الأيمن.

(١) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٨٦.

(٢) د. عبدالعزيز الدوري (نشره الأصناف والحرف في الإسلام) مجلة كلية الآداب، ع ١ (١٩٥٩) ص ٣٠.

(٣) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسى ص ٣٨.

ليس يدرؤن ما الفرار إذا الأبر
 طال عاذوا من القنا بالفرار
 واحد منهم يشد على الـ
 سفين عريان ما له من ازار
 ويقول الفتى إذا طعن الطعـ
 نة خذها من الفتى العيار^(١)

كان العيارون والشطار من العامة، وبينهم أهل الصنائع والحرف والباعة، وكانوا يخرجون للقتال بتبعة شبه عسكرية ولم عرفاء ونقباء وقادة، وتؤكد أخبار العيارين والشطار على فتوتهم، وتترافق كلمة الفتى مع العيار والشاطر.

ولكن تنظيمهم الداخلي هو تنظيم حربي ومراسيم الانتماء تشبه مراسيم الأصناف وهي ذاتها أساس مراسيم الفتوة^(٢). ومع أن الأسواق تضررت بحركتهم إلا أن هدفهم كان التجار لا الصناع، فهم لا يتعرضون لصغار التجار وهم عبادى أخلاقية منها المرؤة والرفق بالضعفاء والفقراء وحماية النساء، وكانوا يطلقون على طريقتهم الفتوة، ويعتزون بالشجاعة والكرام.

ونظرتهم إلى الأغنياء والتجار بأنهم أناس جشعون سيطروا على الأموال دون وجه حق وأن السلطة تحميهم وهذا يؤكّد الجانب الاجتماعي لحركتهم^(٣).

فالعيارون والشطار بالمعنى السياسي والاجتماعي فئة مطحونة جمعت بين الصعلكة والدروشة ظهرت فيما بين أواخر القرن الثاني الهجري وأواسط القرن السابع الهجري في

(١) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٧٧ .

(٣) نفس المصدر ص ٧٧ - ٧٨ .

فارس والعراق وعلى غرارهم ظهرت فرق الأحداث بالشام والخرافيش والزعار والعياق والفتوات في مصر.

وكانت هذه الجماعات بعثابة ميليشيات شعبية مجاهدة أو ناهبة، ففي بعض الظروف كان ظهور العيارين والشطار كمجاهدين في سبيل العقيدة ونجدهم على حدود الدولة الإسلامية.

بينما شكل آخرون فريقاً في المدن يظهرون عند ضعف الحكومة المركزية ويوقعوا الرعب والرعب في قلوب الطبقات الثرية، وكانت الفتن المنهبية والخلاف السياسي والاضطرابات العنصرية مرتعاً خصباً لعملهم^(١).

إن صفات الشطار والعيارين التي ذكرت بها المعاجم اللغوية واثبتها المصادر التاريخية والأدبية تمحض في التفتي والسرقة وقطع الطريق.

فالتلخص القائم على الفتوة كأسلوب عنيف لمقاومة القهر الاجتماعي والسياسي بالقوة مع الاحتفاظ بأخلاق الفتيان والفرسان^(٢).

قامت حركة العيارين والشطار التي اتخذت من مبادئ الفتوة مثلها الأخلاقية واتجاهت وجهة ثورية، ويدأت بشعائر ومراسيم اللباس^(٣).

ومن الطبيعي التساؤل عن العلاقة بين الفتيان الذين تكلمنا عنهم وبين العيارين الذين نتكلم عنهم الآن.

لقد قدمت النصوص دليلاً قاطعاً بأن العديد من الفتيان كان يدعون بالعيارين أو ما شابه ذلك، ولذلك نجد أن بعضهم أطلق على نفسه تسمية الفتيان أو أتباع الفتوة.

(١) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسي ص ٣٥ - ٣٧.

(٢) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسي ص ٣١ (هذه الصفات كالشجاعة والشهامة.. إلخ مُرْذكُها).

(٣) نشوء الأصناف والحرف في الإسلام ص ٣٥.

إن التطابق البجزي بيتهما ليس موضع خلاف والسؤال الوحيد الذي يجب معرفة هو هل معرفة أو عدم معرفة التطابق ضروري، ومدى أهمية ذلك^(١).

وما يدل على صلة العيارين والشطار بالفتوا الصوفية، إن كثيراً من الفتيان العيارين أو الشطار الذين نعرف شيئاً عن تاريخ حياتهم كانوا أما صوفية أو من لهم ميل إلى الطريق الصوفي كما يظهر من الجداول بين نوع العيار رئيس الشطار بنيسابور وحمدون القصار زعيم الملامية بتلك المدينة^(٢).

إن حقبة الاضطرابات التي ميزت القسم الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي كانت غنية بظاهرات العيارين والذين كانوا أما متواطئين أحياناً مع اللصوص كما حصل في سنة ٣٠٦هـ وطوراً مساعدين للزعماء السياسيين ضد نكوص الفتوة العامة النظامية كما في حوادث سنة ٣١٧هـ / ٣١٩هـ والتي شارك بها العيارين^(٣).

وعندما تحركت أسعار السلع في آخر سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م اضطررت العامة ببغداد وأستطاعوا منع الإمام من إقامة صلاة الجمعة، كما أنهم هدموا المتابر واحرقوا الجسور، وعاثوا فساداً في مجالس الشرطة، مما دفع السلطان آنذاك بمحاربتهم فثم القبض عليهم وضربوا^(٤).

وكان العيارون يتدخلون في الخلافات التي تقوم بين التجار، مما اضطر النسيوي مدير شرطة بغداد إلى الهرب لعدم استطاعته السيطرة عليهم، إلا أنهم قاموا بمحاصرته في منزله^(٥).

(١) Taeschner, Fr.,(Futuwwa), E.II, Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

(٢) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسى ص ٣٢.

(٣) كلود كاهن "الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى" مجلة الاجتهد، ع ٦ (١٩٩٠) ص ١٥٠.

(٤) المتنظم ج ١٣ / ص ١٩٤ .

(٥) كلود كاهن "الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى" مجلة الاجتهد، ع ٦ (١٩٩٠) ص ١٥٣ .

وفي سنة ٩٢١هـ / ٣٠٩ م حصل حريق بباب الشام وسوية نصر ومنطقة الحذائين بالكرخ وطاق^(٤) الحراني ومات نتيجة هذه الاوضطرابات خلق كثير^(٥).

وفي رمضان سنة ٩٢١هـ / ٣٠٩ م كبس اللصوص متزل الناقد الصيرفي فأخذوا آثار وأوراق.

وفي سنة ٩٣٤هـ / ٣٢٣ م وقع حريق عظيم في منطقة الكرخ وطريق البزارين ذهبت به أموال كثيرة للتجار^(٦).

وفي سنة ٩٥٩هـ / ٣٤٨ م كانت الفتنة متصلة بين السنة والشيعة وقتل من الطرفين أعداد كبيرة وحصلت نتيجة ذلك الحرائق بباب الطاق^(٧).

وفي سنة ٩٧٤هـ / ٣٦٣ م حصلت مشاجرات في منطقة الكرخ اسهم بها الرعاع والعيارين^(٨).

وفي سنة ٩٨٢هـ / ٣٧١ م حصل حريق في منطقة الكرخ (سوق الاساكفة) والخذائين واحتراق أناس كثيرون نتيجة الاوضطرابات^(٩).

وفي سنة ٩٩٤هـ / ٣٨٤ م وقعت مصادمات بين السنة والشيعة وحصلت عدة حرائق في عدة أحياe وقد شارك العيارون بذلك^(١٠).

(٤) طاق الحراني: خلة بغداد بالجانب الغربي، معجم البلدان ج٤، ص٥.

(٥) المتظم ج١٣ / ص١٩٩.

(٦) نفس المصدر ج١٣، ص٢٠٠، ٣٤٩.

(٧) المتظم، ج١٤ ص١١٨ 'يسّمى طاق أسماء بالجانب الشرقي من بغداد بين الرصافة ونهر المعلّى، معجم البلدان ج٤ ص٥'.

(٨) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار "بغداد في القرن الرابع الهجري" المورد، سج٢، ع٢ (١٩٧٣) ص١٧ - ١٨.

(٩) المتظم ج١٤ ص٢٨١.

(١٠) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار "بغداد في القرن الرابع الهجري" ، المورد سج٢، ع٢ (١٩٧٣) ص١٧ - ١٨.

واستمرت ثورات العامة ببغداد ففي سنة ٤٠٧هـ / ١٠٦١م اتصلت الفتنة بين السنة والشيعة ونهبت المحالات التجارية واحتراقت بعض البيوت^(١).

وتوسعت فتورة العيارين وكثرت قتاتها وأضراباتها، وأشار ابن الأثير إلى ذلك في حوادث سنة ٣٦١هـ حين حصلت فتنة ببغداد بسبب استهفار العامة للغزو، ونهبت الأموال^(٢).

وفي سنتي (٤١٦هـ / ١٠٢٥م - ٤١٧هـ / ١٠٢٦م) هجموا على الدور نهاراً واستعملوا المشاعل ليلاً وكانوا يأخذون ذخائر الناس وكل ما يجدوه.

وفي ليلة السبت مستهل صفر سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م كبس جماعة من العيارين يزيد عددهم عن خمسين رجلاً أحد الأشخاص وأخربوا الدور وقتلوه ولم يتجرأ أحد على ردتهم.

وفي نفس الشهر كثرت الكبساط في الجانب الشرقي من قبل البرجي متقدم العيارين واستطاعوا نهب المخازن والمنازل^(٣).

وفي سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م اندلعت نيران حرب حقيقة في بغداد بين السنة والشيعة فاشتعلت النيران أسوق الكرخ وزاد الطين به انتشار العيارين في جميع أرجاء المدينة وانهماكهم بأعمال السلب والنهب^(٤).

وفي سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣١م ثار أهل الكرخ على العيارين، فهربوا واستطاع أهل الكرخ نهب بيوت العيارين وأسلحتهم كما أنهم طلبوا مساعدة السلطان في ذلك^(٥).

(١) المتظم ج ١٥ / ص ١٢٠.

(٢) الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٤٥، د. عبدالعزيز الدوري (نشوء الأصناف والحرف في الإسلام ص ٢١)

(٣) المتظم ج ١٥ ص ٢٠٤.

(٤) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار "بغداد في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)"، المورد، مجل ٢، ع ٢ (١٩٧٣) ص ١٧ - ١٨.

(٥) المتظم ج ١٥ ص ٢٢٢.

وقد تكررت تهديات العيارين في الأعوام ٤٢٤ هـ - ٤٢٥ هـ - ٤٢٧ هـ - ٤٢٨ هـ - ٤٤٥ هـ - ٤٤٩ هـ - ٤٤٦ هـ - ٤٤٩ هـ - ٤٥٦ هـ - ٤٧٩ هـ - ٤٩٠ هـ - ٤١٤ هـ - ٥١٥ هـ - ٥٣٠ هـ - ٥٦٤ هـ^(١). وفي سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م اشتد أرهاب العيارين بقيادة شخص اسمه ابن بكران واحرقـت بعض الأحياء التي يسكنـها شـيعة^(٢).

إن هجمـات العـيارـين كـادـت أن تكون سنـوية طـيلة القرـن الـخـامـس وهـي مـوجـة ضـدـ الأـغـيـاء وـرـجـالـ الحـكـمـ.

وـالـذـلـيل عـلـى ذـلـك عـنـدـما كـتبـ بـختـيـار إـلـى ضـبـهـ بـنـ مـحـمـدـ الـأـسـدـيـ وـهـوـ مـنـ أـهـلـ عـيـنـ التـمـرـ يـأـمـرـ بـالـإـغـارـة عـلـى أـطـرـافـ بـغـدـادـ وـمـنـعـ المـؤـنـ عـنـهـاـ، فـأـرـفـعـتـ الـأـسـعـارـ، وـسـارـ الـعـيـارـونـ وـالـمـقـسـدـونـ فـنـهـبـواـ الـمـدـيـنـةـ^(٣).

وـكـانـ ضـبـهـ بـنـ ضـبـهـ يـسـلـكـ سـبـيلـ الـلـصـوصـ وـقـطـاعـ الـطـرـقـ وـقـدـ نـهـبـ مـشـهـدـ الـحـسـينـ وـاسـطـاعـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ مـحـاـصـرـتـهـ وـالـاستـيـلاءـ عـلـىـ أـمـوـالـهـ وـأـهـلـهـ وـعـوـقـبـ نـتـيـجـةـ أـعـمـالـهـ^(٤).

وـنـتـيـجـةـ خـوفـ التـجـارـ وـأـصـحـابـ الثـرـوـاتـ مـنـ سـطـوـةـ الـعـيـارـينـ وـعـدـمـ ثـقـتـهـمـ بـقـوـةـ الـحـكـومـةـ لـضـعـفـهـاـ وـعـجزـهـاـ عـنـ تـأـمـيـنـ الـحـمـاـيـةـ فـلـجـأـوـاـ إـلـىـ مـدارـةـ الـعـيـارـينـ وـمـلاـطـفـهـمـ وـذـلـكـ اـتـقـاءـاـ لـشـرـهـمـ^(٥).

لـقـدـ خـرـقـ الـعـيـارـونـ هـيـةـ السـلـطـانـ وـسـرـقـواـ وـأـرـاقـواـ الدـمـاءـ وـاحـرـقـواـ الدـورـ^(٦).

(١) المتظم ج ١٥ (الصفحات ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٩، ٣٤٠، ٣٢٩) ج ١٦ ص ٢٥٦، ص ٢٥٩ / ج ١٧ ص ٣٩، ص ١٩٤، ص ١٨٢، ج ١٨ ص ٣١٠، العامة بـيـنـدـادـ فيـ الـقـرـنـ الـخـامـسـ المـهـجـريـ ص ٣٠٦.

(٢) جيرارد زـالـنـغـ "الفـتوـةـ هلـ هيـ الفـروـسـيةـ الشـرـقـيةـ" درـاسـاتـ إـسـلامـيـةـ ص ٢٣٠.

(٣) الكامل فيـ التـارـيخـ ج ٧ ص ٥٩.

(٤) نفسـ المـصـدرـ ج ٧ ص ١٠٣.

(٥) العامة بـيـنـدـادـ فيـ الـقـرـنـ الـخـامـسـ المـهـجـريـ ص ٣٠٣ - ٣٠٢.

(٦) المتظم ج ١٥ ص ١٧٠ - ١٧٧.

لقد استمر وجود العيارين والشطار طيلة القرن الخامس الهجري وما بعده وذلك من خلال السرد السابق عن حركتهم، ولكن من الصعوبة إيجاد فصل بين العيار والشطار فكل منهما يدل على الآخر وما ذلك إلا كونهما ظهراً في وقت واحد، كما أنه لا يوجد دليل على أنهما نشأاً منفصلين ثم اتحدا فيما بعد.

إلا أن اسم العيار كان هو الغالب في الاستعمال طيلة القرن الخامس الهجري بالرغم من المحاولات للتفريق بينهما وأيهما أكثر انتشاراً من الآخر في الخلافة الإسلامية أو أيهما أطول بقاءاً من الآخر^(١).

وقد كانت حركة العيارين موجهة ضد السلطان وأصحاب الأموال، فقد ركزوا هجومهم على البارزين والتجار وجبوا الأسواق وما صاحب ذلك من الحرق والدمار وأن هدفهم الأساسي كان التاجر لا أهل الصنائع^(٢).

ومن خلال دراسة نشوء العيارين فإن العامة هم أول من يدفع ثمن هذه الأوضاع السياسية المتردية ولم تحاول الدولة العباسية ترضيه العامة كما فعلت مع الجند عندما يقومون بأعمال الشغب^(٣).

لقد قامت العامة في القرن الخامس الهجري بعدة ثورات أخذت طابعين متميزين عن بعضهما:

أولهما: حركات ثورية عنيفة قام بها جماعة من العامة أطلق عليها اسم العيارين والشطار وهي موجهة إلى السلطة الحاكمة وأصحاب الأموال.

وثانيهما: ثورات اشتراك فيها العامة وكانت موجهة إلى السلطة الأجنبية كالبربيرين والسلاجقة^(٤).

(١) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٢) الدكتور عبد العزيز الدوري "نشوء الأصناف والحرف في الإسلام" مجلة كلية الآداب، ع ١ (١٩٥٩) ص ٢٩.

(٣) محمد رجب التجار "حكایات الشطار والعيارين" ع ٤٥ (١٩٨١) ص ٨٧.

(٤) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٨٦.

ولم تكن حركة العيارين إلا الجانب الثوري من نشاط العامة وأهل الصنائع فهي حركة شعبية.

وكمما يبدو فللعيارين تنظيمات سرية كانت مهددة لتنظيمات الفتوة والأصناف فيما بعد ويورد التنوخي خبراً عن منظمة العيارين الفتيان تعود إلى القرن الثالث الهجري وبين بأن لهم نادٍ خاصٍ يجتمعون فيه ولم يلبس يتميزون ومراسيم الدخول بالتنظيم تشبه مراسيم الفتوة كشرب الكأس والشد^(١).

وكانت العامة في المدن الكبرى خليطٌ من مختلف الشعوب والألوان والعوائد جاءوا للعمل والبحث عن الرزق، وقد بدأ العامة بلعب دور مهم في بغداد كحفظ النظام خلال الفوضى التي سادت بغداد، كما انضم الحرفيون إلى جماعة العيارين والشطار وأيضاً بينهم السنّي والشيعي^(٢).

إلا أنه حصل تراجع في حركة العيارين والشطار فتشير المصادر التاريخية أنه بعد عصر المعتصم وإلى آخر العصر العباسي الأول حيث حكم في هذه الفترة خلفاء أقوباء فلا نسمع شيئاً عن حركة العيارين مما يوحى بتماسك الدولة وثبات سلطتها^(٣).

أما في فترة تسلط العنصر التركي على مقايد الأمور في بغداد، فقد انتقلت الأمور من أيدي الخلفاء إلى أيدي القادة الأتراك وأصبحت الخلافة العباسية اسمية فقط. هذا الأمر لم يروق للعيارين الذين أخذوا بالتحرش بالأتراك ومارسوا عمليات النهب بينما وأنهم عارضوا تسلط العنصر الفارسي والتركي.

(١) د. عبدالعزيز الدوري "نشوء الأصناف والحرف في الإسلام" مجلة كلية الآداب، ع ١ (١٩٥٩) ص ٢٩.

(٢) د. الدوري "نشوء الأصناف والحرف في الإسلام" ، مجلة كلية الآداب، ع ١ (١٩٥٩) ص ٢٤ - ٢٥، د. أحمد مختار العبادي (الطرائف الصناعية أو الأصناف) مجلة عالم الفكر مج ١١ (١٩٨٠/١٩٨١) ص ٩٦٢، دائرة المعارف الإسلامية/ ج ٢/ ص ١٣٨.

(٣) العيارون والشطار البغدادي في العصر العباسي ص ٨٦.

وظل موقف العيارين متارجاً ينتصرون شخصاً ضد آخر، فتجدهم على سبيل المثال مع محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ضد الأتراك وقبلها كانوا ضد طاهر بن الحسين عندما كان قائداً للمأمون.

وتارة مع المستعين ضد المعز، ومع ثورة الزنج ضد الخلافة. أما في خلافة المعتصم فقد ازداد نشاطهم نتيجة كثرة الاضطرابات واستمرّوا في موقفهم المعادي للدولة.

ففي بغداد نرى العيارين يرثون من خلال الغموض في الفترات التي تراخت فيها السلطة فخلال الفترة الواقعة ما بين القرنين الرابع وال السادس الهجري كانت مليئة بالقلق الذي ساهم العيارين والشطار في إقامتها^(١).

لم يقتصر وجود العيارين في بغداد فقط وإنما كان لهم تواجد في البصرة، كما أثنا مجدهم في سامراء، فعندما ثار الأتراك على الخليفة العباسي المستعين وأضطرب تحت ضغط الأتراك للتخلّي عن سامراء متوجهاً إلى بغداد، احتمسته العيارون ونصروه^(٢).

وعندما ثار الزنج في خلافة المهدي والمعتمد اختار العيارون جانب الدولة، وفي خلافة المعتصم اتّقلبت الدولة عليهم واضطهدتهم وتحولوا إلى جماعة نهابه وقطاع طرق^(٣).

تركز وجود الشطار والعيارين في مدينة بغداد حيث توجد القوى الحكومية والارستقراطية والتي ساندت بدورها العيارين للعب دور المعارضة القانونية نتيجة الظلم الاجتماعي والقهر السياسي الحاصل.

(١) Taeschner, Fr., *Futuwwa, E.I.*, Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

(٢) دائرة المعارف الإسلامية / جـ ٢ / ص ٩٦١ .

(٣) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسى ص ١٠٩

ولكن الصورة التي تقدمها الوثائق عن مدن أخرى مختلف تمامًا، فلم تخلو مدينة واحدة في بلاد فارس ومنطقة آسيا الصغرى وبلاط ما بين النهرين من وجود للعيارين وقد بروزا بنفس الصورة التي بروزا بها في بغداد مركز الخلافة، فأحياناً ينضمون إلى البرجوازية ضد أمير محلی كما حصل على الحدود السامانية، وأحياناً اعتمدت عليهم البورجوازية في مقاومة السلطان خاصة في فترة الحكم التركي.

إن أكبر نجاح لهم في سistan فقد كان ارتفاعهم إلى مستوى سلطة الأمير من خلال مملة قفرت من بينهم كالصفاريين الذين دعموا قوات الخليفة خلال صراعه مع الخوارج.

وفي مناسبات أخرى كانوا قادرين على تنصيب الأمير أو عزله أما في معظم المدن التي لم يكن بها شرطة فقد شكلوا مليشيات محلية يعتمد عليهم في ضبط الأمور^(١).

وفي مواقف أخرى تجدهم مرابطين يقومون بواجب الم jihad على حدود الدولة الإسلامية فتجدهم ثائرين على الأوضاع السائدة فلا عدالة اجتماعية ولا عنابة بالطبقات الفقيرة ولا حكومة مركزية مستقرة لذلك أباحوا لأنفسهم بالعصيان ومخالفة القوانين والخروج على العرف المأثور، فهاجموا رجال الدولة وتخلوا بهم، وسلبوا الأثرياء أمراءهم وأملاكهم حتى لقبوا بالعيارين والشطار.

وتحدى المصادر التاريخية والأدبية أن العيارين كانوا يتذرون إلى حياة الفقراء وأسعادهم بالاستيلاء على أموال الأغنياء وتوزيعها وهذا يعني أنهم أخذوا على عاتقهم مهمة إصلاح الخلل الاجتماعي والاقتصادي بالقوة^(٢).

إن آخر ذكر للعيارين هو في خلافة المستعصم بالله أبي أحمد عبدالله (٦٤٠هـ - ١٢٥٨م) آخر الخلفاء العباسين ببغداد.

(١) Taeschner, Fr., *Futuwwa*, E.I,^٧ Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

(٢) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العثماني ص ٣٦ - ٢٧ .

يتبيّن إذن عند دراسة بواحد ظاهرة الشطارة والعبارة في التاريخ العربي أو في الأدب العربي القديم أننا لسنا أمام نوع من اللصوص التقليديين الذين ينبغي أن تطبق عليهم الحدود الشرعية ولكننا أمام نوع من اللصوص - الثوار إذا جاز هذا التعبير ولعل هذا الذي دفع "ماسيون" إلى وصف هذا النوع من البطولة في التاريخ العربي بالبطولة خارج القانون ووصف فروسيّة أصحابها بالفروسيّة المتمردة اتّخذ أصحابها اللصوصية وسيلة من وسائل التمرد الراهن ل الواقع الاجتماعي والاقتصادي السياسي.

ثوار سنة ١١٤٠هـ / ٥٣٥ م إنما كانوا جماعة من اللصوص، ولعل بعض أعيان المجتمع البغدادي توسلوا بالفتورة لزيادة الاتّباع حولهم^(١).

أما الدكتور "محمد رجب النجار" فيرى أن حركة الشطار هي حركة شعبية أصلية تضم في صفوفها أهل الأصناف والصناع ظهرت من بين العامة فتمردت على الدولة والمجتمع واستهدفت الثورة على السلطة الحاكمة وأصحاب الثروات والتجار وذلك عن طريق احتراف اللصوصية والعبارة^(٢).

كما أنه يرى أن أغلب الشطار والعيارين هم شرائح اجتماعية متمردة لا عدوائية، خيره لا شريرة دفعها القدر المادي والاجتماعي السياسي إلى اتخاذ موقف رافض لواقع العصر وأن اتخذوا اللصوصية وسيلة للتعبير عن هذا الرفض مما دفع العامة والقراء للتلاطف مع حركتهم والتغفي بيطرولاتهم^(٣).

وهذا يعني أن حركة العيارين والشطار وإن كانت مرفوضة من الناحية القانونية والسلطوية فإنها مقبولة من الناحية الاجتماعية ويعد أصحابها في نظر العامة أبطالاً^(٤).

(١) جيرارد - زالنغر (الفترة هل هي الفروسيّة الشرقيّة) دراسات إسلامية ص ٢٣١.

(٢) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١) ص ٩٣.

(٣) المصدر السابق ع ٤٥ (١٩٨١) ص ٩١، ١٤٣.

(٤) نفس المصدر السابق ع ٤٥ (١٩٨١) ص ٨٥.

ويرى أن هذه الحركات لا تزدهر إلا في فترات تاريخية تزامن فيها مرحلة التصدع والتفكك ويدأت عصور التدهور والانحطاط بالظهور^(١).

وهذا يعني أنهم على كثريتهم كانوا لا يشكلون مصدر خطر يهدد سلطة الدولة أو مركز الخلافة، بل هو رد فعل طبيعي للتفاوت الظيفي والاقتصادي الذي ساد تلك الفترة. ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن كل الشطار والعيارين أبطال أو شرفاء، أو أن جميع حركاتهم كانت انتفاضات ثورية أو ذات غايات نبيلة، فاي ثورة أو انتفاضة شعبية إلا وقد أندس بها بعض المشبوهين^(٢).

فيما له من همٌ وما هي أهدافهم، ففي المقام الأول كانوا أناساً متواضعين لا مهنة لهم حتى اختلط بهم أناس من ذوي المكانة والرفة طمعاً في الطموح أو بحثاً عن اتباع ومن المؤكد أنه لم يكن لديهم برنامج معين عن النمط الخنزيري الحديث، وإنما كان لديهم ميل شديد للنهب وربما كان دافعهم الوحيد، ومع ذلك كان لديهم طموح بالانخراط في سلك الشرطة أما طمعاً في الكسب أو تحجب الاصطدام بهم، وهلذا السبب كان العيارون في بعض الأحيان يعملون كمتطوعين متبرعين لمساعدة الحكومة المركزية.

أما بين الجماهير فقد اشتهر العيارون بأنهم اللصوص الذين يهاجمون الأغنياء كشكل من أشكال إعادة توزيع الثروة لا مبرر أخلاقي له^(٣).

أما الدكتور عبدالعزيز الدوري فرأيه: أن حركة الشطار والعيارين تعرضت لسوء فهم واتهموا بأنهم أرباش، رعاع، عراه، باعه طرق، نهايه إلى آخر ذلك من التسميات وأنهم يمثلون حركة اجتماعية ثورية ناتجة عن ظروف العامة (أهل الصنائع والحرف) وسوء الوضع المعاشي والناتجة عن التباين الاقتصادي، فكانت حركتهم ثورة

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١) ص ١٩.

(٢) نفس المصدر ع ٤٥ (١٩٨١) ص ٢٠، ٩٢.

(٣) Taeschner, Fr., Futuwwa, E.I., Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

على السلطان (هو أجنبي) وعلى أسياد المال وهجماتهم موجهة بالدرجة الأولى ضد الأثرياء والتجار وضد السلطة مستفيدين من التخلخل السياسي لمارسة فعالياتهم^(١).

أما الأستاذ بدر محمد فهد مؤلف كتاب العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري فإن رأيه بحركة الشطار والعيارين الآتي^(٢):

ومن جملة ما نسب إليهم أيضاً أنهم في سنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م وقفوا في الطريق فأخذوا ثياب الناس المارين، وأنه من الجائز أن هذه الاعتداءات التي أصابت الفقراء ومتسطي الحال هو من قبل اللصوص الاعتياديين الذين استغلوا حركات العيارين فقاموا بأعمالهم هذه فنسبت إليهم.

كما أنه يشير في سياق عرضه وتحليله لحركة الشطار والعيارين بورود أخبار كثيرة عنهم وعن هجماتهم، لكن المؤرخين لم يشارروا إلى نوع الضحايا في تلك الهجمات وأن أعمالهم موجهة ضد أصحاب الأموال ورجال الدولة. أما الفقراء ومتسطي الحال فلم يكونوا هم الهدف المباشر، ولربما لحقت بهم بعض الأضرار الغير مقصودة من طرف العيارين كما حدث في السنوات ٣٩٢هـ / ١٠٠٥م، ٤٠١هـ / ١٠١٠م، ٤٠٨هـ / ١٠١٧م، ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م.

ويشير بأن أغلب حوادث العيارين كانت تقع في الجانب الغربي من بغداد وهو المركز التجاري^(٣).

ويتابع حديثة قائلاً: إن عدم إدراك المؤرخين القدماء لهذه الأسباب الخفية التي أدت إلى ظهور حركات العيارين والشطار جعلهم يسيئونفهم حركتهم لذلك وصفوهم بتهم مختلفة مثل أربايش، رعاع، طرارون، ذعار، لصوص، حرامية.

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٧٧، د. عبدالعزيز الدوري (نشره الأصناف والحرف في الإسلام) مجلة كلية الآداب، ع ١ (١٩٥٩)، ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٣٠٧.

(٣) نفس المصدر ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

ويرى أن بعض المحدثين ساروا على نهج المؤرخين القدماء في فهمهم لحركة العيارين، ولكن من خلال الكلام عن تنظيماتهم ووصف أخلاقهم سيتبين كونهم ليسوا مجرد سراق أو فتاك، أما هم جماعة من عامة بغداد، أدت الأوضاع التي كانت سائدة في تلك الفترة إلى ظهور حركتهم والتي استمرت طيلة القرن الخامس الهجري^(١).

أما "كلود كاهن" فيرى إلى أن ما ذهب إليه ماسنيون عندما أعطى العيارة الفترة مدلولاً أوسع مما أعطاها تيشترن وذلك حين رأها ردة فعل طبيعية لنفسية المعدمين تجاه المجتمع الذي لا يتباهم بأن هذا الرأي يحتوي على نصيحة من الحقيقة ولكنه رأي بسيط وغير عادل، ويشير كاهن إلا أنه كان هناك أعضاء في العيارة من أصحاب المهن النظامية المتوسطة، كما أن الأعيان أخذوا بالاختلاط بهم والاستفادة منهم في لعبة العصبيات التي كانت تتم.

ويشير إلى أن ظهور العيارين بشكل ملفت للنظر يتم في المدن التي كانت تفتقر إلى وجود قوة مسلحة أو شرطة تؤمن الحماية للسكان أو عند وجود قوة أجنبية غير مرغوب بها من قبل الشعب، فإن العيارين يجدوا أنفسهم العنصر الوحيد الفعال الذي يمكن لهؤلاء الاعتماد عليه^(٢).

أما المستشرق الفرنسي "ماريوس كتار" فرأيه الآتي: ماذا عسى أن نقول عن العيارين الذين أسرفنا في ذكرهم؟

أن تاريخهم لا يبدأ من هذه الحقبة، لقد رأيناهم في العصر الفائق وكانوا منظمين يساعدون السلطة أحياناً ويقارعنها أحياناً، فنجد أن ابن شيراز سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥ م استجدهم ليقرع رأس معز الدولة والديلم، ويشير إلى أنهم ليسوا شقاء ولصوصاً كما

(١) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٢) كلوود كاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى) مجلة الاجتهداد، ع ٦ (١٩٩٠) ص ١٦٧ وما بعدها.

وصفوا بذلك، بل كانوا منظمين تنظيمًا شبه عسكري ومنصاعين للأوامر لأن زعمائهم أمثال ابن "حمدي والبرجي" قد أقاموا الدليل على تمسكهما بالروح العسكرية فأثروا مهاجمة الأغنياء ولم يتعرضا للنساء والقراء، كما أنهما استطاعا في فترات آن يقفوا سوراً بوجه الفوضى.

ويشير أيضاً إلى أنه ومهما تكون الأخطاء السياسية التي أسهمت في نشوء هذه الفرق من العيارة فينبغي أن نجزم بأن العيارين كانوا من الأسباب الرئيسية فيما أحاق بغداد من تدهور في تلك الحقبة التي نحن بصددها^(١).

ومن هنا خلص أن حركة الشطار والعيارين هي حركة شعبية تضم في صفوها أهل الأصناف والصنائع والحرف الصغيرة، وأن هذه الحركة موجهة بالدرجة الأولى ضد التجار الموسرين وأصحاب رؤوس الأموال والحكام.

وساعد على ظهور هذه الحركة فقدان الخلافة العباسية مكانتها السياسية منذ القرن العاشر واحتدام الخصومة بين المذاهب الدينية أضف إلى ذلك أن ظاهرة التمايز الطبقي والتباين الاقتصادي والتناقضات الاجتماعية المتعددة التي أفرزها النشاط الاقتصادي والصناعي في الدولة العباسية في عصرها الذهبي.

هذه الأمور مجتمعة أوجدت المناخ الملائم لازدهار حركة الشطار والعيارين.

وكان هدفهم تحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية ولم يكن ضمن أهدافهم الثورة على نظام الخلافة باعتباره خليفة الله في أرضه.

كما أنها تجلدهم أحياناً مرابطين يقومون بواجب الجihad على حدود الخلافة الإسلامية ويتصدون للعناصر الأجنبية كالبرجواز والسلاجقة والأتراك.

(١) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار (بغداد في القرن الرابع الهجري) مجلة المورد، مجل ٢، ع ٢ (١٩٧٣) ص ٢١ - ٢٢.

و بالرغم من افتقار حركتهم للتنظيم والتخطيط فإنهم لا يشكلون طبقة تاريخية كالزنج أو القرامطة.

موقف البوبييين من حركة العيارين

خلص مما سبق أن العيارين أرهقوا بغداد بشطارتهم وفرضوا سيطرتهم عليها وظهر منهم زعماء "كالزريق والبرجمي وأسود الزيد" مما اضطر الدولة إلى الخد من مطوتهم بقتل بعضهم وأحياناً مصانعهم والاستعانت بهم في الغزوات الخارجية وفي إعادة الهدوء للعاصمة المضطربة بالفتن وقد شارك الجند الأتراك العيارين نشاطهم^(١). ولقد كانت حركة العيارين من أسباب تماست الأصناف دفاعاً عن مصالحها ضد الفوضى ودفاعاً عن أسواقها.

ولم تقتصر المؤثرات في الأصناف على حركة العيارين بل تأثروا بالتغيرات العامة الأخرى بالإضافة إلى الاتجاهات المذهبية التي كانت سائدة في العصر البوبي وحصلت بينهم معارك بسبب هذه الاختلافات^(٢).

وكان من البديهي أن تتأثر الفتورة بالحالة الاجتماعية في القرن الرابع الهجري، فقد تفاقمت في العراق وخاصة بغداد ذات العصبية المذهبية باحتلال بني بويه للعراق وهم من الفرس الشيعة وكان من البديهي أن ينصروا المذهب الذي يعتقدونه وأهله يتلون أقليه، فثارت النزاعات المسلحة بين الطوائف ذهب نتيجة ذلك التفوس والأموال، وسادت الأحوال وامتزجت الفتورة بالعيارة والشطارة^(٣).

(١) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسي ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) المتظم ج ٨ ص ٥٩، ٦٠، ٧٨، ٧٩، ٨٣، د. عبدالعزيز الدوري (نشوء الأصناف والحرف في الإسلام) مجلة كلية الآداب، ع ١ (١٩٥٩) ص ٣٣.

(٣) حركات اجتماعية في العصور الإسلامية ص ٢٦.

وفي سنة (٩٤٦هـ / ١٣٣٢م) وهي بداية قيام دولة بنى بويه الخد العرب والأتراء وساندهم العيارون ضد أمير العراق الديلمي البويمي أصحاب السيادة في تلك الفترة^(١).

وفي سنة (٩٤٥هـ / ١٣٣٤م) من خلافة المستكفي بالله أبي القاسم عبدالله كان نهاية فترة نفوذ الأتراء وجاء عصر جديد هو عصر نفوذ بنى بويه الفرس الديلمية، وفي هذه الفترة ازدهرت حركة العيارين ازدهاراً كبيراً وذلك نتيجة ميل البويميين إلى التشيع بحكم كونهم شيعة وانعطاف العيارين إلى التصوف بحكم أخلاقهم يبدأ الفتوة الصوفية، فالتشيع والتصوف صنوان متشابهان، فاختلطتا وتشابها وخاصة في باب الولاية.

و بذلك يكون العصر البويمي بالعراق هو بحق العصر الذهبي لحركة العيارين والشطار كونهم عماد حركتهم^(٢).

إلا أنه في سنة (٩٣٦هـ / ١٣٦٢م) حصلت أحداث مأسوية، فقد أدت انتصارات البيزنطيين إلى الدعوة إلى الجهاد المقدس والإقلاع عن الخلافات الداخلية بين الفرق وزوّرت الأسلحة على المتطوعين وبعد أن تم تسليم الأسلحة للعيارين حدث عكس ما كان متوقعاً حيث بدأ القتال بين السنة والشيعة وتناسوا الحرب المقدمة ضد البيزنطيين، فأخذ العيارون بقطع الطرقات والسرقة ومصادرة الدكاين مما دفع بختيار^(٣) البويمي

(١) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسي ص ١١١ - ١١٢.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٤٥٢ - ٤٥٤، العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسي ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) بختيار أبو منصور، عز الدولة ابن معز الدولة أحمد بن بويه أحد سلاطين العراق من بنى بويه، ديلمي الأصل مولده بالاهراس شديد البأس، الإعلام ج ٢ ص ٤٤.

بأضرام النار في حي باب البصرة جنوبى بغداد وهو أهم مراكز الغليان واعدم رؤسائهم^(١).

وفي أواخر سنة ٩٧٣هـ / ٣٦٢ شهد خطر العيارين نتيجة فساد الإدارة والنتائج من ظلم الرعية من قبل "بن بقية"^(٤) واندلعت الفتنة مجدداً بين السنة والشيعة فنشطت أعمال العيارين^(٢).

وفي عهد عضد الدولة نعمت بغداد بالهدوء إلا أن "ضبه بن محمد الأسي" صاحب عين التمر والذي كان يسلك مسلك اللصوص وقطع الطرق عكر صفو هذا الهدوء بنبيه مشهد الحسين فأثار بذلك مشاعر الشيعة وعقاباً له أرسل إليه عضد الدولة قوة أجبرته على الهرب بنجاة بنفسه وصودرت أمواله^(٣).

وفي سنة ٩٨٩هـ / ٣٧٩ من أمرة شرف الدولة تواترت سيطرة العيارين واستطاعوا جباية الناس كما قتلوا بعض الأشخاص.

وعندما سار أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة سنة (٩٩٠هـ / ٣٨٠) إلى إقليم خوزستان حصلت اتفاقية بين السنة والشيعة وانتهز العيارون هذه المناسبة فهاجروا وانتشرت عناصرهم ونجم عن ذلك حرق ونهب وسلب وتخريب^(٤).

وفي سنة (١٠٩٤هـ / ٣٨٤) حصل خلاف بين السنة والشيعة في منطقة الكرخ أدى ذلك إلى احتراق كثير من المحال واستغل العيارون هذه الخلافات وأشتد عبئهم^(٥).

(١) كلوود كاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى)، مجلة الاجتهد ع٦، (١٩٩٠) ص ١٥١.

(٤) ابن بقية: محمد بن محمد بن علي نصير الدولة أبو طاهر، وزير، خدم معز الدولة بن بويه، ثم صار وزيراً عند عز الدولة (مختيار) توفي في سنة ٩٧٨هـ / ٣٦٧ م، الإعلام ج ٧، ص ٢٠.

(٢) العيارون والشطار البغدادي ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) العيارون والشطار البغدادي ص ١٢٠.

(٤) نفس المصدر، ص ١٢٠.

(٥) نفس المصدر، ص ١٢١.

في نهاية سنة (٨٤٠هـ / ١٠١٨م) من حكم سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة تفجر الصراع بين السنة والشيعة وخلال هذا الخلاف نشطت حركة العيارين فقطعوا الطرق ونهبوا الأموال^(١).

وفي عهد جلال الدولة أبي طاهر المعتر بن بهاء الدولة (٤١٦ - ٤٢٥هـ / ١٠٤٤م) قوى شأن العيارين.

ثم توالت هجمات العيارين، ففي سنة (٤٢١هـ / ١٠٣٠م) قاموا بنهب بعض المحال التجارية من الجائب الشرقي، كما تحرك زعيمهم البرجي لأعمال السلب والنهب.

وفي سنة (٤٢٥هـ / ١٠٣٣م) اعترفت الحكومة بقوة العيارين ورضخت لهم وتنازلت لهم عن جباية ما كان أصحاب المساليع يجبيونه من الأسواق ودور القيان^(٢).

سنة (٤٢٦هـ / ١٠٣٤م) بدأ أمر البويعيين بالضعف وعظم أمر العيارين فأخذوا بمحاصدة الأموال ليلاً ونهاراً، ووجدوا تغطية من قبل الجندي الأتراك الثائرين على السلطان ونوابه، كما أن هؤلاء الجندي كانوا يقاسمون ما يحصل عليه العيارون لقاء سكوتهم عن أعمال السلب والنهب^(٣).

سنة (٤٤٣هـ / ١٠٥١م) من حكم الملك الرحيم أبي نصر خسرو فiroz آخر أمراء البويعيين بالعراق عادت الفتنة بين السنة والشيعة واحتدم القتال بين الطرفين وعجز الخليفة القائم والملك الرحيم وصاحب الشرطة عن إيقاف أعمال القتل والنهب

(١) نفس المصدر السابق ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٩٦.

(٣) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسى ص ١٣٣.

والحرق واستمرت الفتنة إلى سنة (٤٤٤هـ / ١٠٥٣م) وانتشر العيارون وتسللوا على الناس وجروا الأسواق واستمرت هذه الأعمال إلى سنة (٤٤٥هـ / ١٠٥٤م)^(١).

وكانت الحقبة الممتدة من سنة (٤١٥هـ - ٤٢٧هـ) حيث السلطة البويعية في حالة تفكك اكتسب فيها العيارون أعظم قوة^(٢).

ومن الملفت للنظر هنا أن فرار بعض العيارين بصحبة افتکین القائد التركي إلى الشام يتواافق مع بدء التاريخ لنظرائهم الأحداث هناك وفي أرض الجزيرة هذا التاريخ يبدأ في القرن الرابع الهجري. ولخرج بنتيجة وهي أن عياري افتکین هم الذين أدوا إلى نهوض حركة الأحداث بالشام وبالذات في منطقة حلب ودمشق^(٣).

ونظراً إلى استقرار الحكم البويعي لفترة من الوقت أدت إلى سيطرة الحكومة المركزية في بغداد على مقاليد الأمور وطيلة ربع قرن من الزمان لم نسمع عن العيارين أية أخبار إلا قليلاً وخاصة في السنوات الأخيرة من حكم البويعيين^(٤).

موقف السلاجقة من حركة العيارين

في سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م أنهى عصر نفوذ البويعيين وأقبل عصر نفوذ السلاجقة الذي لا يختلف عن سابقه من حيث بقاء الخليفة كرمز روحي بينما تركزت السلطة الفعلية في أيدي الأتراك السلاجقة المستبددين الجدد بالخلافة وهم من السنة الأحناف ويوفر لهم إلى العراق رجحت كفة السنة على الشيعة على عكس الفترة السابقة لمجيئهم، فخضع الشيعة لحكمهم وذلوا ولم يعد بوسعهم إثارة خصومهم كما كان يحدث أيام البويعيين آخرتهم في المذهب ثم زال عهد الفتن المذهبية التي كانت تربة خصبة صالحة

(١) نفس المصدر السابق ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) كلود كاهن (الحركات الشيعية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى)، مجلة الاجتهداد ع ٦ (١٩٩٠) ص ١٥٢.

(٣) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسى ص ١١٩.

(٤) كلود كاهن (الحركات الشيعية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى)، مجلة الاجتهداد، ع ٦ (١٩٩٠) ص ١٥١ - ١٥٥.

لنمو حركة العيارين والشطار. وكان ذلك مؤثراً لركود حركتهم وما ساعد على ذلك شدة قبضة الدولة السلجوقية^(١).

وعلى ذلك مرت السنتان الأوليان من حكم السلجوقة بالعراق دون أن يسمع خبر واحد عن حركة العيارين حتى دخلت سنة ٤٤٩هـ / ١٠٧٥م من حكم أول سلاطين السلجوقة بالعراق وهو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوقي بن دقاق المعروف بطرغريك، بدا الحديث عنهم يعود بشكل قوي مؤثراً ثم بعد ذلك بشكل باهت متقطع^(٢).

ويعمل القول أن العيارين في عصر نفوذ السلجوقة وأصلوا سياستهم في نهب الأغنياء وقد حاربوا الدولة أكثر من مرة دون أن تناول منهم أو أن تستطيع القضاء عليهم، وقد أخذ رجال الشحنكية^(٣) يسرقون باسم العيارين.

وتشير المصادر إلى أن نفراً من كبار رجال الدولة وأعيانها كانوا على صلة بالعيارين وياخذون تصريحهم بما ينهب.

إلا أن الدولة وفي فترة السلطان مسعود استطاعت قطع دابرهم مما دفع بعضهم إلى إعلان التوبية.

عندما فكرت الخلافة الاستقلال عن سلطان السلجوقة بحات إلى العيارين فوقفوا إلى جانبها وحاربوا معها. وعندما تجحت الخلافة بالاستقلال اخندتهم خلب قط في التمثيل بالمحضوب عليهم^(٤).

بعد مضي أربعة عقود ونصف أخذت أخبار العيارين بالظهور وخاصة في فترة خلافة المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله (٤٨٧ - ٥١٢هـ / ١٠٩٤ - ١١١٨م) وسلطنة ركن الدولة بركيارق زاد أمر العيارين في بغداد الغربية^(٥).

(١) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسي ص ١٣٦.

(٢) نفس المصدر ص ١٣٧.

(٣) الشحنك: منصب يقابل الحاكم العسكري في الوقت الحاضر.

(٤) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسي ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٥) نفس المصدر، ص ١٣٨.

وفي سنة (٤٩٨هـ / ١٢٠٤م) توفي السلطان بركيارق ويوفاته انتهى عصر وحده السلاجقة وبدأ عصر الانقسام وفي هذه الفترة بدأت أخبار العيارين بالظهور مجدداً وأن كانت قليلة إلا أنها اتصفت بالقوة^(١).

أدى تفكك الدولة السلجوقية بعد موت ملکشاة إلى عودة العيارين إلى الظهور وعزى إليهم اضطرابات بغداد الغربية في السنوات ٤٩٣هـ - ٤٩٧هـ - ٥١٢هـ - ٥١٥هـ.

إلا أن خطرهم ازداد ابتداء من سنة ٥٣٠هـ واستطاع السلطان مسعود دخول بغداد وأخذها بالقوة بعد حصار قاس نهب خلاله العيارون أسواق بغداد وقاموا بالسيطرة على السفن وبعض المنازل^(٢).

في سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م فترة خلافة المسترشد بالله وسلطنة مغيث الدين محمد الثاني وهو أول سلاطين سلاجقة العراق كث العيارون ببغداد الغربية فأرسل لهم مجموعة من قواته إلا أن قوات العيارين استطاعت هزمهم^(٣).

وفي سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م من خلافة الراشد بالله أبي جعفر منصور بن المسترشد وسلطنة مسعود شقيق السلطان محمود الثاني حصلت تطورات داخلية بين الخليفة والسلطان، مما دفع بالعيارين إلى استغلال الخلافات فثاروا واعملوا النهب في بغداد وقتلوا بكل من تصدى لهم^(٤).

(١) نفس المصدر السابق ص ١٤٠.

(٢) كلود كاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى) مجلة الاجتهاد، ع ٦ (١٩٩٠) ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسى ص ١٤٠.

(٤) نفس المصدر ص ١٤١ - ١٤٢.

في سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م جدد العيارون نشاطهم في نهب أموال الوجاه والأثرياء، وكان زعيمهم في تلك الفترة "ابن بكران العيار" فلم ترهبهم سطوة أعمال البتش ^(١) وكثير اتباع ابن بكران ^(٢).

إلا أنه وفي سنة (٥٣٦هـ / ١١٤١م) بلغ الأمر أن كل جماعة من العيارين اختت بامير من أمراء الدولة السلجوقية أو بأبن وزير، فقد كان ابن الوزير وشقيق امرأة السلطان يقاسمان العيارين ^(٣).

وظهر تنظيم العيارين الحربي مرة أخرى في حصار بغداد الثالث سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م فقد لعبوا دوراً مهماً في الدفاع عن بغداد تحت زعامة "أبي الحسين العيار" الذي أظهر شجاعة نادرة في مهاجمة الجيش السلجوقي ونهبه وإشاعة الخوف والاضطراب بين صفوفه ^(٤).

وفي سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٧م استفحلا شر الفتیان العيارین واجتمعت كل جماعة منهم بامير من أمراء الدولة السلجوقية فاخذوا أموال الناس وكانوا يكبسون الدور ليلاً وأيدلهم الشموع ويدخلون الحمامات ويأخذون ثياب المستحبين إضافة إلى أعمال القتل حتى صار الناس لا يخرجون من دورهم بعد المغرب، وبطأ العيارون لعمل جواسيس لهم لمعرفة الاشخاص أصحاب الاموال، مما دفع الناس إلى إغلاق دكاكينهم وخاناتهم في المدينة ^(٥).

(١) البتش: أحد ولاة السلطان مسعود على بغداد.

(٢) العيارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسى ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٥، العامة بيغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٩٩.

(٤) العامة بيغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٩٨.

(٥) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ص ٢٧.

أما ما قيل بأن العبارين لاقوا مقاومة في العصر السلجوقى أدت بهم إلى اللجوء إلى المجتمعات السرية والاتصال مع الفاطميين فهذا مما لا تؤيده الوقائع التاريخية، حيث أن حركات العبارين كانت سنوية وهذا يدل على ضعف الجهاز الحكومي^(١).

بعد ذلك اختفت أخبار العبارين بقية عصر سلاجقة العراق وهذا لا يعني أنهم زالوا أو بادروا، ولكنهم ضعفوا كفريق معارض للسلطة وأصبحت أخبارهم مهملة فتللاشت مع الأيام^(٢).

حركة الأحداث في الشام

الحدث: شاب حدث في السن، ورجل حدث السن وحديثها: بين الحداثة والحدوث.

ويقال هؤلاء قوم حديثان، جمع حديث وهو الفتى السن، ورجل حدث أي شاب حدث السن وهو لاء غلمان أي أحداث^(٣).

فأول ظهور لهم كان في القرن الخامس الهجري، حيث ظهرت طائفة من الفتوة ببلاد الشام يعرفون باسم الأحداث وأشهرهم أحداث مدينة حلب وقد ساعد الأحداث الخليبيون الأمير أسد الدولة صالح بن مرداش الكلبي على احتلال حلب سنة ٤١٥هـ وانتزاعها من سلطان الدولة الفاطمية وخليفتها يومئذ الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله، وقد جعل الأمير صالح أبي المرجي سالم بن مستفاد الحمداني غلام سيف الدولة بن حدون مقدم سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م.

إلا أن الفاطميين استطاعوا انتزاع حلب من بني مرداش.

(١) العامة بيغداد في القرن الخامس الهجري ص ٣٠١، مقدمة كتاب الفتوة / مصطفى جواد ص ٣٨.

(٢) العبارون والشطار البغدادي في التاريخ العباسى ص ١٤٧.

(٣) لسان العرب، مادة حديث.

وفي سنة ٤٣٤هـ استدعي الخلييون وفيهم الأحداث (الفتیان) معز الدولة أبا علوان ثمال بن صالح وابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس فوصل شمال ودخل حلب واجتمع إليه الأحداث.

وهكذا ظل أحداث حلب ينصرون أميراً ويخذلون آخر^(١).

وقد التحق بفرق الأحداث وحارب معها الرعية أي جموع العامة في المدينة، كما تطوعت معهم أعداد من الجنود وكذلك جموع أهل القرى المحيطة بمدينة حلب وذلك نتيجة تعديات الجند الفاطمي، فوجدوا في القتال ما يملأ فراغهم واستطاعوا منع الجنود الفاطميين من دخول المدينة. فيقوا خارج أسوارها.

أما تسلیح هؤلاء الأحداث فكان يأتي نتيجة الضرائب التي تفرض والتبرعات الطوعية أو الإجبارية وكانوا يمتلكون الأسلحة وعدة الحرب^(٢).

ولعل السبب المباشر في ظهور هذه الفرق على وجه الأحداث في الشام هو ذلك الفراغ السياسي الذي ظهر مع انهيار السلطة الاخشيدية في مصر ثم احتلال الفاطميين لها ومحاولاتهم احتلال الشام.

بينما تحرك في الوقت نفسه قرامطة البحرين بالاتفاق مع بني بويه للدفاع عن دمشق والخليولة دون احتلالها من قبل الفاطميين، كما تحرك في الوقت نفسه الروم للاستفادة من حالة الفوضى التي صارت المنطقة مسرحاً لها في تلك الفترة^(٣).

(١) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ص ٢٦، مصطفى جواد "الفتوة وأطوارها" مجلة الجمع العلمي العراقي، مج ٥ (١٩٥٨)، ص ٥٧.

(٢) د. شاكر مصطفى (الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي)، مجلة كلية الآداب وال التربية، ع ٢ + ٤ (١٩٧٣)، ص ١٩٢.

(٣) د. شاكر مصطفى (الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي)، مجلة كلية الآداب وال التربية، ع ٢ + ٤ (١٩٧٣)، ص ١٨٢ - ١٨٣.

أن منظمة الأحداث كانت تمثل أبيان القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين قوة تحسب لها الدولة الحساب، فقد كان رئيسها في الواقع سيد المدينة، وكان له التفوذ التام في فترات الفوضى والفتنة بحيث أنه لا يمكن فرض سلطة الدولة دون التعاون مع زعيم الأحداث^(١).

إن الوظائف التي مارسها الأحداث في المدينة هي وظائف الشرطة، فإن الفرق الم Johari بين الأحداث والشرطة الكلاسيكية لا يكمن في الصلاحيات بل في التجنيد، فالأحداث هم رجال من المدينة تربطهم صلة وثيقة بالسكان^(٢).

إن النجاح المؤقت لثورات الأحداث أتى لها إقامة نوع من السلطة الحكومية في دمشق وبعض مدن الشام، وكان لها من القوة والتفوذ الواقعي ما مكنتها من تحصيل الضرائب من الأسواق وفرض الاتاوات وأعمال الكبس والنهب التي مارسوا^(٣).

وبالرغم أن حركة الأحداث أصبح لها مكانة عزيزة لدى جماهير العامة إلا أنها مثار رعب وبغض من قبل طبقة الأعيان، واستطاعت حركة الأحداث استقطاب جماهير الشعب إلى جانبها، أما الأعيان والطبقة العليا فكانوا يحاولوا المصالحة والتهدئة خوفاً على أملاكهم ومصالحهم^(٤).

توجد علاقة بين العبارين والأحداث فكلاهما يسعى لحماية الطبقة الكادحة (العامة) من استغلال الطبقة التجارية والأثرياء والدليل على ذلك عصيان أهل حران سنة ٣٣٢هـ على أمير المدينة هبة الله بن ناصر الحمداني وقاموا بطرد نوابه عن المدينة

(١) جيرارد زالتغر (الفتوة هل هي الفوضى الشرقية)، دراسات إسلامية، ص ٢٣٧ (الخامس رقم ٤٨).

(٢) كلوود كاهنن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى)، مجلة الاجتهاد، ع ٦ (١٩٩٠) ص ١٢٩.

(٣) محمد رجب النجار (حكایات الشطار والعبارين) ع ٤٥ (١٩٨١) ص ١٧٠.

(٤) د. شاكر مصطفى (الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي)، مجلة كلية الآداب وال التربية، ع ٤٤ (١٩٧٣) ص ١٩٣.

لأنهم عسروا وظلموا وبالغوا في عادتهم ضد العامة إلى أن قام هبة الله براسلة الأحداث واستجاب لطلابهم وفتحت المدينة له^(١).

أن تاريخ الأحداث في حلب شبيه بحركة الأحداث في دمشق وكانت بداية ظهورهم في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، كما أن موقفهم من الفاطميين هو نفس موقف أحداث دمشق، ففي سنة ٤١٢هـ / ١٠٢٢ م نجدهم يساندون المرداسيين باستلام أمور مدينة حلب، وبعد ذلك استطاع الفاطميون احتلال المدينة وإخراج المرداسيين منها، إلا أن ثورة الأحداث في سنة ٤٣٤هـ أعادت حكم المدينة لأ آل مرداس^(٢).

نشطت حركة الأحداث في دمشق وحلب بصورة خاصة وأن عممت هذه الحركة المدن الأخرى وكونها شبيهة بالميليشيا الشعبية والأخذت موقفاً عدائياً وسلبياً من السلطة الخارجية، ونجحوا أحياناً في فرض سيطرتهم وتولية رئيس منهم على المدينة، كما حصل في دمشق حين تولاها آل الصوفي بين سنتي (٤٨٨ - ٤٩٥هـ)، وفي حلب «آل بديع» وفي آمد (الأسرة النيسانية) في مطلع القرن السادس وكانوا أحياناً يسندون أميراً ثالثاً كما في صور سنة (٣٨١ - ٣٨٨هـ) أو يسندون الأمير المحلي كما فعلوا مع المرداسيين في حلب ضد الفاطميين^(٣).

إلا أن حلب ودمشق لم تكن المديتين الوحidentين في منطقة الشام والجزيرة اللتان شهدتا وجود حركة الأحداث.

فكان لهم تواجد في مدينة صور منذ أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي حيث استطاع «علاقه» أحد الخوارج وبالاعتماد على الأحداث بالاستيلاء على مقاييس الأمور في تلك المدينة من (٣٨١ - ٣٨٨هـ) وأن يصك العملة باسمه.

(١) د. شاكر مصطفى (الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي)، مجلة كلية الآداب والتربية، ع ٤+٣ (١٩٧٣) ص ١٨٢.

(٢) كلوذكاين (الحركات الشعبية والاستقلال الثاني في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى) مجلة الاجتهاد، ع ٦ (١٩٩٠) ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٣) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٧٩.

ويعد ذلك بعائد عام تقريباً كان لهم ذكر في منطقة بعلبك وعسقلان.

أما في الموصل فتشير المصادر التاريخية إلى وجود الأحداث في بداية القرن الثاني عشر الميلادي^(١).

إن المتبع لحركة الشطار والعيارين التي ظهرت في بغداد والأحداث في الشام منذ أواسط القرن الرابع الهجري حتى السادس الهجري يجد ترابطاً ونداخلاً بين هاتين الحركتين فهما تشكلا مليشيا شعبية انخرط بها الحرفيون وال العامة، وكانت الدولة تحسب لهذه التنظيمات الحساب، ولم - رؤساء يدعى أحدهم رئيس ونقيب ومقدم، وحين سيطرتهم على مدينة ما يتوزعون السلطة ويفرضون الضرائب، ويعبروا عن نزرة أهل المدينة تجاه السلطة الخارجية^(٢).

وعندما بلغت حركة العيارين والشطار أوجها في العراق ضد حكم البوهيميين كانت حركة الفتیان «الأحداث» بلغت أوجها ضد حكم الفاطميين، فتزامن حركات العامة بقيادة الفتیان العيارين والشطار والأحداث واقتسامهما سلطة بغداد ودمشق ضد الخلافتين العباسية والفاطمية بالتأكيد أمر ذو معنى، فهو يضفي الطابع السياسي على حركة الأحداث بالشام والطابع الاجتماعي والاقتصادي على حركة العيارين والشطار^(٣).

و بالرغم من مقاومة منظمة الأحداث للحكم الفاطمي مقاومة مستmine لأسباب سياسية ومذهبية واقتصادية واجتماعية، وقد عاشت بذلك أخضب مراحل تطورها وتطوراتها الشعبية، ولكن وخلال الفترة الفاطمية نجدها سرعان ما تفقد هذا الدور

(١) كلود كاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى)، مجلة الاجتهد، ع٦ (١٩٩٠) ص ١٢٧.

(٢) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٧٩ - ٨٠، الدكتور احمد مختار العبادي (الطرفان الصناعية او الأصناف)، مجلة عالم الفكر مج ١١، ع ١١ (١٩٨٠/١٩٨١) ص ١٣٩.

(٣) محمد رجب النجار (حكایات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١) ص ١٧٤ - ١٧٥.

وذلك على آثر المذبحة التي حصلت لعدد كبير من زعمائها ورؤسائها، وبجميء الدولة الأيوبيّة ودخول الفرنجية وغياب العباسين اختفت منظمة الأحداث^(١).

وإذا كانت الفتنة عمّت القسم الشرقي من البلاد الإسلامية، فإن حركة موازية للفتنة ومتداخلة معها ظهرت في الشام والجزيرة الفراتية منذ أواسط القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي هي حركة الأحداث واستمرت في فعالياتها إلى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي^(٢).

الحرافيش والمزار

احرنيش الديكُ: تهياً للقتال وأقام ريشَ عيْقة، وكذلك الرجل إذا تهياً للقتال والغضب والشر.

واحرنيشت العَنْزَ لأنتها^(٣).

إن الحرافيش مقلوب كلمة حرشوف بمعنى الجراد المهزول كثير الأكل كثير العدد الذي يدمر الأخضر واليابس على ضالّة حجمه^(٤).

والخرفوش: ذميم الخلق والخلق وهو المقاتل المصارع اللعن.

وقد ظهرت في مصر في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي منظمة كبيرة تدعى الشباب الشجعان أي الأبطال الصغار الذين خلطوا حياتهم الاجتماعية بالمقاومة العنفة للنشاطات الاستقراطية، وبالرغم من إدانتهم أمام الخليفة الفاطمي المعزز الذي أستأصل شأفتهم، وقد ظهرت في القاهرة جموعات شعيبة أطلقـت على نفسها اسم الحرافيش^(٥).

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١) ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٧٩.

(٣) لسان العرب، مادة حرش.

(٤) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١) ص ٢٤٤ الخامس ١٦٩.

(٥) Taeschner, Fr, (Futuwwa), E.I, Vol. II, Pp. ٩٦١ - ٩٦٩

وقد عرفت مصر في العهد الفاطمي فكرة الأحداث في أواخر القرن الرابع الهجري وقد وصلت إليها عن طريق الشام^(١).

فتحدثنا كتب التاريخ عن منظمات شعبية مسلحة من الرجال أطلق عليها اسم الحرافيش وقد وصفهم البعض بما وصف به العيارون في بغداد بأنهم كانوا من الرعاع وزعر العامة، غير أن "ابن منظور" في معجمه لسان العرب يعطينا تفسيراً واضحاً لهذه التسمية عند قوله: (واحرنفت الرجال إذا صارع بعضهم بعضاً، واحرنف الشيك أي تهياً للقتال).

وهذا التفسير أيدته المصادر التاريخية عند الكلام عن الحرافيش في جيش صلاح الدين فوصفتهم بأنهم فرقة من المتطوعة لها قيادتها الخاصة تقدم الجيش النظامي في الهجوم.

كذلك يروي لنا المؤرخون أمثلة من المقاومة الشعبية لهؤلاء الحرافيش المصريين أيام حملة لويس التاسع على دمياط سنة ١٢٤٩هـ / ١٨٦٧م^(٢).

وقد ازدهر نشاط الحرافيش والزار والعياق بمصر منذ أواخر العصر الأيوبى وأبان العصرين المملوكي والعثمانى، فتحدثنا المصادر التاريخية عن جماعات شعبية مسلحة من الرجال أطلق عليها اسم الحرافيش والزار وقد وصفوا بما وصف به العيارون والشطار والفتیان بأنهم من الرعاع أو الدهماء أو العوام أو الخالة أو أراذل السوق وأنهم ليسوا

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١) ص ١٧٨.

(٢) د. أحمد ختار العبادي (الطوائف الصناعية أو الأصناف)، مجلة حالم الفكر مج ١١، ع ١٤١ (١٩٨٠/١٩٨١) ص ١٤١.

إلا متلصصة ونهابه وحراميته ومناسره وعياقاً وسرقاً ومن طلبة الشر وأهل الفساد إلى غير ذلك من الأسماء والصفات والنعموت^(١).

ولما كانوا بثابة قوات خاصة متقدمة فقد كانوا مقربين من بعض الأيوبيين ولا سيما في أيام الصراع الداخلي بينهم، ويبدو أن هؤلاء الحرافيش كانوا قد فقدوا دورهم القتالي بعد زوال الدولة الأيوبية وانضموا إلى جموع العاطلين والعوام الذين كانت القاهرة تكتظ بهم مع بداية العصر المملوكي وانضم أغلبهم إلى الخوانق والربط والزوايا الصوفية^(٢).

وقد وصفهم ابن بطوطه بأنهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعاة وذكر لهم حكاية شاهدها حين خرجن على الملك الناصر لدين الله وثاروا عليه فما كان منه إلا أن استجاب لمطالبهم وذلك حين سجن الأمير طشتمن المعروف بمحمص أخضر، فاجتمع آلاف الحرافيش ووقفوا أسفل القلعة ونادوا بلسان واحد عليه: يا اخرج النحس أخرج فأنخرجه^(٣).

إن السلطان قانصوه الغوري حين خرج لمواجهة الزحف العثماني في الشام سافر معه شيخ مشايخ الحرافيش ومعه جنته وصنجه وطبله^(٤).

ففي ثورة العامة سنة ٧٤٢هـ التي تحولت إلى نهب وسلب لبيوت أمراء المماليك وحدهم.

وفي فتنة أخرى يحاول بعض أمراء المماليك «إيدغمش» أن يستقطب هؤلاء الحرافيش إلى جانبه في صراعه مع قوصون، وكان قد أباح لهم بيته وبيوت أمرائه المماليك كوسيلة لاستمالتهم إلى جانبه^(٥).

(١) محمد رجب النجاشي (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١)، ص ١٧٩.

(٢) نفس المصدر ص ١٨٢.

(٣) نفس المصدر ص ١٨٠.

(٤) نفس المصدر ص ١٨٠، وانظر التبر المسبوك / ص ١٤٦.

(٥) محمد رجب النجاشي (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ ص ١٨٥.

وقد استغلت فئات المرافيش تشجيع المماليك لـتيار الصوفي الداعي إلى الزهد فالمخرطوا في هذا التيار طمعاً في رزق ثابت مما كان يوقف على التكايا والربط والخانقات. أما آباؤ الفتن الداخلية التي كانت تحصل فلا ينورعوا عن التلصص والنهب وبذلك تم تصنيفهم ضمن الطوائف المتمردة التي توسلت بالنهب للتغىير عن رفضهم الواقع الاجتماعي والاقتصادي السائد في تلك الفترة^(١).

ومع ذلك ظلت الدولة المملوكية في بدايتها تقيم لتلك الفئة وزناً، ومحرص على ابقاء شرهم كما أن سلاطين وأمراء المماليك كانوا في فترات محدودة وخاصة في ظروف السلم يجمعون هؤلاء المرافيش ويتولون الإنفاق عليهم^(٢).

الزعاد

الزعار: جمع زعر، فهم أهل الشراسة وسوء الخلق والزُّعْرُ في شعر الرأس وفي ريش الطائر قلة ورقه وتفرق ويقال زعر ريشة أو شعرة قل وتفرق فانكشف الجلد ريان وزعر الرجل قل خيره.

ومنه قيل للأحداث: زعران، وزعر والشعر والريش، والوتر زعراً والجمع زعْرَ. ويقال لهم أيضاً الشلاق، وواحدهم شلاق وهو السيء الخلق الذي يدخل الخوف في قلوب الناس^(٣).

فالزعار طائفة من طوائف العوام وتلعب دوراً عمائلاً لدور العيارين في العراق والأحداث في الشام وأن ظهورهم مرتبط بظهور الأزمات والفن^(٤).

(١) محمد رجب التجار (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ ص ١٨٨.

(٢) نفس المصدر ص ١٨٣.

(٣) لسان العرب، مادة زعر.

(٤) محمد رجب التجار (حكايات الشطار والعيارين)، ع ٤٥ (١٩٨١)، ص ١٨٩.

وكانوا يقومون بأعمال مشابهة لأعمال العيارين والشطار ببغداد، وتذكر المصادر التاريخية أنهم في سنة ٧٩٢هـ عندما قامت الحرب بين السلطان الملك المنصور والملك الظاهر برقوق في الشام استغل الزعاعار الفتنة القائمة بين المماليك ببصر فنهبوا بيوتهم، كما قام الزعاعار بكسر أبواب، السجون وإطلاق من بها. وفي حوادث سنة ٨٠٢هـ قاموا بنهب بيوت الأمراء وكانت أعمال الزعاعار موجهة إلى أرباب الحكم والإقطاع ومحترقي التجارة وذوي الثراء الفاحش^(١).

(١) محمد رجب النجاشي (حكايات الشطار وأعيارين)، ع ٤٥ (١٩٨١)، ص ١٩٤ - ١٩٥.

الفصل الرابع

الوجه السياسي للفتوة

- أ- أحوال الفتوة قبل الناصر لدين الله.**
- ب- تطور مفهوم الفتوة زمن الناصر.**
- ج- أهداف الناصر من قبنيه للفتوة.**
- د- حذف الفتوة غير الرسمية وتأسيس الفتوة الناصرية.**
- هـ- نشر الفتوة بين ملوك الأطراف.**
- وـ- مصير الفتوة بعد وفاة الناصر لدين الله ومحاولة خلفاء الدولة العباسية من بعده الإبقاء على نظام الفتوة.**

الفتوة قبل مجيء الخليفة الناصر لدين الله

تحدثت في الفصل الثالث من هذا البحث عن حركة الشطار والعيارين، وكيف كان ظهورهم في بغداد، ثم ظهور حركات مشابهة كحركتهم كالأحداث في الشام والخرافيش والزعار في مصر.

إن ظهور حركة الشطار والعيارين في بغداد كان نتيجة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي سادت الخلافة العباسية وخاصة في فترة تسلط العناصر الفارسية أو التركية على مقاليد الأمور وأصبح الخلفاء العربة بأيديهم، فساءت الأحوال بشكل عام وارتفعت الأسعار وتذبذبت الأجور وتقلصت واردات الدولة وأصبحت عاجزة عن دفع مرتبات الجنود، واضطربت الأوضاع الأمنية مما أدى إلى وجود تذمر بين العامة ببغداد هذا التذمر والتمرد على الأوضاع السائدة دفعهم للمساهمة في الحركات الاجتماعية كحركة الشطار والعيارين.

وقد لعبت هذه الحركة دوراً رئيسياً في الثورات التي كانت تحصل في بغداد بتلك الفترة.

وفي فترة خلافة المقفي لأمر الله نجده يتهز الفرصة بعد وفاة السلطان مسعود سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م للتقارب من الفتى ويدعوهم للانضمام إليه حيث كان يدرك قوتهم وتأييد العامة لهم وخضوعها لأوامر الفتى.

فجند كثيراً منهم في الجيش العباسي الذي اعتمد عليه في محاربة السلوجون واستطاع أن يطردهم^(١).

وفي سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٧م استفحلا شر الفتى العيارين واحتلت كل جماعة بأمير من أمراء الدولة السلجوقية، فأخذت أعمال النهب والقتل والسطو تنشر في بغداد^(٢).

(١) محمد وجـب النـجـار (حكـاـيات الشـطـار وـالـعـيـارـين) عـ4ـ٤ـ١ـ(١٩٨١) صـ١٥٤ـ.

(٢) مصطفى جواد (الفترة واطوارها) مجلة الجمع العلمي العراقي، معـ٥ـ(١٩٥٨) صـ٦٢ـ.

وعندما جاء الخليفة الناصر لدين الله رأى المحراف الفتوة ، وفساد تصرف اعضائها وتفاقم الخلاف بين طوائفها المختلفة. فأخذ على جمع ما كان مشتاً من عاداتها واحياء ما اندر من انظمتها^(١).

فعمل الخليفة في سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م على استقطاب فرق العيارين والعمل على اعادة تنظيمها تحت قيادته في نظام جديد نافع ومفيد باسم الفتوة واطلق عليها الباحثون الأوروبيون الفروسيّة^(٢).

وما الذي يفسر لنا اهتمام الناصر بالفتوة، فان السلطات بعد ان بحثت من القضاء على هذه التنظيمات حاولت أن تدخل في صميمها على أمل التمكن من تغيير وجهتها أو تحطيمها من الداخل^(٣).

اما أحمد بن الياس النقاش فإنه يشير في كتابه "الفتوة" الذي ألفه واهداه للخليفة الناصر بأن هذه الأحزاب ويقصد بذلك الفتيان العيارين كانوا تائهين وعن الحق زائغين وعلى الباطل معتضدين وبالأمانى متعللين سلكوا طريق الضلالة وحددوا عن سبيل الهدایة وتالوا الفتن والابتداع والخيل. وغلبت عليهم الشقاوه.

إلى أن شرف الله الفتوة وأكرمتها وأعلى منابرها بالإمام الخليفة الناصر لدين الله فشيد بنيانها ومهد أركانها، وألف أحزابها، وأرشد طلابها، وأظهر انوارها، وأوضح برهانها^(٤).

(١) جيرارد زالنغر (الفترة هل هي الفروسيّة الشرقية) دراسات إسلامية ، ص ٢٢٩.

(٢) د. أحمد مختار العبادي (الطوائف الصناعية أو الأصناف) مجلة عالم الفكر، مج ١١، ع ١ (١٩٨٠/١٩٨١)، ص ١٣٨.

(٣) جيرارد زالنغر (الفترة هل هي الفروسيّة الشرقية) دراسات إسلامية ، ص ٢٣١.

(٤) مقدمة كتاب الفتوة/ د. مصطفى جراد، ص ٥٤.

تطور مفهوم الفتوة زمن الناصر

حين جاء الناصر لدين الله إلى الخلافة ورأى ما يواجهه من انحطاط اجنبي، كما أنه لاحظ آثار هذا التسلط الأجنبي من الناحية الاجتماعية وذلك باثارة الخلافات المذهبية وتوسيعها.

فحاول أن يوحد الكلمة ويجمع الصنوف وعمل في سبيل ذلك على توثيق صلته بالثقفين من جهة وبالعامة والفتوة من جهة ثانية، وتعاون مع مختلف المذاهب، كل ذلك لإعادة وحدة الكلمة وتوثيق صلته بالتنظيمات الشيعية وأن يكسب تأييدها.

فدخل الناصر بالفتوة وتدرج فيها حتى ترأس تنظيماتها، وأزال الخلافات والتجزئة في صنوفها وتعزيز التماسك الداخلي وتأكيد سوينتها الأدبية والخلقية وركز مقاييسها في الأخلاق والفروسيّة ووسع نطاقها لتشطى نطاق رقعته التي يحكمها وقد نجح في ذلك. وبذلك أصبح الخليفة رئيس حركة شعبية واسعة، وأراد بذلك تدعيم الخلافة وترسيخ صنوفها^(١).

شرع الناصر في سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م بتوحيد طوائف الفتيا في طائفة واحدة تخضع له، ذلك أن ندماه حسنا له أن يكون فتى واحضروا له رجلاً اسمه عبد الجبار بن يوسف بن صالح^(٢)، وألبسوا الشيخ عبد الجبار سراويل الفتوة^(٣).

هذه الفتوة تستحدث الناس على التعا ضد والتناصر وحفظ العهد وكتمان السر وصدق اللهجة، والعفة عن المحرام^(٤).

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص ٧٨، ٧٩، ٩٤.

(٢) عبد الجبار بن يوسف البغدادي، شيخ الفتوة وحاصل لروايتها، وكان قد علا شأنه ليكون الخليفة الناصر تقى إليه. توفي حاجاً سنة (٥٨٣هـ). انظر العبر في خبر من غير /٤،٤٢٩، شذرات الذهاب /٤،٢٧٥، الأعلام بوفيات الأعلام / النهي ٢/٣٩٤.

(٣) محمد رجب التجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي) ع (٤٥، ١٩٨١)، ص ١٥٥، عمر دسوقي (الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسيّة أو المثل العليا)، ص ٢٤١، مقدمة كتاب الفتوة / مصطفى جواد، ص ٥٣.

(٤) د. مصطفى جواد (الفتوة واطوارها)، مجلة المجمع العلمي العراقي، مع ٥، (١٩٥٨)، ص ٦٤.

إن مراسم الدخول في الفتوة الجديدة التي أسسها الخليفة الناصر لدين الله تكون مصحوبة بشرب كأس الفتوة، كما أن الفتيان هم لباس خاص واهم ما عيزهم هو سروال الفتوة، وإن الدخول في هذا النظام لا يتم إلا بعهد من الخليفة نفسه أو من الشخص الذي يحمل تفويفاً بذلك^(١).

لم يكتف الناصر بالاعتراف بنظام الفتوة وإنما اعلن من نفسه شخصياً زعيماً لهذا النظام وعاد به إلى أصوله الأولى "فتوة السلف الصالح"^(٢).

واختار الشيخ الزاهد عبد الجبار البغدادي صاحب الفتوة وألبسه سراويلها، وشرب عبد الجبار ماء الفتوة الملعون^(٣).

ففي اليوم التاسع من شهر صفر من سنة ٦٠٤هـ أصدر الخليفة الناصر مرسوماً بتقرير قواعد الفتوة وأن الحدود الشرعية لا تسقط بالفتوة عنمن يقتل النفس المحرم قتلها وإنما يقتل بعد أن تنزع عنه سراويل الفتوة، ومن أول مجرماً عوقب^(٤).

وفي سابع عشر رجب من سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م أحضر إلى باب البدريه من أبواب الخلافة العباسية بيغداد فتین كانوا قد اشتراكاً في قتل رجل، فنزلت عنهما سراويل الفتوة وقتلاً وألقيت جثثهما على باب المدينة^(٥).

قال "اليام بن أحمد النقاش" في كتابه الفتوة بعد ذكره اختلاف الفتيان في البلد وسلوكهم طريق الضلاله وإثارتهم الفتنة واتيائهم البدع وارتكابهم الذنوب وميلهم إلى المحادلة والمحابيه إلى أن شرف الفتوة وكرمها واعلى منارها وعظمتها بال الخليفة الناصر لدين

(١) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية، ص ٢٤٥.

(٢) محمد رجب التجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي) ع ٤٥، (١٩٨١)، ص ١٥٥.

(٣) نفس المصدر ص ١٥٥.

(٤) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مع ٥، (١٩٥٨)، ص ٦٧، دراسات اجتماعية، ص ٢٩.

(٥) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية / عمر رضا كحاله، ص ٢٩، مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مع ٥، (١٩٥٨)، ص ٦٧.

للله، فشيد ببناتها ومهد أركانها وألف أحزابها، وأرشد طلابها وأظهر أنوارها، واوضح
برهانها^(١).

أما "جييرارد زالنغر" فيشير إلى أن الخليفة قد أزعجه المحراف الفتوة عن التقليد السامي وفساد تصرف أعضائها، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الفروق بين طوائفها المختلفة، مما دفع ابن المعمار إلى وضع كتابه "في الفتوة" وذلك حينما لمس الرغبة عند جميع الناس في أن يكونوا فكرة دقيقة عن الفتوة، فقرر المؤلف رغبة منه في أن يخدم الخليفة وذلك بجمع قواعد الفتوة والمرودة.

كما أنه يشير في مقدمة كتابه بهذا الصدد بأن الناصر جمع ما كان مشتاً من عاداتها وأحياً ما كان قد انذر من انظمتها^(٢).

والرهاسية التي ذكرها ابن المعمار في كتابه فقد كان عبد الجبار شيخ هذه الجماعة وقد سميت بهذا الاسم باسم أحد رؤسائها السابقين عمر بن الرهاس، وقد ورد ذكره في كتاب انساب الفتوة الذي وضع للناصر بناء على ذلك يمكن القول بأن الناصر كان ذاتصلة وثيقة بالرهاسية في بدء عهده بالفتوة^(٣).

أما "نور الدين علي بن احمد السخاوي الحنفي" فيشير بأن ابتداء هذا الأمر في سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م وذلك أن ندماء الخليفة الناصر حسنوا له أن يكون فتى واحضروا له رجلاً يعرف بعد عبد الجبار بن يوسف بن صالح له اتباع كثيرون، فأليس الخليفة سراويل الفتوة في بستان مقابل الناج^(٤).

أما "تيشر" فيشير إلى أن الخليفة الناصر لدين الله الذي حكم في سنة ٥٧٥هـ - ١١٨٠م - ١٢٢٥هـ / ١١٨٠م اهتم بالفتوة واعاد اصلاحها وتنظيمها بعد أن ألبسها في سنة

(١) مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة الجمع العلمي العراقي، معج ٥، (١٩٥٨)، ص ٦٥-٦٦.

(٢) جييرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات اسلامية، ص ٢٢٢، ٢٢٨.

(٣) نفس المصدر ص ٢٢٩.

(٤) مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة الجمع العلمي العراقي، معج ٥، (١٩٥٨)، ص ٦٥.

٥٧٨-١١٨٢ هـ / م ١١٨٢ م الشيخ عبد الجبار بن صالح البغدادي لباس الفتوة، فجمع ما تشتت من نظامها وشيد ما تعطل في أحکامها، واقتدى به في ذلك زعماء البلاد والخواص، وسار الناس على نهجه مهتدين، وبفتواه متسلكين^(١).

وعندما افضت الخلافة للخليفة الناصر، جعل لرمي البندق شأن لأنّه كان مولعاً بذلك، وباللعب بالحمام المناسب، ورمي الطير، وليس سراويل الفتوة وقد بلغ من رغبته في ذلك حتى جعل دمي البندق فناً لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأن الفتوة ويلبسون سراويلها على أن يكون بينهم روابط وثيقة، وجعل الخليفة نفسه رئيساً لهذه الطائفة، يدخل فيها من يشاء ويحرم من يشاء. وفي سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م كتب إلى ملوك الأطراف الذين يعترفون بخلافته أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها، وأن يتسبوا إليه برمي البندق و يجعلوه قدواتهم فيه، فأجابوه إلى ذلك، فمن أراد الانتظام في سلك هذه الطائفة يأتي بغداد فيلبس الخليفة السراويل بنفسه. كما أنه منع الرمي بالبندق إلا من يتسبب إليه^(٢).

فلبس سائر ملوك الآفاق سراويل الفتوة له وادعوا له في البندق، ووصل رسول الخليفة إلى حماه وأمره بأن يلبس للخليفة ويلبس الأكابر^(٣).

ويشير "ضياء الدين الدخيلي" في مقالة له عن الفتوة في مجلة الرسالة: بأن الناس اقبلت في خلافة الناصر على رمي البندق، وتربيه الحمام لأن الخليفة نفسه كان كبير قيام زمانه، ورغبة في هذين الفترين وقد بلغ من رغبته أن جعل رمي البندق فناً لا يتعاطاه إلا

(١) المستشرق الألماني تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) المتقدى من دراسات المستشرقين، جـ١، عـ١، صـ١٩١-١٩٢.

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، قـ١، صـ١٧٢-١٧٣ (الهامش)، الكامل في التاريخ جـ١٠، صـ٤٥٣، شترات الذهب في أخبار من ذهب، جـ٥، صـ٩٧-٩٨، فرانز تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) المتقدى من دراسات المستشرقين، جـ١، عـ١؛ صـ١٩٢، تاريخ التمدن الإسلامي، جـ٢، صـ٦٩٩.

(٣) مقدمة كتاب الفتوة ، صـ٦٩.

الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها على أن يكون بينهم روابط وثيقة على نحو ما عند بعض الجمعيات السرية^(١).

أما دائرة المعارف الإسلامية فتشير إلى أن الناصر لم يكن مجرد مؤيد بسيط وعادي للفتوة فقد حاول ضمن حدوده توحيد وضبط وتنظيم الفتوة في بغداد، بينما شجع الدوائر الحكومية الدينية والعسكرية والسياسية بالاتتماء إليها بهدف تحويلها إلى أداة تحقيق المجتمع وللتعاون العام الذي كان في السابق مصدر اضطراب للتصالح مع الفرق الصوفية^(٢).

أما المؤرخ التونسي والعالم الاجتماعي الكبير ابن خلدون فيشير إلى أن الناصر كثيراً ما يستغل برمي البندق واللعبة بالحمام المناسب ويلبس سراويل الفتوة شأن العبارين من أهل بغداد، وكان له فيها سند إلى زعمائها يقتصر على من يلبسها أيامها، وكان ذلك كله دليلاً على هرم الدولة وذهب الملك من أهلها بذهب ملاكها منهم^(٣).

أما ابن الأثير فيشير بهذا الصدد إلى أن غرام الخليفة الناصر بهذه الأشياء (رمي البندق والحمام المناسب) من أعظم الأمور، وكان سبب ما ينسبة العجم إليه صحيححاً من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك فهر الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم^(٤).

اما مصطفى جواد فيشير أيضاً إلى أن الخليفة الناصر لما رأى ما عليه العالم الإسلامي من التشتت والضعف والاختلاف والإغراف والتماادي والتعادي في التنازع وإثارة الشر بينهم واشتداد قوة الأفرنج المعروف بالصلبيين وتمكنهم من بلاد الإسلام. وأن العالم الإسلامي يحتاج إلى تجديد قوته واحياء همته وإعادة التحاده وتتوحد منهجه لمقاومة

(١) ضياء الدين الدخيلي (الفتوة في التاريخ الإسلامي)، مجلة الرسالة (١٩٤٨)، ع ٧٨٢، ص ٧٢٥.

(٢) Taeschner, Fr., "Futuwwa", E.T., Voll.II PP. ٩٦١-٩٦٩.

(٣) جيرارد ز النغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية) دراسات إسلامية، ص ٢٣٣.

(٤) الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٤٤٠.

الإفرنج الصليبيين من الغرب والكرج من الشمال والسلجوقيين واتباعهم من الشرق والمحافظة على استقلال البلاد الإسلامية، فعمد إلى الفتوى، وفيها أعظم قرابة لن يستطيع أن يستعملها وينظمها تنظيماً عظيماً فاستعملها الناصر، وربى في الدول الإسلامية جيلاً جديداً شجاعاً مهارياً مجاهداً.

ويتابع مصطفى جواد كلامه قائلاً: وفي الحق أن الخليفة الناصر لدين الله جدد بالفتواه شباب الأمة ووحدتها في الداخل والخارج وجعل بغداد المركز العالمي للسياسة في الشرق والغرب، حتى أن أحد أمراء المانيا كتب إليه كتاباً يطلب فيه الدخول في فتواه ويرى أن الناصر أهلاً لأكثر من هذا المدح وذلك لتوحيده العرب والمسلمين بعد أن نسوا الاتحاد وأعادته إليهم عزهم بعد ضياع وافتقار^(١).

(١) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين)، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجل ٥ (١٩٥٨)، ص ٦٣-٦٦.

أهداف الناصر من تبنيه للفتوة

بعد أن درسنا تطور مفهوم الفتوة زمن الناصر لا بد من التعرض للأهداف التي حددت بالناصر لدين الله من تبنيه لهذه الفتوة.

وكان هدف الناصر من وراء احياءه للفتوة تنظيم الشباب وخلق جيل جديد يتحلى بالمبادئ السامية والأخلاق الكريمة والعادات الحسنة. فضلاً عن اعادة هيبة الخلافة العباسية التي فقدتها منذ قرون^(١).

وقد كانت الأهداف الرئيسية لل الخليفة الناصر هو توجيه جميع الفئات والعائلات والتنظيمات الإسلامية تحت جناح الخلافة، ففي البداية (٥٧٨هـ / ١١٨٢م)، أسس هر نفسه الفتوة في بغداد بقيادة الشيخ الزاهد عبدالجبار^(٢).

وقد حاول الخليفة الناصر محاولة ضئيلة لآخر مرة أن يحيي محالم الخلافة ويعث فيها شيئاً من النشاط والقوة، وقد وجد الوقت ملائماً لأن أمراء السلجوقة قد بدءوا يتخاصمون فيما بينهم ويكتب بعضهم لبعض، فحاول استرجاع شيء من سلطته المفقودة ببغداد فأسس نظام الفتوة وكان هدفه تهيئة طائفة قوية من الفتى علهم يساعدون في الحروب الصليبية^(٣).

كان الناصر يهدف من هذا العمل أن يستحوذ الناس على التعاضد والتناصر وحفظ العهد وكتمان السر وصدق اللهجة والعفة عن المحارم^(٤).

على أن أكبر محاولة سياسية قامت بها الخلافة العباسية للاستفادة من طوائف هؤلاء الفتى في مواجهة خصومها والسيطرة أو الهيمنة عليهم وترجيحهم بالقدر الذي تشكل

(١) د. أحمد غنار العبادي (الطوائف الصناعية أو الأصناف) مجلة عالم الفكر / مج ١١/٤ (١٩٨٠ - ١٩٨١) ص ١٣٩.

(٢) Taeschner, Fr., "Futuwwa" E,I, Vol.II, PP. ٩٦١-٩٦٩.

(٣) الفتوة عند العرب ، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٤) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي)، ع ٤٥، (١٩٨١)، ص ١٥٥.

معه خطورة منهم على سلطة الدولة وهيئتها تلك المحاولة الكبيرة التي قام بها الخليفة الناصر لدين الله وقد هاله تمردتهم وخروجهم على الطاعة وعصيانهم أمر الخليفة وما يقومون به من تلصص وعيارة وتشطير^(١).

وفي الحق أن الخليفة الناصر ما كاد يباع بالخلافة حتى أخذ يفكر في شؤون الأمة ومصالح الرعية وكان يرى بأيمان وثيق وأيقان عميق أنه خليفة رسول الله، ورأى الناصر أن العالم الإسلامي لا يزال أما مستعمر أو مهدد بالأطماع الأجنبية أو بأيدي دولات صغيرة يدعون الخلافة، وأن العراق مقر الخلافة مهدد أيضاً بالأخطار من قبل الدولة السلجوقية واتباعها من الإمارات المستقلة، فأراد بذلك أن يجدد شباب الأمة الإسلامية بهذه الفتوة ويوحدوها في الداخل والخارج ويجعل بغداد المركز العالمي للسياسة في الشرق ولجميع بلاد الإسلام^(٢).

وكان الناصر يهدف إلى توجيهها كييفما يشاء ويوطد عن طريقها دعائم حكمه ويستعيد ولاء أصحابها، فلا يخرون هيبة الدولة ومحاولة الاستفادة من هذا التيار الشعري الجارف الذي يتعاطف معها والوجدان الديني الصوفي الذي يؤيدها^(٣).

والسؤال الذي يطرح، هل كان تأليف الناصر نظام الفتوة على هذا الوضع للرياضة والترف لا غير أو أن هناك دوافع أخرى دعت إليه؟.

وبالرغم من أن الناصر كان من هواة الرياضة إلا أن عصره كان مليئاً بحوادث جسيمة فقد كان معاصرًا لصلاح الدين الأيوبي، وال Herb مع الصليبيين على أشدتها، والمسلمين جميعاً مجندين في هذه الحرب المقدسة، وشعار الفتوة دائمًا التضحية والجهاد والمحافظة على الشرف.

(١) محمد رجب التجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي)، ع ٤٥، (١٩٨١)، ص ١٥٤.

(٢) مصطفى جواد (مقدمة كتاب الفتوة)، ص ٥٥-٥٦.

(٣) محمد رجب التجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي)، ع ٤٥، (١٩٨١)، ص ١٥٥.

هل أن نظام الفتوة بما فيه من شرب الكأس ورمي البنادق والأخذ بنظام الفتوة كان مجرد اللهو وقتل الوقت؟^(١).

وقد تعددت آراء واجتهادات المؤرخين الذين كتبوا بهذا الموضوع وذلك ببيان الأهداف التي كان الناصر يطمح إليها من خلال تطبيق نظام الفتوة.

فتيشرن يشير إلى أن الناصر كان له نشاط سياسي طوال فترة حكمه الذي دام ٤٥ سنة، "فيشرن" حاول أن يربط سياسة الفتوة ونشاط الخليفة السياسي، ويرى أن هدف الناصر الأول هو إعادة تنظيم سلطة الخلافة الدينية كما أنه قام بتركيز الفتوة في شخصه ونشرها بين النساء في العالم الإسلامي، وذلك عائد لنقص القوى العسكرية لديه وليخلق بواسطة هذه التبعية القوية بين أفراد الفتوة حزباً من النساء يستطيع أن يسخرهم عند الحاجة لتنفيذ رغباته^(٢).

أما "جيرارد زالنغر" تفيناً لأراء "فيشرن" بخصوص أهداف الخليفة الناصر وهو كيف كان يمكن للفتوة أن تساعد الخلافة على استعادة منزلتها السياسية؟ وهبنا يتجلّى اختلاط المفاهيم بشأن الفروعية، مما أدى إلى هذه المبادئ الشديدة في الآراء، فقد كانت الفتوة بالنسبة إليه وسيلة لدعم سلطاته في جميع الأقطار الإسلامية وقد أصبح التشديد بشأنها ضرورة ماسة في الوقت الذي بلغت فيه الوسائل الحقيقة لتعزيز الخلافة بينما وأن الرقعة التي أصبحت تحت تصرفه كانت صغيرة.

كما أن سلطته الزمنية فيها أصبحت موضوع نزاع شديد ولا شك في أن الخليفة كان يتمتع بمركز الشرف الأول بالنسبة إلى حكام العالم الإسلامي، ولكن هذا لم يكن يعني في الواقع إلا شيئاً قليلاً فحاول الناصر أن يربط النساء إليه شخصياً عن طريق واجبات

(١) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروعية/ عمر دسوقي، ص ٢٤٦.

(٢) المستشرق الألماني فرانز فيشرن (الفتوة والخلافة الناصر) المنشق من دراسات المستشرقين، ج ١، ع ١، ص ١٩٩.

التبعة المتحدرة من انضمائهم إلى جماعة الفتنة، وكما أصبح الأمراء مرتبطين بشخص الخليفة بحكم انضمائهم هذا^(١).

أما الرأي الثاني "جيرارد زالنغر" في تفنيده لما أورده تيشتر بخصوص أهداف الناصر من قبنته الفتنة، فيشير إلى أن تيشتر أظهر بما لا يقبل الريب بأن الناصر تصل تماماً من حروب الجهاد التي جرت في أيامه وعليه فاهتمامه بالفتنة لم يكن ناتجاً عن آية فكره متصلة بالجهاد.

والدليل الذي يسوقه زالنغر على ذلك بأن صلاح الدين الذي كان معاصرًا للخليفة الناصر جاهد ضد الصليبيين جهاداً مريضاً حتى انتزع منهم الموقع بعد الآخر وقد طلب صلاح الدين من الناصر العون والمساعدة في جهاده ضد الصليبيين، ولكن الخليفة المقيم في بغداد بعيداً عن المعركة لم يعني بالأحداث القائمة في الغرب حيث كانت تقوم المعركة في سبيل الدين، وأكفى بأن أرسل إلى صلاح الدين بالإضافة إلى كلمات التشجيع قلة قليلة من المقاتلاته ويدل ذلك زالنغر بأن انعدام الحديث عن الجهاد في كتب الفتنة يدل دلالة واضحة ولو بطريقه سلبيه على أن الخليفة لم يكن يهتم بالجهاد.

ويتابع زالنغر كلامه: ومع ذلك فجواب تيشتر يبدو مثل الجواب السابق شيئاً غير مقنع لأنه يشير إلى أن الناصر استغل ضعف الدولة السلجوقية ليفيد في تغذية طموحه البعيد فحاول من جهة أن يعيد للخلافة العباسية ما كان لها من مكانه سياسية كانت قد فقدتها منذ القرن العاشر الميلادي واراد من جهة أخرى أن يقضي على الاختلافات في العالم الإسلامي لا سيما الخصومة القديمة بين السنة والشيعة، وقد حاول تحقيق هذين المدفين عن طريق تقوية الفتنة^(٢).

أما تفنيد جيرارد زالنغر لرأي "فتوك" فهو يطرح هذا التساؤل: لماذا كان الناصر زعيم الفتنة الأكبر؟ وهناك جوابان لهذا السؤال أحدهما "الفتك"، أما جواب "فتوك"

(١) جيرارد زالنغر (الفترة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات إسلامية، ص ٢٢٧

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٧.

فهو: أن قبول امراء معينين من سوريا والعراق وأسيا الصغرى وحتى غزنة لسرابيل الفتوة من الناصر بل وطلب بعضهم لها منه يقوم دليلاً على حرص الخليفة على إقامة خط دفاع يقي البلاد من زحف الصليبيين على المسلمين، ويشير أيضاً إلى أن طوائف الغزاه أو المتطوعة في خراسان كانت في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين قد اجتلت تقاليد الفتوة، وأن الناصر أراد أن يوحد مقاتله للجهاد الجدد تحت لوائه وإن يرد في الوقت نفسه إلى الخلافة العباسية المهدية التي كانت قد فقدتها منذ قرون.

ويتابع "فتك" رأيه كما أورده تشينر قائلاً: إن الخليفة الناصر جعل من هيئات الفتوة منظمة يقوم هو بنفسه على رأسها وليس ثمة ما يرمي إليه سوى أن يربط هؤلاء المقاتله إلى شخصه برباط جديد، وفتوة المدن كانوا من هذا النوع كما كان الصناع في المدن ذوي أهمية خاصة مثل هذه الغاية ولكن الذي كان يرمي إليه الناصر الاهتمام بهم هم رؤساء الجيش والأمراء.

لقد كان هؤلاء يؤلفون طبقة متميزة ولم يكن من الممكن دمجهم في المنظمات المدنية كان من الضروري أن يكون لهم منظمة خاصة بهم ذات طابع من نوع الفروسيه^(١).

أما تفنيد "جييرارد زالنغر" لرأي ابن المعمار فهو الآتي:

إلا أن السؤال الذي يواجهنا الآن هو لماذا لم يكن أحد الخلفاء قد سبق له أن اتصل بالفتوة فما الذي حل الناصر على إعادة تنظيم الفتوة بل وتولى رئاستها، ويتابع "زالنغر" تفنيده قائلاً: لنلق أولاً نظره على رأي ابن المعمار فبعد أن يعدد أحد عشر حامياً من حماة الفتوة مبتدئاً بأحد أصحاب الرسول (صلعم) سليمان الفارسي يستأنف الكلام قائلاً: وهكذا تحدرت الفتوة إلى أيامنا باستمرار وتشعبت إلى فروع مختلفة كالرهاصية والخليلية والمولدية والنبوية والشحينية وبما أن هذه التقسيمات لم تتم وفقاً لانظمة الفتوة أو وفقاً لعادات الأجداد الشرفاء أو نهجهم في العمل، أخذت الخلافات بينهم تزداد باطراد.

(١) جييرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسيه الشرقية)، دراسات اسلامية، ص ٢٢٥-٢٢٦.

ولما كان هذا قد استمر حتى أيام سيدنا الإمام الناصر أمير المؤمنين، فقد حصر اهتمامه في التحقق من الاتساب (انساب الفتوة) ثم اخذ كبيراً له في الفتوة المنسك المفضال التي الشيخ عبد الجبار بن صالح البغدادي لأن حياته كانت نقية وكذلك طريقة^(١).

أما تفنيده لرأي ابن خلدون فقد أشار إلى ما يلي:
فالذى يراه ابن خلدون في فتوة الناصر أنها لعب هواه يمثل تصرف فرد من افراد
سلالة بلغت الغاية من الانحلال^(٢).

أما رأي "جيرارد زالنغر" هو نفسه في فتوة الناصر فيشير قائلاً: قد نسلم بأن رابطة الفتوة قد تزود جماعة معينة بالأساس الخلفي والعقائدي وتحجع بين افرادها وتتوثق الصلة بينهم وبين رئيسهم لكنها لم تكن جديرة بأن تغدو أساساً قوياً لاعادة النشاط إلى الخلافة وهي التي تقوم على فكرة انضمام المسلمين عامة تحت امرة الخليفة^(٣).

ويتابع زالنغر قوله: فما هو الضوء الذي تلقى هذه المعلومات المتقدمة زمنياً على سياسة الناصر نحو الفتوة؟ يبدو أن الاختطرابات التي حاول الناصر أن يضع لها حدأً عن طريق تشرعه للفتوة لا يختلف إلا قليلاً عن الاختطرابات التي اثرت في الفتوة قبل أيام الناصر بزمن طويل، ورغم قلة ما بين أيدينا من معلومات يبدو أنها لا تعدو محجة الصواب أن قدرنا أن الناصر قد رمى مما فعله أصلاً إلى السيطرة على جماعات الفتوة وخاصة في بغداد وال العراق، حيث كانت للخليفة سلطنة فعلية، فإن رئاسته للفتوة قد يقوى السلطات العامة في موقفها من هذه الجماعات^(٤).

(١) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات إسلامية، ص ٢٢٩.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٣٣.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٢٨.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٣٢.

اما رأي فتك في أهداف الناصر كما أورده تيشنر: ويرى "بوك فتك" أن هدف الناصر السياسي الذي حاول الوصول إليه بإعادة تنظيم الفتوة كان دعم المجهاد ومقاتلة الصليبيين، ولكن نرى (الكلام لفتك) بما ذكره المؤرخون أن الناصر لم يهتم قط بهذه الأمور، وبعكس ذلك نرى زالنغر أن غرض الناصر من هيمته على الفتوة كان رقابة النقابات الشاذة التي أثارت في بغداد خاصة قبل حكمه فتناً وقلائل استمرت سنتين وارهبت الناس^(١).

اما "رأي ابن خلدون" كما أورده فرانز تيشنر: والأمر الذي يجب معرفته الآن هو كيف ينبغي أن يفسر عمل الخليفة الناصر بتبنيه الفتوة أكان ذلك لهوا من الخليفة، أو أن الخليفة كان يرمي به إلى هدف سياسي؟

أن المؤرخين لا يذكرون شيئاً وكذلك كتب الفتوة لا تفصح عن شيء غير أن ابن خلدون بين رأيه في سياسة الناصر رغم أنه كان بعيداً عن العصر وأحواله، ويتابع حديثه قائلاً: فكان مع ذلك كثير ما يستغل برمي البتدق واللعب بالحمام المناسب ويلبس صراويل الفتوة شأن العيارين من أهل بغداد، وكان له فيها سند إلى من ألبسه أيامها وكان ذلك كله دليلاً على هرم الدولة وذهب الملك من أهلها بذهب ملاكيها منهم.

ويخيل لابن خلدون أن سياسة الناصر من الفتوة كانت لهواً وطيشاً وعد ذلك في أوقات المخطاط الخلافة العباسية التي مهدت سقوطها^(٢).

أما عمر رضا كحاله فيرى أن الخليفة قد جدد بالفتوة شباب الأمة ووحدتها في الداخل والخارج، ثم رأى الناصر أن نزاعاً يحدث أحياناً بين أحزاب الفتيان فيحدث نشلاً في الأمة وضعفاً، فضلاً عن اخلاله بالأمن وبالتالي تؤدي إلى سفك الدماء^(٣).

(١) فرانز تيشنر (الفتوة وال الخليفة الناصر) المتضمن دراسات المستشرقين، ج ١، ع ١، ص ٢٠٠.

(٢) نفس المصدر، ص ١٩٩.

(٣) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، عمر رضا كحاله، ص ٢٩.

ويتابع عمر رضا كحاله قائلاً: بأن الخليفة الناصر لدين الله رأى ان العالم الإسلامي يحتاج إلى تجديد قوته واحياء همته وإعادة توحيده، وتوحيد منهجه لمقاومة الأفرنج الصليبيين والكرج من الشمال والسلجوقيين واتباعهم من الشرق، والمحافظة على استقلال البلاد الإسلامية، فعمد إلى الفتنة وفيها اعظم قرة لمن يستطيع أن يستعملها وينظمها تنظيمًا عظيمًا فاستعملها الناصر وربى في الدول الإسلامية جيلاً جديداً شجاعاً محارباً مجاهداً يتمتع بفضائل النفس والبدن كالفروسية والعلم بالحرب والقتال والمسابقة والرمي والرماة وابتدا ذلك بسلوك الطريق المشروع، فأخذ فتوته من الشيخ عبدالجبار بن يوسف ابن صالح البغدادي رئيس الفتيان في زمانه^(١).

أما الدكتور مصطفى جواد مؤلف كتاب الفتنة وأحد المعاصرين للخليفة الناصر فيشير إلى أنه وحد الأمة الإسلامية يساعده، ومنها الفتنة وأعاد إلى العرب عزتهم المسلوية وإلى الإسلام قوته وبهجته^(٢).

أما الدكتور محمد رجب^(٣) النجار فيشير في ذلك قائلاً: لماذا كان الناصر زعيم الفتنة الأكبر؟

وتحت أربع اجابات عن هذا السؤال جاء ثلاثة منها في دراسة "جيرارد زالنغر" وهي:

١ - أولاً: يشير إلى حرص الخليفة على اقامة خط دفاعي من هؤلاء الفتيان يقى به البلاد من زحف الصليبيين على المسلمين.

(١) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، عمر رضا كحاله، ص ٢٨.

(٢) مقدمة كتاب الفتنة (مصطفى جواد)، ص ٧٢.

(٣) محمد رجب، النجار (حكايات الشطار والعبارين في التراث العربي)، ع ٤٥، (١٩٨١)، ص ١٥٦ - ١٥٧.

- ٢- ثانيهما: أن الخليفة الناصر أثنا فعل ذلك مستغلاً ضعف الدولة السلجوقية ليفيد في تغذية طموحه البعيد، فحاول من جهة أن يعيد للخلافة العباسية ما كان لها من مكانه سياسية كانت قد فقدتها عند القرن العاشر الميلادي.
- ٣- والثالث: أراد أن يقضي من جهة أخرى على الاختلافات القدية بين السنة والشيعة وقد حاول تحقيق هذين المدفين عن طريق تقوية الفتنة.
- ٤- والرابع: أن الناصر أراد أن يجند شباب الأمة الإسلامية بهذه الفتنة ويوحدها في الداخل والخارج ويجعل بغداد المركز العالمي للسياسة في الشرق ويجتمع بلاد الإسلام.

ويشير الدكتور محمد رجب النجار بفشل سياسة الناصر في تدجين العناصر المتمردة التي أطلق عليها مؤلفوا كتب الفتنة^(*) "فتوة الجهال المتأخرین" تمييزاً لهم عن فتوة السلف الصالح^(١).

ويعمل القول أن فتوة الناصر كانت محاولة يائسه لاعادة تنظيم سلطة الخلافة دينياً وعسكرياً وسياسياً، ولكن بعد فوات الأوان فذهبت محاولاته ادراج الرياح^(٢).

(*) تم تأليف كتابين في الفتنة للخليفة الناصر لدين الله الأول لابن المعمار، والثاني احمد بن الياس النقاش

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي) ع ٤٥، (١٩٨١)، ص ١٥٨.

(٢) نفس المصدر، ص ١٦٠.

جذف الفتوة غير الرسمية وتأسيس الفتوة الناصرية

عندما رأى الناصر أن الفتوة لا تزال تتعرض لأن تكون مصدراً للجرائم والكبائر والاضطراب والاحتلال الأحوال، فأصدر أوامره باهدار الفتوة القدية وذلك في سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م، وأمر أن تجدد فتوة الفتيان الذين لم يأخذوا التفوي عنه ويكون هو القبلة في ذلك^(١).

ويذكر ابن الساعي المؤرخ البغدادي في حرواث سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م ما يلي "في هذه السنة أهدرت الفتوة القدية وجعل أمير المؤمنين الناصر لدين الله رضي الله عنه القبلة في ذلك والرجوع إليه، وقد شرف عبد الجبار بالفتوة إليه، وكان شيخاً متزهداً فدخل في ذلك الناس كافة الخاص والعاص" ^(٢).

وسائل ملوك الأطراف الفتوة، فنجد إليهم الرسل، ومن البشيم سراويل الفتوة بطريق الوكالة الشريفة وانتشر ذلك ببغداد وتفتى الأصغر والأكبر^(٣).

والسؤال الذي يحب أن يُسأل هو: متى اعتمد الخليفة الناصر اصلاح الفتوة بحيث أصبح هو نقطة الدائرة في هذا النظام وابطل على الأثر دعوى كل عضوية لا يقرها هو أو منتبهه^(٤).

وعندما رأى الناصر أن نزاعاً ما سيحدث بين احزاب الفتيان فيحدث فشلاً في الأمة وضعفاً فضلاً عن اخلاله بالأمن، ونؤدي إلى سفك الدماء، فأصدر في سنة ٦٠٤هـ /

(١) مقدمة كتاب الفتوة / مصطفى جواد، ص ٦٣.

(٢) المنشري الألماني تيشنر "الفتوة وال الخليفة الناصر"، المتفى من دراسات المستشرقين، ج ١، ع ١، ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) مقدمة كتاب الفتوة / مصطفى جواد ، ص ٦٧.

(٤) جيرارد زالنغر "الفتوة هل هي الفروعية الشرقية" ، دراسات اسلامية ، ص ٢٣٢.

١٢٠٧ م منشوراً بابطال جميع الفتوة القدمة واثبات فتوته وحدتها، وعمل نفسه المرجع الأعلى لهذه الفتوة وإمامها ، وكان قد شرف عبد الجبار بالفتوة إليه^(١).

فأبطلت الفتوة في البلاد جميعها إلا من ليس سراويلها منه، ومنع الرمي بالبندق إلا من انتسب إليه ولبس سائر ملوك الأفاق سراويل الفتوة ودعوا له في رمي البندق، ووصل رسالته إلى حماد في أيام الملك المنصور وأمره بأن يلبس لل الخليفة، ويلبس الأكابر له فأمر الملك المنصور الشيخ سالم بن نصر الله بن واصل الحموي بعمل خطبه في الفتوة، فعمل خطبه واستشهد بآيات من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: (إذ أوى الفتية إلى الكهف)^(٢).

وجعل الخليفة الناصر همه في رمي البندق والطيور المناسب وسراريل الفتوة، كما أنه منع الطيور المناسب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمي إلا من يتسمى إليه^(٣). فشيد بنيانها ومهد أركانها وألف احزابها وأرشد طلابها وأظهر أنوارها، وأوضح برهانها فبطلت البيوت إلا ما شيده وبناه وتعطلت تلك المعاقل إلا ما اختاره وأصطفاه^(٤).

(١) الجامع المختصر، ج ٩، ص ٢٢١-٢٢٢، مصطفى جراد "الفتوة وأطوارها" مجلة الجمع العلمي العراقي، ميج ٥، (١٩٥٨)، ص ٦٦، عمر رضا كحاله (دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية)، ص ٢٩.

(٢) مصطفى جراد "الفتوة وأطوارها"، مجلة الجمع العلمي العراقي، ميج ٥ (١٩٥٨)، ص ٦٨، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٣، ص ١٩٩. المصننكة والفتوة، ص ٦٦، ابراهيم الرواتي "الفتوة عند العرب" مجلة الرسالة، ع ٩٣٢ (١٩٥١)، ص ٢٤٤ والأية ١٠ من سورة الكهف.

(٣) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات إسلامية، ص ٢٢١.

(٤) المستشرق الألماني فرانز تيشنر (الفتوة وال الخليفة الناصر) المتقدى من دراسات المستشرقين ج ١، ع ١، ص ١٩٢.

ففي ٤ أيلول سنة ١٢٠٧ م / ٦٠٤ هـ أهدرت الفتوة القديمة وأصدر الخليفة الناصر
لدين الله المرسوم التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم ... قد أمر الخليفة كل من تشرف بالفتوة أنه من قتل له
رفيق نفساً نهى الله تعالى عن قتلها وحرمه وسفك دماً حقته الشرع المطهر وعصمه أن
يتزل عنه في الحال في جمع الفتياً عند تحققه لذلك ومعرفته.

وأن كل فتى يحوي قاتلاً ويخفيه ويُساعدُه على أمره ويؤويه يتزل كبره عنه ويغير
رقاقه ويُتبرأ منه. فإن الفتى متى قتل فتى من حزبه سقطت فتواه ووجب أن يؤخذ منه
القصاص.

وأن قتل غير فتى عون من الأعون أو متعلقاً بديوان بلد سيدنا ومولانا المفترض
الطاعة على كافة الأئمَّة الناصر لدين الله أمير المؤمنين فقد عيب هذا القاتل في حرم
صاحب الحزب (الخليفة) بالقتل فكانما عيب كبيرة فسقطت فتواه بهذا السبب الواضح
ووجبأخذ القصاص منه عند كل فتى راجح.

وليعلم الرفقه الميمونة ذلك وليعملوا بموجبه وليجروا الأمر في امثال ذلك على
مقتضى المأمور به وليقفوا عند المحدود في هذا المرسوم المطاع ويقابلوه بالانقياد والاتباع –
إن شاء الله تعالى.

(كتب في تاسع صفر سنة أربع وستمائة (٤ أيلول سبتمبر ١٢٠٧ م): وسلم إلى كل
واحد من رؤساء الأحزاب منشوراً بهذا المثال فيه شهادة ثلاثين من العدول.
ثم كتب تحت كل مرسوم ومنتشر ما هذا صورته ١ قابل العبد ما تضمنه هذا
المرسوم المطاع وقابلها بما يجب عليه من الانقياد والاتباع والامتثال وهو الذي يجب العمل
به فتواة وشرعها وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلأً.

وقد الزمت نفسى اجراء الأمر على ما تضمنه هذا المرسوم الأشرف فمتنى جرى ما
ينافي المأمور به المحدود فيه كان الدرك لازماً لي والمؤاخذه مستحقة على ما يراه صاحب
الحزب، ثبت الله دولته واعلى كلمته وكتب فلان بن فلان في تاريخه ٢.

(١) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروعية الشرقية)، دراسات إسلامية، ص ٢٢١.

فأجابه الناس بالعراق وغيره إلى ذلك إلا انساناً واحداً يقال له "ابن السفت" من بغداد، فانه هرب من العراق ولحق بالشام، فأرسل إليه الخليفة الناصر يرغبه بمال ليرمي عنه وينسب في الرمي إليه. فلم يفعل^(١).

والسؤال الذي يجب أن يسأل هو: متى اعتمد الناصر اصلاح الفتوة، بحيث أصبح هو نقطة الدائرة في هذا النظام وابطل على الأثر دعوى كل عضوية لا يقرها هو أو مندوبيه؟

يقول ابن الساعي أن هذا الاصلاح تم في السنة نفسها التي أذيع فيها أمر الخليفة أي في سنة ٤٦٤هـ / ١٢٠٧م لكن "تيسنر وكالة" كلامها يرفضان هذا التاريخ على اعتبار ان قبوله يعني الاعتراف بأن الخليفة كان قد أصبح رئيساً للمنظمة على أنه من المحتمل أن يكون قد حقق الأمرين في سنة واحدة، فلعل الخليفة كان قد انتظم عضواً عادياً في الفتوة في سنة ٤٥٧هـ / ١١٨٢م وحافر قدر المستطاع أن يقوم بعمل ربما أدى إلى مغامرة جسيمة لكنه عمد في سنة ٤٦٤هـ / ١٢٠٧م إلى اتخاذ الخطوة الخطيرة لأن الاضطرابات بلغت من الاتساع حداً لا يسمح بالتردد^(٢).

وكانت محاولته بتجديد الفتوة وجعلها شاملة وظهور أدب جديد يحدد مفاهيمها ويلورها بما يبعد الانتقادات السابقة عنها^(٣).

(١) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفرسية الشرقية)، دراسات اسلامية، ص ٢٢١.

(٢) نفس المصدر ص ٢٣٢.

(٣) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص ٧٩.

نشر الفتوى بين ملوك الأطراف

بعد أن تم حذف الفتوى غير الرسمية، وتأسيس الفتوى الناصرية، أخذ الناصر للدين الله بنشر هذه الفتوى بين الأمراء المجاوريين وذلك بادخالهم في التنظيم الجديد وجعلهم مسؤولين عن جماعات الفتيان في بلادهم^(١).

وقد أرسل الناصر للدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا كأس الفتوى، ويلبسو له سراويلها وأن يتسبوا إليه في رمي البندق و يجعلوه قدوتهم فيه^(٢).

ثم تفتى إلى الناصر خلق من الملوك والأكابر وكان بهذا الفعل أي الفتوى يستحق الناس على التعااضد والتناصر وحفظ العهد وكتمان السر وصدق اللهمجة والعفة عن المحرم، وأرباب الفتوى يستدونها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٣).

وكان الناصر قد شرف عبد الجبار بالفتوى إليه ووردت رسائل الناصر للدين الله إلى ملوك الأطراف يسألهم الانضمام إلى الفتوى الجديدة التي أقرها وأن يلبسو سراويلها وينسبوا إليه في رمي البندق و يجعلوه قدوتهم، كما أنه قام بإلباسهم سراويل الفتوى بطريق الوكالة الشريفة.

وانتشر ذلك في بغداد وتفتى الأصغراء إلى الأكابر، ودخل فيها أفواج من الخاcus
والعام^(٤).

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٧٩.

(٢) الفتوى عند العرب وآحاديث الفروسيه ص ٢٤٢، مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مع ٥، (١٩٥٨)، ص ٦٨.

(٣) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية / عمر رضا كحالة ص ٢٨. محمد رجب التمجر (حكايات الشطار والعيارين)، ع ٤٥، (١٩٨١م)، ص ١٥٥.

(٤) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٢٢، المستشرق الألماني تيشنر (الفتوة والخلفية الناصر) ج ١ ع ١ ص ١٩٣.
أبو القداء حوادث سنة ١٢٠٦هـ/١٢٠١م، مقدمة كتاب الفتوى / مصطفى جواد ص ٥٦، دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ص ٢٩، جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسيه الشرقية)، دراسات إسلامية ص ٢٤.

وفي سنة ١٢٠٢هـ / ٥٩٩ م بعث الخليفة الناصر بالخلع وسراويل الفتوة إلى الملك العادل الأيوبي وأولاده مع علي بن عبد الجبار ويونس العقاب فليس الملك العادل الخلع والسرائل في رمضان بدمشق^(١).

كما أنه أرسل في سنة ١٢٢٢هـ / ١٢٥ م وهي السنة التي توفي بها الخليفة الناصر رسلاً إلى نور الدين والملك العادل شقيق صلاح الدين والملك الصالح وشهاب الدين حاكم غزة ومعهم كأس الفتوة وسراويلها لكي يتظموا في سلك فتيانه وهم من كبار القادة في الحروب الصليبية^(٢).

فشرب ملوك الأطراف كأس الفتوة للخليفة الناصر ولبسو سراويلها، فوردت عليهم الرسل بذلك ليكون انتقامتهم له، وأمر كل ملك أن يستنى رعيته ويلبسهم لتنتمي كل رعية إلى ملوكها، ففعلوا ذلك وأحضر كل ملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمراءها وأكابرها وأليس كلاً منهم له وسقاء كأس الفتوة، وكان الخليفة الناصر مغرماً بهذا الأمر وأمر الملوك أيضاً أن يتسبوا إليه في رمي البندق و يجعلوه قدواتهم فيه^(٣).

ويشير الاستاذ "ابراهيم الرواتي" في مقال له عن الفتوة في مجلة الرسالة بأن أطلق عليها اسم "فتوة المترفين" وأن هذه الفتوة تتجلّى في الصيد والرماية وأصحاب هذه الفتوة من أرباب الشراء والجاه وابرز مظاهرها في عهد زعيمها الناصر لدين الله المتوفى سنة ١٢٢٢هـ / ١٢٥ م.

ويتطرق في حديثه إلى الأيوبيين الذين طلب منهم الناصر الانتظام في سلك فتيانه ثم المعاليك الذين جاؤوا بعدهم، وما كان من شأن هؤلاء محاربة الصليبيين وتأثير الفتوة

(١) مقدمة كتاب الفتوة ص ٦٧.

(٢) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا ص ٢٤٦، الفتوة والصلعة في الإسلام ص ٦٧-٦٨.

(٣) السلوك لمعرفة دول الملك ج ١ ف ١ من ١٧٢، مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة الجمع العلمي العراقي، مجل ٥ (١٩٥٨) ص ٦٨-٦٩.

فيهم، فقد تعلموا من خلالها الرماية والصيد، ويشير إلى أن الناصر أراد أن يجعل هذه الفتوة مدرسة تخريج منها المجاهدين والمدافعين عن بلاد الإسلام^(١).

فكتب الناصر للدين الله في سنة ١٢١٠هـ / ١٦٠٧م إلى ملوك الأطراف الذين يعتقدون بخلافته أن يشاروا له كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها وأن يتسبوا إليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم، فأجابوه إلى ذلك، فمن أراد الانتظام في سلك هذه الطائفة يأتي إلى بغداد فيلبسه الخليفة السراويل بنفسه فاجابه الناس في العراق^(٢).

وظهرت الفتوة والبندق والخمام الهوادي وتفتن الناس في ذلك، ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك ومن بين الذين دخلوا في الفتوة ملك غزنه والهند وصاحب جزيرة كيش الآتابك سعد بن زنكي صاحب شيراز، والملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين صاحب حلب^(٣).

كما انفذ الناصر سراويل الفتوة إلى عز الدين أبو المظفر كيكاووس بن كيخسرو بن قلوج ارسلان الثاني بن مسعود بن قلوج ارسلان ملك بلاد الروم المعروفة اليوم بتركيا وكان هذا أول دخول للفتوة في بلاد الأترالك^(٤).

ومن ليس سراويل الفتوة للخليفة الناصر للدين الله من ملوك الأطراف الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب الأيوبى ملك الشام ومصر وأبناؤه، والملك الكامل محمد والملك المعظم عيسى والملك الأشرف موسى والملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبى ملك حماه.

ويذلك انتشرت فتوة الناصر بين أمراء وملوك الأطراف واجابه العام والخاص باستثناء شخص واحد من بغداد يقال له "ابن السفت" فإنه هرب من العراق إلى الشام

(١) ابراهيم الوالبي (الفتوة عند العرب) مجلة الرسالة، ع ٩٣٢ (١٩٥١) ص ٥٦٥.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي ج ٢ ص ١٩٩.

(٣) مقدمة كتاب الفتوة ص ٦٧.

(٤) نفس المصدر ص ٧٠.

رافضاً الانضمام إلى فتوة الناصر، فأرسل له الخليفة يرغبه بالأموال الجزرية ليرمي عنه ويتبسم إليه في الرمي والانتفاء إلى فتوته إلا أنه رفض ذلك بالرغم من إلحاح بعض أصدقائه طالبين منه الاستجابة لمطالب الخليفة منكرين عليه الامتناع من أخذ الأموال قائلاً لهم يكفي فخراً أنه ليس في الدنيا أحد إلا يرمي لل الخليفة إلا أنا^(١).

ويؤكد جيرارد زالنغر بأن الناصر استطاع ادخال أمراء العراق وشمال سوريا وأسيا الصغرى وأمراء غزنه في فتوته، وقد درج سلاطين المماليك في مصر فيما بعد حتى القرن الرابع عشر على منع سراويل الفتوة للأمراء والأعيان المصريين في بعض الأحيان^(٢).

(١) الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٤٥٣، جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية) دراسات إسلامية ، ص ٢٢١.

(٢) جيرارد زالنغر (الفتوة هي هي الفروسية الشرقية) دراسات إسلامية، ص ٢٢٣.

مصير الفتوة بعد وفاة الخليفة الناصر لدين الله ومحاولة خلفاء الدولة العباسية من بعده الابقاء عليها

اتبع الخلفاء العباسيون الذين جاءوا بعد الناصر طريقته في العناية بالفتوة والقيام برسومها ورعاية الفتيان في البلاد الإسلامية على اختلافهم في الحماسة لها بالإضافة إلى ميلتهم.

فابنه محمد الظاهر لم يبق في الخلافة زمناً نستطيع أن نتبين به مقدار عنایته، فقد توفي في سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م ودامت خلافته من أول شعبان سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م إلى الرابع عشر من رجب سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م وقد أخذ الفتوة عن أبيه.

وجاء بعد محمد الظاهر ابنه المنصور المستنصر بالله حفيد الناصر وكانت عنایته بالفتوة كبيرة فقد حسنَ له جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي الكوفي أن يلبس سراويل الفتوة من علي بن أبي طالب وأفتي بجواز ذلك، فتوجه المستنصر بالله إلى مشهد علي بالنجف ولبس السراويل عند الفريج وكان جلال الدين هو النقيب في ذلك.
وكان المستنصر يفتى الملوك والأعيان بطريقة الوكالة فيرسل الوكلاء إليهم ومعهم التشريفات ولباس الفتوة^(١).

قال ابن الفوطي في ترجمة جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي المتوفى سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المستنصر بالله، فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين وأفتي بجواز ذلك فتوجه الخليفة إلى المشهد ولبس السراويل عند الفريج الشريف وكان هذا النقيب في ذلك.

(١) جيرارد زالتغر (الفتوة هل هي الفروضية) دراسات اسلامية ص ٣٠، مصطفى جواد (الفتواة وأطوارها) مجلة الجمع العلمي العراقي، مع ٥ (١٩٥٨)، ص ٧٠، مصطفى جواد (مقدمة كتاب الفتوة) ص ٧٩ - ٨٠.

وفي سنة ١٢٢٦هـ/١٢٢٨م انقضى المستنصر فخر الدين أبا طالب احمد بن الدامغاني والشيخ شمس الدين أبا البركات عبد الرحمن ابن شيخ الشيوخ والأمير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل وسعد الدين حسن بن الحاجب إلى جلال الدين منكوري بن خوارزمشاه محمد بن نخش مع رسول كان وصل منه وهو يومئذ على خلاط^(٤) محاصراً لها، وأرسل إليه معهم بتشريعات وكراع ولباس الفتوة، وكل الخليفة فخر الدين ابن الدامغاني في تفتته من الخليفة، وكان الشيخ أبو البركات عبد الرحمن نقيب الفتوة، وكان ذلك سؤاله ورصول رسول منه بطلبه، فخلعوا عليه خلعة الخليفة المستنصر بالله والبسوه سراويل الفتوة^(٥).

وفي سنة ١٢٣٤هـ/١٢٣٦م حضر الشيخ عبد الله الشرمساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية بالبصرة عند شرف الدين إقبال الشرابي وانعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة المستنصر بالله^(٦).

وفي خامس صفر سنة ١٢٣٤هـ/١٢٣٦م قدم نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين بن زنكي صاحب شهرورز فتلقاء موكب الديوان ورفع قدره وخلع عليه وأسكنه بدار النقيب الطاهر، واستدعي في اليوم الحادي والعشرين شرف الدين إقبال الحبشي الشرابي مقدم الجيش يومئذ فشرفه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة المستنصر بالله وخلع عليه^(٧).

(٤) بلده عامره مشهوره ذات خيرات وثمار ياتيه من فتوح عياض بن غنم، وهي قصبة ارمنية الوسطى، تشتهر بالأسماك والمياه الغزيرة، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٠ (طبعة دار صادر).

(٥) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، ميج ٥، (١٩٥٨)، ص ٧١-٧٢، الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص ٢٤٩، مقدمة كتاب الفتوة (مصطفى جواد) ص ٨١-٨٢.

(٦) الفتوة عند العرب ص ٢٤٩، مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، ميج ٥، (١٩٥٨) ص ٧٢، مقدمة كتاب الفتوة ص ٨٣.

(٧) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، ميج ٥، (١٩٥٨)، ص ٧٢، مقدمة كتاب الفتوة ص ٨٢.

وفي سنة ١٢٣٩هـ / ١٢٣٧م هرب قطب الدين سنجر المعروف "بالياغر المستنصرى" أحد أمراء الجيش العباسى من العراق وفي صحبه جماعة من المالكية فلقه أبو علي بن غنام أمير عرب الشام فقبض عليه وأتى به إلى بغداد تحت الاستظهار وأحضر ابن غنام إلى البدرية وخلع عليه وشرف بلباس الفتوة من الخليفة ثم رجع إلى مستقره^(١).

وفي سنة ١٢٤٦هـ / ١٢٤٨م توفي جلال الدين عبد الله بن المختار العلوى الكوفى وكان بحضور عند الخليفة الناصر في رمي البتدق والفتوة ولعب الحمام وكان يفتى ويرجع إلى قوله ولم يزل كذلك إلى أيام الخليفة المستنصر بالله، فأشار إليه أن يلبس سراويل الفتوة^(٢).

ويرى "فرازير تيشنر" أن حفيد الناصر المستنصر قد أسس سلسلة جديدة للفتوة تبدأ به وتنتهي بعلي ولكن يخلي أن هذا الأمر لم يقع لأنه لا يوجد ما يدل على ذلك في كتب الفتوة^(٣).

وفي ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان سنة ١٢٦١هـ / ١٢٦٢م سُئل الملك الظاهر ببرس الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى "هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته العباسين الظاهرين أو من أوليائهم المتسبقين؟" فقال: لا.

والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود، فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضه وأن يمنحه ما كان ابن عمها افترضه وليس الخليفة في الليلة المذكورة بحضور من يعتبر حضرره في مثل ذلك ويאשר الأتابك فارس الدين أقطاي بطريقى الوكالة عن السلطان بحق لبسه من الإمام المستنصر بالله الثاني أمير المؤمنين ولد الإمام الظاهر وأبواه

(١) مصطفى جواد (الفتوة وابنوارها) مجلة الجمع العلمي العراقي، ص ٥ ، ١٩٥٨ (١٩٥٧) ص ٧٢، مقدمة كتاب الفتوة ص ٨٢/٨٣.

(٢) الفتوة عند العرب ص ٢٤٩.

(٣) فرازير تيشنر (الفتوة وال الخليفة الناصر) المتقدى من دراسات المستشرقين ج ١ ع ١ ص ١٩٨.

جده الناصر لدين الله عبد الجبار لسلمان الفارسي للإمام الطاهر علي بن أبي طالب، وحمل السلطان إلى الخليفة الملابس التي تلقي بهلاله^(١).

وكان سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ركوداً لأمر الفتوة في بغداد، ثم ظهرت الدولة العباسية الصورية في مصر فظهرت معها الفتوة^(٢).

ويشير تيشنر إلى أن سقوط الخلافة العباسية على أثر غزو هولاكو لبغداد سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) أدى إلى زوال هذا الضرب من الفترة الخلافية أو إلى اندثار معالمها شيئاً فشيئاً^(٣).

وعندما أعاد الملك الظاهر بيبرس الخلافة العباسية إلى مصر في سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م انتقلت إلى القاهرة معها الفتوة الخلافية، ويدرك المؤرخ النصري المفضل بن أبي القصائل أن بيبرس ليس قبل دخوله دمشق لباس الفتوة، ألبسه إياها الخليفة المستنصر بالله الثاني وهذا نص التشريف: ثم تجهز الظاهر بيبرس إلى الشام في تاسع عشر رمضان ورحب السلطان في لباس الفتوة فألبسه الخليفة المستنصر بالله قبل سفره، وفي يوم عيد الفطر ركب السلطان مع الخليفة تحت المظلة وصلبا صلاة العيد، وحضر الخليفة إلى خيمة السلطان بالمنزلة وألبسه سراويل الفتوة بحضور الأكابر^(٤).

(١) فرانز تيشنر (الفتوة والخلافة الناصر) / المتقدى من دراسات المستشرقين ج ١ ع ١، ص ٢٠١-٢٠٢، مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مع ٥، (١٩٥٨)، ص ٧٣.

(٢) مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مع ٥، (١٩٥٨)، ص ٧٢-٧٣، مقدمة كتاب الفتوة ص ٨٣، دراسات اجتماعية / عمر رضا كحاله، ص ٣٠.

(٣) فرانز تيشنر (الفتوة والخلافة الناصر) المتقدى من دراسات المستشرقين، ج ١ ع ١، ص ٢٠٠.

(٤) فرانز تيشنر (الفتوة والخلافة الناصر) المتقدى من دراسات المستشرقين، ص ٢٠١. مقدمة كتاب الفتوة ص ٨٣، مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مع ٥، (١٩٥٨)، ص ٧٢-٧٣، دراسات اجتماعية (عمر رضا كحاله) ص ٣٠.

وقد سار خلفاء بيرس سيرته ولبسا لباس الفتوة وألبسوه الأمراء المالك وغيرهم ففي سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م ألبس السلطان الأشرف خليل علاء الدين الهاكاري الأمير الكردي لباس الفتوة وكتب توقيعاً بذلك^(١).

وهكذا توارث خلفاء الناصر لدين الله نظام الفتوة حتى زمن المستعصم آخر خلفاء بني العباس في الشرق حين فقر هولاكو المغولي ببغداد وقتل المستعصم وأهل بيته سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وبذلك ضرب الفتوة الناصرية التي أنشأها الناصر^(٢).

ونجد أن عمر دسوقي يشير إلى فشل سياسة الناصر فلم يطل أمد الخلافة بعده، فقد ولد ابنه الظاهر مدة عام، ثم جاء بعده حفيده المستنصر بالله ثم المستعصم فكان موت الناصر سنة ٦٦٢هـ / ١٢٤٥م، ويشير دسوقي إلى نهاية فتوة الناصر والتي أطلق عليها فتوة المترفين، ويرى أن فتوة الناصر هذه تمثل وتبه المختضر الذي يلفظ آخر انفاسه وإنها لم تعمراً إلا أمداً يسيراً ولم تشر التمرة المرجوة، ويعتلل دسوقي رأيه في ذلك: بأن جسم الخلافة بل جسم الأمة الإسلامية في المشرق ضعيفاً وليس من السهل إعادة العافية لمن وهن عظامه ودب في دبيب الفتاء وانهكته امراض الشيخوخة^(٣).

أما بروكلمان فإنه يرى أنه تعاقب على عرش بغداد بعد وفاة الخليفة الناصر الحازم ذي الهمة العالية خلفاء مستضعفون^(٤).

أما الدكتور محمد رجب التجار مؤلف كتاب حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي فيشير إلى أن خلفاء الدولة العباسية الذين جاءوا بعد الناصر اتبعوا اثره في العناية بالفتوة والقيام برسومها ونقلوها معهم بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد واحيائها في القاهرة، فراجت في بيوت المتصوفة دون أن يكون لها أي تأثير سياسي^(٥).

(١) فرانز تيشنر (الفتوة وال الخليفة الناصر) المتضمن دراسات المستشرقين، ج ١، ع ١، ص ٢٠٢.

(٢) الفتوة عند العرب (عمر دسوقي) ص ٢٤٩، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص ٧٩.

(٣) الفتوة عند العرب ، ص ٢٥٢.

(٤) مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة الجمع العلمي العراقي، معج ٥، ١٩٥٨(١)، ص ٧٠-٧١.
مقدمة كتاب الفتوة، ص ٨٠-٧٩.

(٥) محمد رجب التجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي)، ع ٤٥، ١٩٨١، ص ١٦٠.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأشعار

المصادر والمراجع

فهارس الآيات القرآنية

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الكهف	١٨	إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ لَا مَأْنَوْا بِرِبِّهِمْ	١٢	٤٢
الأنبياء	٢١	قَالُوا سَمِعْنَا فَتْيَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ	٦٠	٤٢
الكهف	١٨	فَإِذَا قَالَ مُوسَى لِفَتْيَةَ	٦٠	٤٢
النور	٢٤	وَلَا تُكَرِّهُوْ فَتَبَيَّنُوكُمْ عَلَى الْبَيَانِ	٣٣	٤٢
آل عمران	٣	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ بِاللهِ	١١٠	٤٣
آل عمران	٣	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رِّبْحَكُمْ وَجَنَّةٍ عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ	١٣٣	٤٤
النساء	٤	وَبِالَّذِينَ إِحْسَنُوا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكُتْ	٣٦	٤٥

أَيْمَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ حَكَانَ عَنْهَا لَا

فَخُورًا

- ٤٥ ١٧٧ ٢ البقرة
وَالْمُؤْفُوتَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالظَّالِمِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ
- ٤٦ ١٠ ١٨ الكهف
إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ
فَقَالُوا رَبُّنَا مَنْ مِنْ دُنْكِ
رَحْمَةٍ وَهَبَّنِي لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَمَدًا
- ٤٧ ١٣-١٦ ١٨ الكهف
تَعْنُونُ نَفْصُلُ عَلَيْكَ تَهَمُّ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ
فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَزَّاقُهُمْ هُدًى
وَرَأَطَنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا
رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو
مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا
هَتَّلَاءِ قَوْمًا آتَحَدُوا مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا
لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانُهُ بَيْنَ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
وَلَا أَعْتَزَ لِشُمُوْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ

فَأَوْرَادُهُ إِلَى الْكَهْفِ يَنْسُرُ لَكُمْ زَرْكُمْ
مِنْ رُحْمَتِهِ فَهَبْتُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ
مِرْفَقًا

- | | | | |
|----|----|----|---|
| ٤٧ | ٦٠ | ١٨ | الكهف |
| | | | وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَنَةٍ لَا أَتَرْجُ حَتَّى
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حَقْبًا |
| ٤٧ | ٦٤ | ١٨ | الكهف |
| | | | قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارَتَهُ عَلَى
ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا |
| ٤٨ | ٦٢ | ١٨ | الكهف |
| | | | فَلَمَّا جَاءَوْزًا قَالَ لِفَتَنَةٍ هَاتِنَا عَدَائِنَا
لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَقْرِنَا هَذَا نَصْبًا |
| ٤٨ | ٢٥ | ٤ | النَّاس |
| | | | وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِنِكُمْ طَوْلًا أَنْ
يَنْكِحَ الْمُخْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ
مَا مَلَكْتُ أَتَمْنِكُمْ مِنْ فَتَيَّبِكُمْ
الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَمْنَكُمْ
بِعَضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِنَّكُمْ حُوَّهُنْ بِإِذْنِ
أَهْلِهِنْ وَإِنْتُو هُنْ أُجُورُهُنْ
بِالْمَعْرُوفِ الْمُخْصَنَاتِ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ
وَلَا مُشَخِّدَاتِ أَخْذَانٍ فَإِذَا أَخْصَنْ
فَإِنْ أَتَيْتَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنْ نِصْفُ |

			ما عَلَى الْمُخْصَسِتِ مِنْ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْغَنَّتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا أَخْيَرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
٤٨	٦٠	٢١	الأنبياء قَالُوا سَمِعْنَا فَتَّى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ
٤٨	٣٣	٢٤	النور وَلَا تُكَرِّهُوْا فَتَيَّبِكُمْ عَلَى الْبَيْعَاءِ إِنْ أَرْقَنَ تَحْصَنَا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ آلَدُنَّيَا وَمَنْ يُكَرِّهُ هُنَّ فِيَانُ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
٤٩	٣٠	١٢	يوسف وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرَأُتُ الْعَزِيزِ تُرَوَّدُ فَتَنَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَقَهَا حُبًّا إِنَّا لَتَرَنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
٤٩	٣٦	١٢	يوسف وَدَخَلَ نَعْمَةُ الْبَسْجَنَ فَتَيَّانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَيْتُ أَغْصَرُ حَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَيْتُ أَغْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي حُبْرًا تَأْكُلُ الظَّيْرُ مِنْهُ نَتَقَنَا يَتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

٤٩	٦٢	وَقَالَ لِفِتْنَتِهِ أَجْعَلُوا بِضَعَتْهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ	يوسف	١٢
٥٠	١٥٩	وَشَارِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَّتْ فَتَوَسَّلُهُمْ عَلَى اللَّهِ	آل عمران	٣
٥١	٩١	لَقَدْ ءاْتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا	يوسف	١٢
٥٢	٦٩	يَنَارٌ كُوْنِي بَرَدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ	الأنبياء	٢١
٥٢	٦٢	ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِغَالِهِنَا يَسْأَلُ إِبْرَاهِيمَ	الأنبياء	٢١
٥٢	٦٠	سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمَ	الأنبياء	٢١
٥٢	٧٥	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَعَلِيهِ أَوَّلُهُ مُثِيبٌ	هود	١١
٥٢	٢٤	هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ	الذاريات	٥١
٥٣	٩	أَفَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَاثُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَباً	الكهف	١٨
٥٧	١٠	إِذَا أَوَى الْفِتْنَةُ إِلَى الْكَهْفِ قَالُوا	الكهف	١٨

رَبَّنَا ءاَتَنَا مِنْ لُدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيْئَةً لَنَا
مِنْ اَمْرِنَا رَشِداً

٥٨	١٠	إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ	١٨	الكهف
٥٩	١٤	رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	١٨	الكهف
٦٠	١١	فَضَرَبَنَا عَلَىٰ ءاَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا	١٨	الكهف
٦١	١١	فَضَرَبَنَا عَلَىٰ ءاَذَانِهِمْ	١٨	الكهف
٦١	١١	فَضَرَبَنَا عَلَىٰ ءاَذَانِهِمْ	١٨	الكهف
٦١	١٢	لَمْ يَعْتَنِهِمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَخْصَنَ لِيَمَا لَبِثُوا أَمْدًا	١٨	الكهف
٦١	١٩	قَالُوا لِيَشْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيَشْتَمَّ	١٨	الكهف
٦١	١٣	نَحْنُ نَتَصُّصُ عَلَيْكَ تَبَاهُمْ بِالْحَقِّ وَنَهُمْ فِتْيَةٌ ءامْنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى	١٨	الكهف
٦٢	١٤	وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا	١٨	الكهف

إِذَا شَطَطْتُ

- | | | | |
|----|----|---|-------|
| ٦٢ | ١٥ | ١٨ | الكهف |
| | | هَنْلَاءٌ قَوْمًا أَتَخَدُوا مِنْ دُونِهِ
عَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلطَانٍ
بَيْنِ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمْنَ الْفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
كَدِيرًا | |
| ٦٢ | ١٦ | ١٨ | الكهف |
| | | وَإِذْ أَعْتَزَلَتْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ
فَأَوْرُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَثْكُمْ
مِّنْ رَحْمَتِهِ لَتَهْبَئُ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِهِمْ
مِّرْفَقًا | |
| ٦٣ | ١٧ | ١٨ | الكهف |
| | | وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَنْزَوِرُ عَنْ
كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَّتْ
تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ عَاهَدَتِ اللَّهُ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ
فَهُوَ الْمُهْتَدِّ وَمَنْ يُضْلِلَ فَلَنْ
تَعْجِدَ لَهُ وَلِيَا مُرْشِدًا | |
| ٦٣ | ١٨ | ١٨ | الكهف |
| | | وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ
وَنُقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ
وَصَلَبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَبِهِ بِالْوَصِيدِ لَوْ | |

أَطْلَقْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَاً
وَلَعْلَيْتَ مِنْهُمْ رَعْبًا

٦٣	١٨	وَنَقْلَبْهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَاءِ	الكهف
٦٤	١٨	وَكَلَّبْهُمْ بَسْطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ	الكهف
٦٤	١٨	لَوْ أَطْلَقْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَاً	الكهف
٦٤	١٩	وَكَذَلِكَ بَعْثَنَهُمْ لِيَشَاءُ لَوْا بَيْنَهُمْ قَالَ فَآتِلِّ مِنْهُمْ حَكْمَ لِيُشْتُمُ قَالُوا لِيُشَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لِيُشْتُمُ فَاتَّعْثُرُوا أَحَدُكُمْ يُورِقُكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَيَنْظُرُ أَيُّهَا أَرْجَعَنِي طَعَامًا فَلَيَأْتِيَكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلَيَنْلَظُفُ وَلَا يُشْعِرُنِي بِكُمْ أَحَدًا	الكهف
٦٥	٢٠	إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا	الكهف
٦٥	٢١	وَكَذَلِكَ أَغْنَرَنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا	الكهف

أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ الْسَّاعَةَ لَا
رَبَّ فِيهَا إِذَا يَتَنَزَّلُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ
فَقَالُوا أَبْنُوا عَلَيْهِمْ بَنِيَّتًا رَبِّهِمْ
أَغْلُمْ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ
أَمْرِهِمْ لَنُتَخَلِّصَ عَلَيْهِمْ مَسِيْحًا

٢١ ٢٢ ١٨ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةُ رَابِعُهُمْ كُلُّهُمْ
الكهف

وَيَقُولُونَ خَمْسَةُ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ
رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةُ
وَثَامِنُهُمْ كُلُّهُمْ فُلَ رَبِّي أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا
ثُمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا وَلَا
تَسْتَفِتُ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا

٦٦ ٢٢ ١٨ فُلَ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ
الكهف

٦٦ ٢٢ ١٨ فَلَا ثُمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا
الكهف

٦٦ ٢٢ ١٨ وَلَا تَسْتَفِتُ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا
الكهف

٦٦ ٢٢ ١٨ وَلَا تَقُولُنَّ لِشَانِي إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ
الكهف

غَدًا

٦٧	٢٣	إِنَّى فَاعِلٌ بِذَلِكَ عَدًا	١٨	الكهف
٦٧	٢٤	إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ	١٨	الكهف
٦٧	٢٤	إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَادْعُوكَ رَبَّكَ إِذَا تَسِيَّتْ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنَّ رَبَّيِّ لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشْدًا	١٨	الكهف
٦٧	٢٤	وَادْعُوكَ رَبَّكَ إِذَا تَسِيَّتْ	١٨	الكهف
٦٧	٢٤	عَسَى أَن يَهْدِيَنَّ رَبَّيِّ لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشْدًا	١٨	الكهف
٦٧	٢٥	وَلَيَشُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِينِينَ وَأَزْدَادُوا أَتْسَعًا	١٨	الكهف
٦٨	٢٦	قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيَشُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشَرِّكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا	١٨	الكهف
٦٨	٢٦	لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	١٨	الكهف
٦٨	٢٦	وَلَا يُشَرِّكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا	١٨	الكهف
٦٨	٢٧	وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ	١٨	الكهف

لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَتِيهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ
دُونِهِ مُلْتَحِدًا

٦٨	٢٧	وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا	١٨	الكهف
٦٩	٦٠	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَنَةٍ لَا أَبْرُخُ حَنْيٍ أَبْلُغُ مَجْمَعَ الْبَخْرَيْنِ	١٨	الكهف
٧٠	٦٠	أَوْ أَتَضَيِّنْ حُقُبًا	١٨	الكهف
٧١	٦١	فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَيْلَهُ فِي الْبَخْرِ سَرَبًا	١٨	الكهف
٧١	٦١	فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا	١٨	الكهف
٧١	٦٢	فَلَمَّا جَاءَرَأَ قَالَ لِفَتَنَةٍ وَاتَّنَا عَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصِيبًا	١٨	الكهف
٧٢	٦٣	أَرَعَيْتَ إِذْ أَوْتَنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنَّ نَسِيْتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَيْلَهُ فِي الْبَخْرِ عَجَبًا	١٨	الكهف
٧٢	٦٥	فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا إِنَّنَاهُ رَحْمَةٌ	١٨	الكهف

مِنْ عِنْدِنَا وَعَلِمْتُهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا

٧٣	١٥٩	وَلَوْ كُنْتَ فَقْطًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ	٣	آل عمران
٧٤	١٩٩	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعِرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهَلِينَ	٧	الأعراف
٧٤	١٢٨	عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ	٩	التوبه
٧٧	١٠	إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٣٩	الزمر
٧٧	٨٧	فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ	٧	الأعراف
٧٩	٦٢	أَلَا إِنَّمَا أُولَئِكَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُنُونَ	١٠	يونس
٨٣	٥٨	إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ	٥١	الذاريات
٨٣	٥٤	إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً	٣٠	الروم
٨٣	٦١	سَمِعْنَا فَتَّىٰ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ	٢١	الأنياء

إِبْرَاهِيمُ

- الكهف ١٨ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنَةٍ
٨٣ ٦٠
- الأحزاب ٢٣ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكَرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا *
٨٥ ٤٢+٤١ وَسَيَّحُوهُ يَكْرَهُ وَأَصْبِلُهُ
- الاسراء ١٧ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
٨٨ ٣٤ مَسْئُولًا
- الكهف ١٨ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ
١٧٥ ٦٠

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ال الحديث	رقم الصفحة
- لا يقولن أحدهم عبدي وأمتي، ولكن ليقل فتاي وفتاتي - جذعة أحب إلى الله من هرمة أحق بالفتاء والكرم - إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - لفتیان أمتي عشر علمات، قال يا رسول الله وهل لأمتك فتیان؟ قال نعم، وأین الفتوة الأولى من فتوة أمتي - ليأتي على الناس زمان تعدم فيه الفتوة وتتفصل فيه المروءة وتتضيق فيه الأخلاق ليستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، فإذا كان ذلك فانتظروا العذاب صباحاً ومساءً. - ما ندم من استثار ولا خاب من استخار - يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شغف الجبال و مواقع القطر يفر بدنته من الفتنة. - المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهם أفضل من المؤمن الذي يخالطهم ولا يصبر على آذاهم - جرائم المؤمنين يزورتهم - لا فتن إلا على - آدم فمن دولة تحت لوابي - خادم القوم سيدهم	٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٩ ٥٠ ٥٠ ٦٠ ٦٠ ٦٠ ٧٥ ٨٣ ٨٣

فهرس الأشعار

<u>صدر البيت</u>	<u>الصفحة</u>	<u>القافية</u>
إذا عاش الفتى مائتين عاماً	١٤+١١	الفتاء
وفتو هجروا ثم أسروا	١٢	حلوا
هلم إلى قضاة الغوث فأسأل	١٢	القضاة
أتحب بفناء أشدق من عدوي	١٢	الثفاني
فيت أقاتيها فلا هي ترعوي	١٢	قبخلا
غدا فتيا دهر وراحوا عليهم	١٢	التواليا
فما ليثوا إلا فتى من نهارهم	١٢	القتل
ما ليث الفتى أن عصفا به	١٦	يفتاحا
يا عز هل لك في شيخ فتى أبداً	١٦	فتيان
فتى الحبي إن تلقاء في الحبي أو يرى	١٧	المشاهد
إن الفتى حمال كل ملائمة	١٩	الصبيان
موت الفتى في عزة خير له	١٩	أكحل
لنعم الفتى تعشوا إلى ضوء نارة	١٩	الخضر
أنا إذا الموت ينال غالبه	١٩	بعاليه
هوى الفتى الكامل الخامبي حقيقته	٢٠	متباينا
قد يعلم الفتى أنني صاليه	٢٠	عواليه
إذا القوم قالوا من فتى لعظيمة	٢١	الفتى
إذا خام أقوام تفحمت غرة	٢١	المداعس
لعمري أبيك الخير لاني لخادم	٢١	لفارس
ولاني لأشري الحمد أبغى ربأحه	٢١	ناعس

٢١	أَبْلَد	إذا القوم قالوا من (فتى) خلت أنني
٢١	تَرَعَد	على موطن يخشى (الفتى) عنده الردى
٢٢	أَبِي	إن الفتى من يقول ها أَنْذَا
٢٢	غَبُوق	وليس فتى الفتيان من راح واغتنى
٣١	الْمُدَاعِسَ	إذا خام أقوام تفحمتْ 'غَمْرَة'
٣٢	دَيَّلَذ	فإنك لو رأيت الخيل تعدو
٣٢	نَحُوم	قوم إذا ليسوا الحديد كأنهم
٣٢	الصَّيَاحَا	فارس يضرب الكتيبة بالسيف
٣٤	يَجْرِي	تروى سنان الرمحه طعنته
٣٩+٣٦	الْمَغْرَر	بلقي السيف بوجهه وينحره
٣٩	وَصُول	أقيه بنفسه في الحروب وانتقى
٤٦	الْأَيَامُ	نعم الفتى فجئت به أخوانه
٥٣	هُمَدُ	وليس بها إلا الرقيم مجاوراً
٦٤	وَنْشَوَانٍ	وفتيان صدق قد بعثت بسمرة
٧٣	بَرْهَانًا	لا يسألون آخاهم حين يندبهم
٧٦	عَلَيٍ	لا سيف إلا ذو الفقار
١٠٠	ئَصْبَرُ	أرواح مورع أم بكور
١٠٠	الْقَصْفُ	انا حنين ومتزلي النجف
١٢٠	شَاطِرَهَا	يمحرقها ذا وذاك يهدمنها
١٢١	وَمَاقِمَرَهَا	كتاب المهرش تحت رايته
١٢٢	بِالْفَرَارِ	ليس يدرؤن ما الفرار إذا الإبطال

المصادر والمراجع

- المصادر الأولية:

- القرآن الكريم: وبهامشه تفسير الإمامين الجلالين طبع بنفقة المحسن الكبير السيد حسن عباس الشريتلي.
- أبساي: العلامة الحافظ أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي "المعجم الصغير" دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ابن الأثير: الإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بأبن الأثير الجزري الملقب بعز الدين المتوفى سنة ٦٣٠هـ "ال الكامل في التاريخ" عن بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- "ال الكامل في التاريخ" دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الروانى الأموي القرشي، أبو الفرج، المتوفى سنة ٩٧٦م.
- "الأغاني" إعداد لجنة نشر كتاب الأغاني بإشراف محمد أبوالفضل إبراهيم، الناشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- الألباني: محمد ناصر الدين الألباني "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة" مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- **الأندلسي:** ابن عبد الله الأندلسي "العقد الفريد". إعداد محمد صالح وسميع أبو مغلي مراجعة منيب صباح، مكتبة الحياة - عمان.
- **البغدادي:** الحافظ الإمام أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا البغدادي المتوفى سنة ٢٨١ هـ.
- كتاب "الصمت وأداب اللسان" مع ترجمة إضافية لابن أبي الدنيا دراسة وتحقيق نجم عبدالرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- **البيروني:** أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، المتوفى سنة ٤٤٠ هـ. "الجماهر في معرفة الجواهر". مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الذكرين. الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ.
- **البيهقي:** إمام المحدثين الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨ م.
- "السنن الكبيرى" وفي ذيله الجواهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان الماردىنى الشهير بأبن التركمانى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ دار الفكر.
- **الجرجاني:** الفاضل العلامة علي بن محمد الشرييف الجرجاني "التعريفات" تعريفات ومصطلحات لغوية وفقهية وفلسفية جُمعت من أمهات الكتب الفلسفية والفقهية واللغوية، ورتبت على حروف الهجاء من الألف إلى الياء مع فهرست، مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٥ م.
- **ابن قيم الجوزية:** الإمام العالم شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن أبي بكر ابن أيوب الزرعبي المعروف بأبن قيم إمام الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١ هـ.

"الفروسيّة" عرفَ الكتابُ وترجمَ المؤلِّف وصحيحه السيد عزت العطار الحسيني. دار الكتب العلمية.

- ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ م "المُنتظم" دراسة وتحقيق محمد مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحيحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

- الحموي: الشیخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م.

"معجم البلدان" منشورات دار الفكر - بيروت.

- الخبلي: المؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبدالحفيظ بن العماد الخبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ.

"شذرات الذهب في أخبار من ذهب"

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

"شذرات الذهب في أخبار من ذهب"

طبعة مركز الموسوعات العالمية / بيروت.

- الخبلي: الشیخ أبي عبدالله محمد بن أبي المکارم المعروف بابن المعمار البغدادي الخبلي.

"كتاب الفتوة" حققه ونشره: الدكتور مصطفى جواد، والدكتور محمد تقى الدين الھلالي، والدكتور عبدالحليم النجار، وأحمد ناجي القيسي، مطبعة شفیق، الطبعة الأولى - ١٩٥٨ م.

- الذهبي: مؤرخ الإسلام المحافظ محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

- **العبر في خبر من خبر**: تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت - ١٩٦٣م. وـ **الاعلام بوفيات الاعلام**: تحقيق مصطفى بن علي عرض وربيع ابوبكر عبدالباقي. مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- **الزبيدي**: العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى. **إتحاف السادة المتلقين شرح إحياء علوم الدين** ويهامشه كتاب **الإملاء عن اشكالات الأحياء**، دار الفكر.
- **الزمخشري**: الإمام محمود بن عمر الزمخشري، المتوفي سنة ٥٢٨م، **الكشاف عن حقائق غواضن التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**.
- تفسير القرآن الكريم رتبه وضبطه القرآن الكريم مصطفى حسين أحمد، الناشر دار الريان للتراث - القاهرة ١٩٨٧م.
- **السلمي**: أبي عبد الرحمن السلمي، المتوفي سنة ٤١٢هـ. **طبقات الصوفية** تحقيق نور الدين شربية، الناشر جماعة الأزهر للنشر والدراسات والتاليف، مطابع دار الكتاب العلمي بمصر، طبعة سنة ١٩٥٢م وسنة ١٩٥٣م.
- **السيوطني**: الإمام عبد الرحمن بن الجمال جلال الدين السيوطى المتوفي سنة ٩١١هـ. **تفسير الدر المثور في التفسير المأثور** ضبط النص والتصحیح وإسناد الآيات ووضع الحواشی والفهارس بإشراف دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٢م.
- **الطبراني**: الإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب التلخمي الطبراني المتوفي سنة ٣٦٠هـ.

"المجمع الأوسط" تحقيق محمد حسن اسماعيل الشافعي، توزيع محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

- **الطبرى**: الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٩٢٣هـ / ٣١٠ م. "تأريخ الطبرى/المعروف بتاريخ الأمم والملوك" راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء، منشورات مؤسسة الأعظمى للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- **العجلونى**: الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى المتوفى سنة ١١٢٦هـ "كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس" الناشر مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، توزيع مكتبة الغزالى - دمشق.

- **القرطبي**: أبي عبدالله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي "تفسير القرطبي/الجامع لأحكام القرآن" الناشر مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، توزيع مكتبة الغزالى / دمشق.

- **القضاعى**: القاضى أبي عبدالله محمد بن سلامة القضاعى، المتوفى سنة ٤٥٤هـ "مسند الشهاب" حققه وخرج أحاديثه حدى عبدالجيد السلفى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- **المقريزى**: نقى الدين أحمد بن علي المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م. "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك" حققه وقدم له ووضع حواشيه الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب - ١٩٧٠م.

- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، صصحه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة،
الطبعة الثانية، ومطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- **النيسابوري**: الإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري.
المستدرك على الصحيحين، وبنديله التلخیص للحافظ الذهبي
يشرف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة/ بيروت.
- **الهنسلي**: العلامة علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندی البرهان فوزي
المتوفى سنة ٩٧٥ هـ.
- كتنز العمال في سنن الأقوال**، طبعه وفسر غربیه الشيخ بکری حیانی، صصحه
ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوۃ السقا، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

المراجع

- **فالنقر، جيرارد، الفتوة هل هي الفروسيّة الشرقيّة، دراسات إسلامية اشراف د. نقولا زيادة.** دار الأندلس - بيروت.
- **دسوقي، عمر، الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسيّة والمثل العليا، مكتبة نهضة مصر.**
- **لانكستر هاردنج، آثار الأردن، تعریف سليمان الموسى، منشورات وزارة السياحة والآثار.**
- **المجد، صلاح الدين، المتلقى من دراسات المستشرقين، دراسات مختلفة، ومطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.**
- **عفيفي، د. أبوالعلاء، الملامية والصوفية وأهل الفتوة، دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.**
- **بك، د. أحمد أمين، الصعلكة والفتوة في الإسلام.** دار المعارف للطباعة والنشر، مصر / ١٩٥٢م.
- **جواد، مصطفى، الفتوة منذ القرن الأول للهجرة إلى القرن الثالث عشر، الطبعة الأولى / ١٩٥٨م.**
- **زيلدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات مكتبة الحياة بيروت / ١٩٦٧م.**
- **هزيل، بدري محمد، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري / مطبعة الارشاد - بغداد - ١٩٦٧م.**

- الدوري، د. عبدالعزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت / ١٩٦٩ م.
- العطادي، د. أحمد خثار، في التاريخ العباسي والقاطمي. دار النهضة العربية - بيروت / ١٩٧١ م.
- كعالة، عمر رضا، دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية. المطبعة التعاونية ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م.
- عبد المولى، د. محمد أحد، العيارون والشطار البغدادية في التاريخ العباسي، الناشر مؤسسة ثباب الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع - الاسكندرية - ١٩٨٦ م.
- العبيدي، د. عبداللطيف، التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه، الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م، دار الثقافة العربية - القاهرة.

دواوين الشعر

- **بن شداد:**
عترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي
"ديوان عترة" حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي
الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
الطبعة الأولى (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).

- **الخنساء:**
ثماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريذ، الرياصية
السلمية، من بنى سليم، من قيس عيلان، من مصر.
"ديوان الخنساء" دار الأندلس للطباعة والنشر -
بيروت
الطبعة الخامسة - ١٩٦٨م.

- **امرئ القيس:**
أمرؤ القيس بن حُجَّير بن الحارث الكندي، من بنى
أكل المرار"ديوان امرئ القيس" تحقيق حنا
الفاخوري
دار الجليل - بيروت
الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

المعاجم

- **أبي ذرطة:** أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري المتوفى سنة ١٣٢هـ "جمهرة اللغة". طبعة مكتبة الثقافة الدينية وطبعة دار صادر - بيروت.
- **هادية والبليش:** علي بن هادية ويلحسن البليش والجبلاني بن الحاج يحيى "القاموس الجديد للطلاب" تقديم محمود المسعدي الشركة التونسية للتوزيع/تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع / الجزائر - ١٩٧٩م.
- **بدون مؤلف:** "المترجم في اللغة" الطبعة العشرون - دار المشرق بيروت - لبنان.
- **البستاني:** بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني - المتوفى سنة ١٨٨٣م، "محيط المحيط" قاموس مطول في اللغة العربية، مكتبة لبنان. "قطر المحيط" مكتبة لبنان.

- عبد الحميد والسبكي: محمد عبي الدين عبد الحميد و محمد عبد اللطيف السبكي. "المختار من صحاح اللغة".
- الجوهرى: اسماعيل بن حاد الجوهرى "الصحاح".
تحقيق أحد بن عبدالغفور عطار
دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٩ م.
- الزمخشري: الإمام العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري "أساس البلاغة"
دار صادر - بيروت ١٩٧٩ م.
- الزنجانى: محمود بن أحمد الزنجانى "تهذيب الصحاح"
تحقيق عبد السلام محمد هارون وأحمد عبدالغفور عطار
عني بنشره محمد سرور الصبان
دار المعارف - مصر.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرييفي الافريقي المتوفى سنة ٧١١هـ.
"لسان العرب المحيط" المصطلحات العلمية والفنية. قدم له العلامة الشيخ عبدالله العلaili، إعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، طبعة دار لسان العرب - بيروت. وطبعة دار صادر - بيروت

الدوريات والمجلات

- **مجلة الرسالة:** العدد ٣٥٦ - السنة الثانية (١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م). "النقايات الإسلامية" للأستاذ برنارد لويس / ترجمة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري.
- (الفتوة في اللغة وكتب الأدب وحياة الفتيان في "الجاهلية وعصور الإسلام" الأستاذ ضياء الدخيلي ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م).
- **مجلة الهلال:** العدد ٣٥٧ - ٢٨ ربيع الأول ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م، السنة الثامنة، الجزء السادس "الفروسيّة" بقلم محمد عبدالله عناق).
- **مجلة كلية الآداب/ بغداد:** العدد الأول - حزيران ١٩٥٩ (نشوء الأصناف والحرف في الإسلام/ د. عبدالعزيز الدوري.
- **مجلة الأقلام:** مجلة شهرية تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد - بغداد، السنة الأولى - العدد ٣، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م. "مصادين الفروسيّة في سامراء" / بقلم سالم الألوسي

- **مجلة المور:**

مجلة تراثية نصدرها وزارة الإعلام العراقية، المجلد ٢/
العدد الثالث/ السنة الثانية - أيلول ١٩٧٣ م.

= "الحالة الاقتصادية في عهد الخليفة العباسية"
المستشرق السوفيتي / ي. أ. بيليايف)، ترجمة الدكتور
جليل كمال الدين.

- العدد الثاني/ المجلد رقم ٢ السنة الثانية، حزيران سنة
١٩٧٣ م

= "بغداد في القرن الرابع الهجري/العاشر
الميلادي" المستشرق الفرنسي ماريون كنار، ترجمة
د.أكرم فاضل.

- مجلة كلية الآداب والتربية: جامعة الكويت: العددان ٤/٣ سنة ١٩٧٣
"الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في
العهد الفاطمي" د. شاكر مصطفى.

- **مجلة دراسات تاريخية:**

مجلة علمية فصلية تعنى بالدراسات حول تاريخ
العرب. إصدار جنة كتاب تاريخ العرب - جامعة
دمشق، العدد الثالث صفر ١٤٠١هـ، كانون أول
١٩٨٠ م.

"الحياة الاقتصادية في بلاد الشام" بين سنتي
١٣٢-٢٥٩هـ د. أمية بيطار).

- مجلة الاجتهد:

مجلة متخصصة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد
العربي الإسلامي، دار الاجتهد - بيروت، العدد
السادس/ السنة الثانية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

(الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن
الإسلامية خلال القرون الوسطى) كلود كاهن.

- مجلة عالم الفكر:

مجلة دورية تصدر عن وزارة الاعلام بالكويت مجلد ١١
١٩٨١م / ١٩٨١.

"الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية
الطوائف الصناعية أو الأصناف" د. أحمد مختار
العيادي).

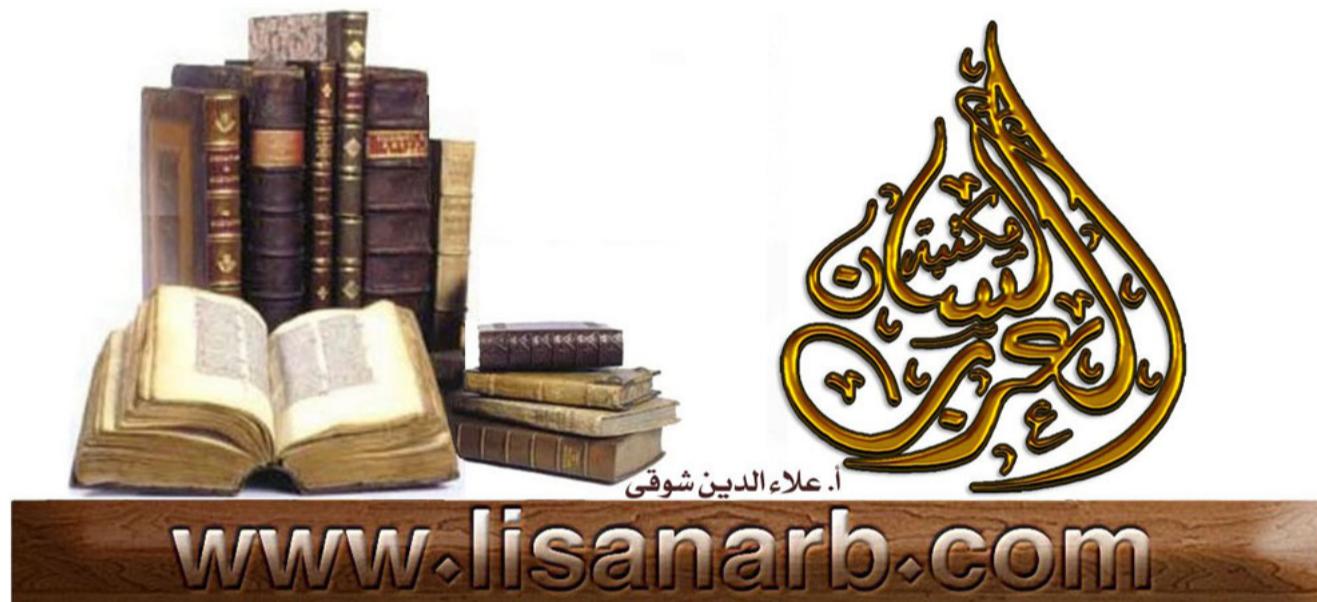
- عالم المعرفة:

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني
للثقافة والفنون والأدب - الكويت، العدد ٥٤،
أيلول ١٩٨١م "حكايات الشطار والعيارين في
تراث العربي" / د. محمد رجب النجار.

المحتويات

المقدمة.....	٥
الفصل الأول / الفتوة والفروسيّة في العصر الجاهلي	٩
أ- الفتوة :	
- تعريف الفتوة	١١
- شروط الفتوة	٢٤
- طقوس الفتوة وعاداتها.....	٢٥
طريقة التنصيب.....	٢٧
ب- الفروسيّة/تعريف الفروسيّة	٢٩
- اخلاقيات الفارس.....	٣٥
- شروط الفروسيّة.....	٣٥
ج- القيم المشتركة بين الفروسيّة والفتوة.....	٣٧
الفصل الثاني / الوجه الديني للفتوة	٣٩
أ- الفتوة الإسلامية.....	٤١
ب- المصادر الكتابية للفتوة.....	٤٦
ج- غاذج من الفتوة.	
١. ابراهيم الفتى.....	٥١
٢. حديث فتيان أهل الكهف في القرآن الكريم.....	٥٢
٣. حديث فتى سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم.....	٦٨
٤. سيد الفتيان عليه السلام.....	٧٢
٥. علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ا الفتى المثالي.....	٧٤
د- العلاقة بين الفتوة والتصرف.....	٧٧

هـ- تحليل باب الفتوة من الرسالة القشيبة المؤلف.....	٨١.....
وـ- نماذج من المتصوفين. الفصل الثالث:	٨٣.....
الوجه الاجتماعي والاقتصادي للفتوة	٩٧.....
أـ- الفتورة الأموية....	٩٩.....
بـ- الفتورة العباسية.....	١٠٢.....
١ - تدهور الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الخلافة العباسية بشكل عام وفي بغداد بشكل خاص.....	١٠٣.....
٢ - انحراف الفتوة وتحولها إلى حركات شعبية واستغلال القيم الثابتة لتغطية أعمال الشعب.....	١١١.....
الفصل الرابع:	
الوجه السياسي للفتوة.....	١٥٢.....
أـ- أحوال الفتوة قبل الناصر لدين الله.....	١٥٤.....
بـ- تطور مفهوم الفتوة زمن الناصر.	١٥٦.....
جـ- أهداف الناصر من تبنيه للفتوة.	١٦٢.....
دـ- حلقة الفتوة غير الرسمية وتأسيس الفتوة الناصرية.....	١٧١.....
هـ- نشر الفتوة بين ملوك الأطراف.....	١٧٥.....
وـ- مصير الفتوة بعد وفاة الناصر لدين الله ومحاولة خلفاء الدولة العباسية من بعده الإبقاء على نظام الفتوة.....	١٧٩.....
الفهارس :	١٨٧.....
المصادر والمراجع:	٢٠٥.....



الفتوة

نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية

سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٣٥ م

السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم: الدكتور أحمد محمد موسى الخطيمي
مكان الولادة: مادبا
تاريخ الولادة: 1945

* المؤهلات العلمية:

- 1- ثانوية عامة أدبي 1966
- 2- ليسانس تاريخ - جامعة بيروت العربية 1973
- 3- دبلوم دراسات إسلامية - معهد الدراسات الإسلامية - القاهرة 1976
- 4- ماجستير تاريخ - الجامعة اليسوعية 1981
- 5- دكتوراه تاريخ الجامعة اليسوعية 1986

* الخبرات العملية:

- 1- موظف في الإحصاءات العامة-باحث إحصائي
- 2- مديرية الجوازات-مأمور جوازات.
- 3- مديرية المكتبات والوثائق-وزارة الثقافة-باحث وثائق.
- 4- سلطة وادي الأردن-رئيس قسم مشتريات .
- 5- سلطة المياه-رئيس قسم الإدارة (في إدارة مياه محافظة العاصمة)
- 6- وزارة الثقافة-مدير مديرية ثقافة محافظة مادبا
- 7- عمل في الكلية العربية لمدة عامين غير متفرغ .

* الكتب المنشورة:

- 1- مشير الغرام إلى زيارة القدس والشام-تحقيق.
- 2- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام-تحقيق مع آخرين.
- 3- بلدانيات الأردن في كتب الرحالة والجغرافيين-دراسة.
- 4- علماء الأردن في العصور الإسلامية-دراسة .
- 5- الفتوة، نشأتها وتطورها حتى سقوط الدولة العباسية 656 هـ/ 1258 م .
وهناك العديد من الأبحاث تحت الإنجاز .

* العضويات:

- 1- عضوية هيئة إدارية لجمعية المكتبات والمعلومات الأردنية.
- 2- عضو جمعية المحدث والدراسات الإسلامية.
- 3- عضو اتحاد المؤرخين العرب/بغداد.